التَّرَقِّيَةُ

في التَّرْبِيَةِ والتَّزْكِيَةِ



تأليف

الدكتور غازي الدويك


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً عبدُ الله ورسولُه، بلَّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصح الأمّة، فتركها على المَحَجّة البيضاء، ليلُها كنهارِها، لا يزيغُ عنها إلّا هالك، ولا يتنكبها إلّا ضالّ. فصلواتُ الله وسلامه على هذا النبيّ الكريم، الذي زكّاه ربّه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، فكان زاكياً في نفسه، مُزكّياً لأمته بكلّ فضيلة. ورضي الله عن صحابته وتابعيهم الذين وفّقهم ربُّنا فزكّوا نفوسهم، وطهروا قلوبهم، فكانوا مشاعل نورٍ وهدايةٍ للبشريّة جمعاء.

وبعد:

فقد اقتضت حكمة الله تعالى إرسال الرسل، وإنزال الكتب لتخليص النّاس من حمأة الشرك وأوضار الذنوب والمعاصي والآثام، وتزكية نفوسهم بتخليتها من هذه الآفات، وتحليتها بكريم الأخلاق وجميل الطاعات، فكانت التزكية شعار دعوتهم ودثارها.

وأنزل الله تعالى القرآن الكريم ليكون مصدراً للتزكية ومنبعاً لها، فالذي خلق النّفس البشرية وسوّاها هو من بيّن حقيقتها، وأنّها قد ترتفعُ بالتزكية إلى أسمى الدرجات، وقد تهبط بالتدّسية إلى أدنى الدركات، فجعل الفلاح كل الفلاح في تزكيتها، وجعل الخيبة والخسران في تدسيتها، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧ - ١٠].

وقد امتنّ الله تعالى على البشريّة بإرسال النّبي الخاتم محمد ﷺ، وبيّن سبحانه أن مهمة النبي ﷺ هي إرشادُ الخلق وتزكية نفوسهم، وإخراجهم من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام. قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]. وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

ولقد قام النبي ﷺ بهذه المهمة على أتمّ وجه وأكمله، فقام بتزكية أصحابه وتخليصهم من كلّ مظاهر الشرك والانحراف الخُلقي والسلوكي، وبقيت سنّته ﷺ معيناً لا ينضُب في بناء القيم والأخلاقِ، ومنهجاً فريداً في تزكية النفوس.

ثمّ سارَ العلماء الربانيون والمصلحون والدعاة على طريقه ﷺ في تزكية النّاس بمحاسن الأخلاق وكمالاتها، وتخليص نفوسهم من الدناءات والرذائل، وأصبح للتزكية أئمتها وروّادها، وأصبحت التزكية علْماً كسائر علوم الشريعة، وأصبح لها مدارسها ومناهجها، ممّا أغنى المكتبة الإسلامية بمئات المؤلفات والمصنفات بين المطولاتِ والمختصراتِ، والمنظوماتِ الشعريّة والنثريّة، وصار علم التزكية والسلوك شاهداً على دور الأمة الحضاريّ في بناء القيم الأخلاقيّة والسلوكيّة، ولمّا وقعت محنة الأمّة بإلغاء الخلافة الإسلاميّة، فَقدت الأمّة وحدتها وسلطتها ودورها الحضاريّ، وأصبحت تنتظر من يأخذ بيدها للنهوض من جديد، فيجمع لها أركان البناء من جميع جوانبه في العقيدة والعبادة والفكر والتزكية، فقيّض الله تعالى لها الإمام الشهيد – بإذن الله– المُجدّد حسن البنّا، الذي تنبّه إلى حقيقة حالها، وواقع الخلل فيها، فعمد إلى تأسيس هذه الدعوة المباركة لتكون مشروعاً

إسلاميّا إصلاحياً يُعيد للأمّة نهضتها وعزّتها على منهج النبيّ ﷺ لبناء الفرد والأسرة والمجتمع، وصولاً إلى مرحلة التمكين، وإقامة الدولة، فأُستاذيّة العالم، واقام هذا البناء على برنامجٍ علميٍّ عمليٍّ واضح المراحل والأهداف، أساسه التربية والتزكية للنّفوس.

يقول رحمه الله تعالى في رسالة المؤتمر الإسلاميّ الأول:

«إنّ أسلافكم الكرام لم ينتصروا إلاّ بقوة إيمانهم وطهارة أرواحهم، وزكاة نفوسهم، وإخلاص قلوبهم، وعملهم عن عقيدة واقتناع، حتى اختلطت نفوسهم بعقيدتهم، وعقيدتهم بنفوسهم، فكانوا هم الفكرة، وكانت الفكرة إيّاهم»[١].

وتحقيقاً لهذا المنهج النبويّ، ولمن سار على طريقه ﷺ في التزكية، وشعوراً منّا تُجاه ما نراه اليوم من ضعفٍ في تعاهد هذه التزكية، وبخاصّة في صفوف الدعاة إلى الله تعالى، إذ انشغلَ بعض العاملين بالجوانب السياسيّة والحركيّة فغلّبها على تعاهد قلبه ونفسه بالتزكية والتربية، وبِتنا نرى بعض الدعاة لربّما يقضي وقتاً طويلاً في التحليلات، وقراءة الصحف والمجلات، ويغفل عن تلاوة أوراده من القرآن والمأثورات.

وقد حرص مُعدّو المنهج جزاهم الله خيراً على إعادة التخطيط والبناء المتكامل في كافّة الجوانب التي تهمّ الدّاعية، وتعمل على صياغة شخصيته صياغة إسلاميّة متكاملة، ومنها تزكية النفوس وتهذيبها.

أخي الدّاعية، أختي الدّاعية:

لقد جاء كتابي هذا بمجموعة من موضوعات التزكية الشاملة، فقد احتوى

---

(١) رسالة المؤتمر الإسلاميّ الأول، الموسوعة التاريخية للجماعة، ص ١.

على واحد وخمسين موضوعاً، طوّفتُ فيها بين أعمال القلوب والجوارح، والأخلاق العامّة والخاصّة، وسيلاحظ القارئ الكريم أنّ مقصدي في هذا الكتاب يتجهُ نحو الجوانب الإيجابيّة من التزكية، لما علمتُه أنّ إخواننا وأبناءنا الدّعاة هم إلى جانب الاهتمام بالترقية أحوجُ منهم إلى الاهتمام بالأمور السلبيّة، لثقتي بأنّ ما درسوه في ميادين التزكية قد خلّصهم من الرذائل ورديء الأخلاق، وذلك وفقَ تعاليم القرآن والسنّة فإنّها تدعو المؤمنين إلى المسارعة في الخيرات والتنافس في الصالحات، وتحقيق أعلى مراتب الكمالات.

منهجي في الكتاب:

لقد حرصت في كتابي هذا على أنْ يكون استمدادي من النبع الأصيل في التزكية من القرآن والسنّة، كما حرصت أنْ يكون عرضي للمواضيع بطريقةٍ علميّةٍ منهجيّة؛ فبدأتُ كلّ موضوعٍ ببيان معناه من أقوال أهل اللغة، وأهل الاصطلاح من علماء التزكية والسلوك، واستنبطتُ من التعاريف ما يُعين القارئ على فهم حقيقة الموضوع. وأتيتُ بآيات القرآن الكريم، لأستدل بها على كلّ موضوعٍ من الموضوعات، وأَردّهُ إلى أصله في القرآن الكريم، وأُبيّن كيف ورد في القرآن ، وأتبعتُ ذلك بأقوال علماء التفسير بحسب ما يقتضيه الأمر، وبيّتُ غريب الآيات ومعانيها إنْ اقتضى البيان.

وقد اعتمدتُ على ما صحّ أو حسُنَ من الأحاديث النبويّة الشريفة، وعزوت كلّ حديثٍ إلى مصدره مكتفيًا بذكر رقم الحديث في المصدر، ولم أُورد في عملي الأحاديثَ الضعيفة ولا الموضوعة، خلافاً لما سار عليه كثير من علماء التزكية بإيرادهم الأحاديث الضعيفة والموضوعة وغرائب القصص. وأتبعتُ

ذكر الأحاديث غالباً بأقوال شُرّاحها، وبيان غريب ألفاظها، وما تضمنته هذه الأحاديث من الأخلاقِ والآدابِ والتوجيهات.

وسلكتُ في عرض هذه الموضوعات أسلوبًا يجمع بين النّظرية والتطبيق، وبين المعرفة والسلوك، حتى يتمكن الدّاعية من ممارسة هذه التزكية، والعيش معها واقعياً في مختلف جوانب حياته، سواء أكان هذا الواقع في حياته العائليّة، أو الاجتماعيّة، أو الوظيفيّة، أو التجاريّة، أو الدعويّة، أو الجهاديّة؛ كلّ ذلك من خلال ذكر الأمثلة والقصص من سيَر الصالحين والمُصلحين من أئمة العلم والدعوة والجهاد. وقد ضمّنتُ هذه الدروس مجموعة من الوصايا والنصائح والإرشادات التربويّة والحركيّة، التي تساعد الدّاعية على تمثُّل هذه الأخلاق والسلوكيات.

وختامًا، فإنّني أدعوك أخي القارئ إلى تعاهُد نفسك بهذه التزكية، فإنها أساس تربيتنا وعملنا لاستئناف الحياة الإسلامية مستعينين بالله تعالى على مشاقّ الطريق. فأقبِل أخي الداعية على هذا المنهج دراسةً ومُدارسةً، وتطبيقاً في واقع حياتك، لتنعم بنفسٍ زكيّة مطمئنة.

والله تعالى نسأل أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به إخواننا وأخواتنا، وعامّة المسلمين أجمعين.

والحمد لله ربّ العالمين

المؤلف

د. غازي الدويك

عمان - ٢٨/ رمضان/ ١٤٤٢هـ

الموافق ١٠/ أيار/ ٢٠٢١م

الإخلاص

الإخلاص روحُ العمل ولُبُّه، وهو شرط قبول الأعمال، فالعمل بدون إخلاص كالجسد بلا روح، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]. وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢ - ٣]. وقال لنبيِّه ﷺ: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ۝١٤ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ [الزمر: ١٤ - ١٥].

ولما كان الإخلاص بهذه الأهمية كان لا بُدَّ من التعرف على معناه وحقيقته وفضله وأهميته والوسائل المعينة عليه، وعلى ما يكدر صفوه وهو الرياء، وسُبُل التخلص منه.

تعريف الإخلاص:

الإخلاص شرعا: إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة، وتصفية الفعل بصالح النية عن شوائب الشرك.

حقيقة الإخلاص:

إنّ أعمال القلوب أهم من أعمال الجوارح، فأعمال القلوب قد تكون الفارق بين الحق والباطل، وبين الكفر والإيمان، وبين قبول العمل وعدمه، والنّية التي هي أساس الإخلاص تعتبر من أعظم أعمال القلوب، فهي بمنزلة الروح من الجسد، والأساس من البنيان، فقد جاء في الحديث «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى..» فقد بين لنا النبي ﷺ في هذا الحديث أنّ كلّ عمل بِنيَّتِه، فصلاحُ الأعمالِ وفسادُها بحسب صلاح

النيات وفسادها، وأنّ تجريد النيّة وتصفيتها شرطٌ لقبول الطاعات والأعمال، فمن كانت نيَّتُه صالحة، فعملُه صالحٌ، وله أجره، ومن كانت نيّته فاسدة فعمله فاسد، وعليه وزره.[١]

وقد جرى العرفُ على تخصيصِ اسم الإخلاص بتجريد قَصدِ التقرّب إلى الله تعالى عن جميع الشوائب، فإذا امتزج قصدُ التقرب بباعث آخر من رياء أو غيره من حظوظ النفس فقد خرج عن الإخلاص، ومثاله: أن يصوم لينتفع بالحِمية الحاصلة بالصوم، أو يَعتمِر من باب السياحة، أو يعود مريضا ليُعاد إذا مرض، أو يشيّع جِنازة ليُشيّع جنائز أهله، أو يفعل شيئا ليعرف بالخير ويُذكر به، ويُنظر إليه بعين الصلاح والوقار.

وكما يدخل الإخلاصُ في العمل فإنه يدخل في الاعتقاد أيضا، بل هو أسّ التوحيد لذلك فقد جاءت سورةٌ في القرآن الكريم حملت اسم الإخلاص، للدلالة على خطرالإخلاص وأهميته، وذكر النَّبيُّ ﷺ أنَّها «تعدل ثلث القرآن»[٢].

فضل الإخلاص وأهميته:

تكاثرت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة في فضل الإخلاص والحث عليه والترغيب فيه، وقد ذكرنا في مقدمة هذا الموضوع بعض الآيات القرآنية، وسنورد هنا بعض الأحاديث النبوية على وجه التمثيل، فمنها:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ رجع من غزوة تبوك

---

(١) وانظر "جامع العلوم والحكم" ص(٦٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠١٥)، ومسلم (٨١١).

فدنا من المدينة، فقال: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا، مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ» قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: «وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ العُذْرُ». متفق عليه[1]

وعن سعد بن أَبي وقّاص رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ» متفق عليه.[2]

أهمية الإخلاص والنية الصالحة:

الإخلاص والنية الصالحة مَحَلُّ نظر الرحمن لقوله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٧].

قال الواحدي: أَيْ: النِّيَّةُ والإخلاص وما أريد به وجه الله تعالى.[3]

الإخلاص هو حقيقة الدين، ومقتضى دعوة المرسلين، وهو الأساس الذي ينبني عليه قبول العمل أو ردّه، لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]. أي: مُخلصين له الطاعات، موحدين لا يعبدون ولا يقصدون معه غيره سبحانه.

١- وبالإخلاص وصالح النية يكثر الأجر مع قلة العمل، ويقع الأجر لو مَنع من أداء الطاعة مانع: فعن أبى موسى الأشعري رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا مَرِضَ العَبْدُ، أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا». رواه البخاري[4]

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٢٣) واللفظ له، وأخرجه مسلم (١٩١١) من حديث جابر بن عبد الله مثله، وفيه: "حبسهم المرض"، وفي رواية عنده: «إِلَّا شَرِكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ».

(٢) أخرجه البخاري (٥٦)، ومسلم (١٦٢٨).

(٣) تفسير الوجيز (١/ ٧٣٤).

(٤) أخرجه البخاري (٢٩٩٦)

قال الحافظ في الفتح: «وهو في حق من كان يعمل طاعة فمُنِع منها وكانت نيته لولا المانع أن يدوم عليها». (١)

٢- وبالنية الصالحة والإخلاص تتحول العادات والمباحات إلى طاعات وقربات.

فعن سعد بن أبى وقاص أنّ رسول الله ﷺ قال: «إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ». متفق عليه(٢)

ولقد وصف الخليفةُ هشام بن عبدالملك ابنَ عمه الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله، فقال: ما أحسب عمر خطا خطوة إلا وله فيها نية. (٣)

لذلك ينبغى عليك أخى المسلم أن تعتنى أشد العناية بالنية وتصحيحها قبل كل عمل، سواء في ذلك الطاعات أو العادات حتى تتحول الى قربات، فعليك استحضار النية قبل الأكل، وقبل الخروج من البيت، وقبل لقاء إخوانك وأصدقائك، وقبل توجهك إلى عملك، وقبل الاجتماعات واللقاءات، فلو أكلت أو شربت بنيّة التَّقَوِّي على الطاعات، أو خرجت إلى العمل بنية نفع الناس، والقيام بحقوق أهلك وأبنائك، أو حضرت اجتماعًا أو لقاء بنية خدمة الإسلام والعمل للدعوة، فإنّ ذلك كلّه يتحول إلى طاعات إذا وافق نية صالحة.

من صور الإخلاص:

والإخلاص له صور كثيرة غير التي ذكرناها، منها:

---

(١) فتح الباري (٦/ ١٣٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦)، ومسلم (١٦٢٨).

(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص ٢٩-٣٠

١ - الإخلاص في العمل والوظيفة، وذلك بأن يسخر قوته، ويبذل قصارى جهده في سبيل إنجاح عمله، وأن يكون أمينا في استثمار وقته، وفي إدارة الموارد التي يطلب إليه أن يستخدمها أو يديرها، مثل الأموال والأدوات والوسائل وغيرها.

٢- إخلاص المعلم في وظيفته، فالتعليم من أشرف المهن، فهي مهمة الأنبياء والرسل والمصلحين على مدار الزمن، ويجب على المعلم أن يستشعر عظم المسؤولية الملقاة على عاتقه، لأنّ الله تعالى سيسأله عن هؤلاء الطلاب الذين هم أمانة بين يديه، فلا بدّ أن يكون قدوة صالحة في القول والعمل، حريصا على طلابه يعاملهم معاملة الأب لأبنائه، يوجههم إلى الخير، ويختار لهم أفضل الطرق والوسائل لتربيتهم وتعليمهم.

٣- إخلاص الداعية لدعوته: وذلك بتجريد نيته وتحريرها من أية مصالح دنيوية، أو رغبات شخصية، أو أهواء نفسية، وربطها برب السموات والأرض الذي لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا لوجهه الكريم، وعليه أن يبذل جهده ونفيس وقته من أجل تحقيق أهداف الدعوة، وأن يقدم دعوته على ما سواها من أعمال ومشاغل.

أثر الرياء وخطره:

الرياء مشتق من الرؤية، وهو القيام بالعمل ليراه الآخرون، وهو ينافي الإخلاص فالمخلص من يعمل العمل لله وحده لا شريك له، والمرائي يكون عمله لغير الله تعالى أو لله وغيره، بحيث يحبّ أن يَطَّلِعَ الناسُ على عمله لينال إعجابهم وتقديرهم، أو ليكتسب منزلة عندهم، أو قد يكون الباعث على عمله الخوف والحياء من الناس فالرياء محبط للعمل، ومسقط للأجر.

والرياء يعتبر من قبيل الشِّرك الخفيّ، فعن أبي هُريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ». رواه مسلم[١].

خطر الرياء:

الرياء خطره عظيم على الفرد والجماعة، وعلى المجمتع والأمة، ومن مخاطره:

١- أنه محبطٌ للأعمال مضيّعٌ لأجرها وبركتها كما مرّ بنا.

٢- الرياء ضَرْبٌ من الشرك - كما جاء في الحديث المارّ قريبا-، ويدلُّ على خلل في عقيدة المرائي، وعدم معرفته بربه جل وعلا، فلو عرف ربَّه تعالى ما قصد غيره.

٣- أنّه سببٌ من أسباب العذاب في الآخرة، بل هو من أعظم الكبائر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ». رواه مسلم[١].

٤- أنّه يُورِث الفضيحة والنقيصة والهوان، ويُعرِّض صاحبه للفتن، ففي صحيح البخاري عن جُندب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ»[٢].

علاج الرياء:

ذكرنا فيما مضى خطورة الرياء ووجوب اجتنابه، ومن فَتَّش نفسه، ووجد منه شيئًا، وجب عليه أن يسارع في علاجه، ومن الطرق التي يمكن للمرء أن يستعين بها:

١- العلم النافع:

وذلك بمعرفة الرياء وحكمه وخطره وأسبابه وطرق دفعه، كما ويتعرف جوانب العقيدة المتعلقة بالله تعالى وأسمائه وصفاته، فهو تعالى وحده الذي يحيي ويميت، وينفع ويضر، ويعز ويذل، ويخفض ويرفع، ويعطي ويمنع؛ ويجب عليه أن يستشعر معية الله تعالى للعبد، ومراقبته له فيما يصدر عنه من أقوال وافعال، فإذا عرف ذلك وعلم بأنَّ الله هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له، أثمر ذلك إخلاصًا وصدقًا مع الله.

٢- الدعاء والاستعانة بالله تعالى على التخلّص من الرّياء:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ ذات

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٠٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٩٩).

يوم فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ؛ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ». فَقَالَ لَهُ مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ: وَكَيْفَ نَتَّقِيهِ، وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: قُولُوا: «اللهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُ». رواه أحمد[1] وغيره.

٣- ذكرُ الموت، وعذاب القبر، والتعرف على ما أعده الله تعالى لأهل الجنة من نعيم مُقيم، وما أعده لأهل النار من عذاب وجحيم، فالله تعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾ [ص: ٤٦].

٤- النَّظرُ في سير العلماء والصالحين، وصحبة أهل الصلاح، قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [الكهف: ٢٨].

---

(١) أخرجه أحمد (١٩٦٠٦) في إسناده ضعف، وله شاهد من حديث معقل بن يسار أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧١٦) نرجو أن يتقوى به.

التوبة

التوبةُ بابٌ فتحه الله تعالى للطائعين وللعاصين والمسرفين والمقصرين رحمةً منه وفضلا، حتى يتوقف العاصي عن معصيته، ويستدرك المقصر تقصيره، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٣ - ٥٤].

تعريف التوبة:

التوبة شرعا: الندم على المعصية، والرجوع عما كان مذموما في الشرع إلى ما هو محمود فيه، والعزم على عدم العود. ابتغاء مرضاة الله.

حقيقة التوبة:

التوبة انتفاضةٌ في الشعور، وإحساسٌ بالندم على التفريط فيما ينبغي، أو الإسراف فيما لا ينبغي، يتبعه أو يرافقه تحرُّكُ إرادةٍ تبعث على الترك أو الفعل - ترك ما لا ينبغي، وفعل ما ينبغي - وإنكسارُ قلبٍ وبُغْضٌ ومَقتٌ لما ندم عليه، ثم عزمٌ وتصميمٌ على عدم العودة إلى المعصية في المستقبل.

والتوبة قد تكون من الكفر إلى الإيمان، وقد تكون بترك المعاصي ولزوم الطاعة، أو استبدال التشمير بالتقصير، ويدخل فيها ترك المكروهات وفعل المندوبات والمستحبات.

حكم التوبة وشروط صحتها:

تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة، وإجماع الأمة على وجوب التوبة، فقد أمر الله تعالى بالتوبة، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]. وقال: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣]. وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]. وحذَّر من عدم التوبة، فقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

وعن الأَغَرِّ بْن يَسار المُزنِيِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا أَيُّها النَّاس تُوبُوا إِلى اللهِ واسْتغْفرُوهُ فإِني أَتوبُ في اليَوْمِ مائة مَرَّة» رواه مسلم.[1]

فيجب على المسلم أن يتوب من جميع الذنوب والمعاصي، فإن تاب من بعضها صحّت توبته من ذلك الذنب.

ووجوب التوبة على الفور، ولا يجوز تأخيرها بحال، فإن تأَخَّرتْ وقع صاحبُها في معصية أخرى، وهي تأخير التوبة، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٧ - ١٨].

والتوبة مندوبة في ترك المكروهات، وفعل المندوبات.

أما شروطها: فقد ذكر العلماء شروطا للتوبة لخَّصها الإمامُ النوويُّ في «رياض الصالحين»[2] حيث قال:

«قال العلماءُ: التَّوبةُ واجبةٌ من كلِّ ذنب فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلَّقُ بحقّ آدميٍّ فلها ثلاثةُ شروط:

أحدُها: أن يُقلِعَ عن المعصية.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٢).

(٢) ص ٣٣ طبعة الرسالة

والثَّاني: أَن يَندمَ على فعلها.

والثَّالثُ: أن يَعزِم أَن لا يعود إليها أَبدًا. فإن فُقِدَ أَحدُ الثَّلاثة لم تصحّ توبته.

وإن كانت المعصيةُ تتعلق بآدميٍّ فشروطُها أربعةٌ: هذه الثَّلاثةُ، وأن يَبْرأ من حقّ صاحبِها، فإن كانت مالًا أَو نحوَهُ ردَّه إِليه، وإن كانت حَدَّ قَذْفٍ ونحوَه مَكَّنَهُ منه أَو طلب عفوَه، وإن كانت غِيبَةً استحلَّه منها» انتهى.

التوبة النصوح:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّـٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُ﴾ [التحريم: ٨].

فالنُّصحُ في التَّوبة تَخلِيصُها من كلِّ غِشٍّ ونقصٍ وفسادٍ، وإيقاعُها على أكمل الوجوه؛ والنُّصحُ ضدُّ الغِشِّ.

قال عمر بن الخطَّاب، وأُبَيُّ بن كعبٍ رضي الله عنهما: التَّوبةُ النَّصوحُ أن يتوب من الذَّنب ثمّ لا يعودَ إليه، كما لا يعود اللَّبنُ إلى الضِّرع.

فَنُصحُ التَّوبةِ: الصِّدقُ فيها، والإخلاصُ، ولا ريب أنّ هذه التَّوبةَ تَستلزمُ الاستِغفارَ وتَتَضَمَّنُه، وتَمحو جميعَ الذُّنوب، وهي أَكمل ما يكونُ من التَّوبة.(١)

أهمية التوبة وفضلها:

قال تعالى: ﴿قُلۡ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٣١٧). باختصار

المراد بالإسراف: الإفراطُ في المعاصي، والاستكثار منها، ومعنى ﴿لَا تَقۡنَطُواْ﴾: لا تيأسوا، ﴿مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾: من مغفرته. ثمَّ لمّا نهاهم عن القنوط أخبرهم بما يدفعُ ذلك ويرفعُه، ويجعلُ الرَّجاءَ مكان القُنوطِ، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾. وتعد هذه الآية أرجى آية في كتاب الله تعالى، لما اشتملت عليه من سعة رحمة الله تعالى وسعة مغفرته.

وقال: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[التوبة: ١٠٤].

فليعلم التائب أنَّ الله هو الذي يقبل التوبة الصادقة، والصدقة الطيبة، وهو العَفُوّ الذي يعفو ويتجاوز عن السيئات، فهو سبحانه واسع الفضل والجود والإحسان، المتفضل على عباده برحمته.

عن أبي مُوسى الأَشعريِّ، رضي الله عنه، عن النَّبيَّ ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهَارِ ليَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مغْرِبِها». رواه مسلم[١].

وتتجلى أهمية التوبة في عدة أمور، منها:

١- يدفع الله تعالى بالتوبة عُقُوبات المعاصي وشُؤْمَها.

يستبدل الله تعالى سيئات التائب حسنات. قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[الفرقان: ٧٠].

٢- تُحقّق الإيجابية في الحياة، وتُمكِّن المرء من فتح صفحة جديدة مع

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٥٩).

الله تعالى ومع الناس، مليئة بالأعمال الصالحة التي تنفع العبد وتنفع المجتمع والأمة.

٣- التوبة سبب من أسباب الزيادة في الخيرات وسعة الأرزاق لقوله تعالى على لسان نبيه نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا﴾ [نوح: ١٠ - ١٢].

٤- التوبة سبب من أسباب منع العذاب ورفعه إذا وقع، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣].

سيد الاستغفار:

عن شَدّادِ بن أوْسٍ رضي الله عنه عن النّبي ﷺ قال: «سَيِّدُ[١] الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ». أخرجه البخاري[٢]

تضمن هذا الاستغفار اعتراف العبد بعظمة الله تعالى وألوهيته وتدبيره لهذا

---

(١) (سيد الاستغفار): لمَّا كان هذا الدّعاء جامعا لمعاني التَّوبة كلِّها استُعير له اسم السَّيِّد وهو في الأصل الرَّئيس الّذي يُقصد في الحوائج ويُرجع إليه في الأمور. فتح الباري (١١/ ٩٩) نقلا عن الطيبي.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٦ و٦٣٢٣).

الكون مع الاعتراف بالتقصير تجاهه سبحانه، والاستغفار مما ارتكبت يداه من خطايا، ثم التعهد بالمحافظة على أمره ونهيه سبحانه قدر الاستطاعة، ومن قال هذا الدعاء كان من أهل الجنة، لذا كان سيد الاستغفار.

من قصص التائبين:

توبة امرأة زانية في زمن النبي ﷺ:

وعن عِمرانَ بن الحُصيْنِ رضي الله عنهما: أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ أَتَتْ نَبِيَّ اللهِ ﷺ وَهِيَ حُبْلَى مِنَ الزِّنَى، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَصَبْتُ حَدًّا، فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، فَدَعَا نَبِيُّ اللهِ ﷺ وَلِيَّهَا، فَقَالَ: «أَحْسِنْ إِلَيْهَا، فَإِذَا وَضَعَتْ فَأْتِنِي بِهَا»، فَفَعَلَ، فَأَمَرَ بِهَا نَبِيُّ اللهِ ﷺ، فَشُكَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابُهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَرُجِمَتْ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهَا، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: تُصَلِّي عَلَيْهَا يَا نَبِيَّ اللهِ وَقَدْ زَنَتْ؟ فَقَالَ: «لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ، وَهَلْ وَجَدْتَ تَوْبَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا لِلَّهِ تَعَالَى؟». رواه مسلم(١)

دعاء كفارة المجلس:

عن أَبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ». أخرجه الترمذي(٢)

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٩٦).

(٢) (٣٤٣٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

الدعاء

الدعاء من أعظم العبادات، وأجلِّ القربات في الإسلام، وله أهمية بالغة في حياة المسلم، وسنتعرف في هذا الموضوع على معنى الدعاء، وأهميته وفضله، وآدابه.

معنى الدعاء:

الدُّعاء: هو استدعاءُ العبدِ ربَّه عز وجل العِنايةَ واستمدادُه إيَّاه المعُونةَ.(١) أو هو: تَوجُّهُ العبدِ إلى ربِّه فيما يحتاجُه لإصلاح دينه ودنياه.

حقيقة الدعاء:

إظهارُ الافتقارِ إلى الله تعالى، والتبَرُّؤ من الحول والقوة، وهو سِمَةُ العبودية، واستِشعارُ الذِّلةِ البشريّةِ، وفيه معنى الثَّناءِ على الله عزَّ وجلَّ، وإضافةُ الجود والكرم إليه؛ ولذلك قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ».(٢)

فضل الدعاء:

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[البقرة: ١٨٦].

---

(١) شأن الدعاء ص(٥).

(٢) شأن الدعاء للخطابي ص(٥)، والحديث أخرجه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وهو كما قال.

وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢].

وعن النُّعمان بن بشيرٍ رضي الله عنهما، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «الدُّعاءُ هوَ العِبَادةُ». رواه أَبُو داود، والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.[1]

أهمية الدعاء:

لا شك أنّ للدعاء أهمية بالغة في حياة المسلم، فهو الحصن الحصين، يأوي إليه من أَلـمّت به الخطوب، وانقطعت به الأسباب، وتعاظمت عليه الكروب، وأُغلقت دونه الأبواب، فالدعاء مشعل نُورٍ إذا عمَّ الظَّلام، ويَقَظَةُ رُوحٍ إذا غفل الأنام، واعتصامُ قلبٍ بذي الجلال والإكرام.

وتبرز أهمية الدعاء في ما يلي:

١- الدعاء أصل العبادة:

فالدُّعاءُ يُفيدُ معرِفةَ ذِلَّةِ الْعبوديَّةِ ويُفيدُ معرفةَ عِزَّةِ الرُّبوبيَّةِ، وهذا هو المقصُودُ الأَشرَفُ الأَعلى من جميعِ العباداتِ.

وبيانُهُ: أَنَّ الدَّاعِيَ لا يُقدِمُ على الدُّعاءِ إِلَّا إِذا عرف من نفسهِ كونَهُ مُحتاجًا إِلى ذلكَ المطلُوبِ وكونَهُ عاجزًا عن تَحصيلِهِ، وعرف من ربِّهِ وإِلَهِهِ أَنَّهُ يسمعُ دُعاءَهُ، ويعلَمُ حاجتَهُ، وهوَ قادِرٌ على دفع تلك الحاجةِ، وهو رحيمٌ تقتضي رحمتُهُ إِزالةَ تلك الحاجة، وإِذا كان كذلك فهو لا يُقدِمُ على الدُّعاءِ إِلَّا إِذا عرف كونَهُ موصُوفًا بالحاجةِ وبالعجزِ، وعرفَ كونَ الإِله سبحانه مَوصوفًا بكمالِ العِلمِ والقُدرَةِ والرَّحمةِ، فلا مَقصودَ من جَميعِ التَّكاليفِ إِلَّا معرفَةُ ذُلِّ العُبودِيَّةِ وعزّ الرُّبُوبيَّةِ، فإِذا كان الدُّعاءُ مُسْتَجمعًا

(١) أخرجه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨). وقد تقدم قريبًا.

لهذَيْنِ المَقامينِ لا جَرَمَ كان الدُّعاءُ أَعظمَ أَنواعِ العباداتِ.[١]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ هُوَ الدُّعَاءُ»، وقرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].[٢]

٢- الدعاء مفتاح تحقيق الرَّغائب وزَوَال النَّوائب:

قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢]، والمراد: أن يطلُبَ المسلمُ من فضلِ الله تعالى ما يكون سببًا لإصلاحِ دِينِه ودُنياهُ على سبيلِ الإطلاقِ، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٦٢].

٣- والدعاء باب القرب من الربّ تعالى.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

٤- وهو دِثَارُ المُشَمِّر، وغَوثُ المُقَصِّر:

قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦].

﴿تَتَجَافَىٰ﴾: أي تتنحى وتبتعد عن الفُرُش، ومواضع النوم، ﴿خَوْفًا﴾: يدعون ربهم خوفا من عقابه وعذابه، وتغير الأحوال، ﴿وَطَمَعًا﴾ فيما عنده من خيري الدنيا والآخرة.

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي (١/ ١٥٧).

(٢) أخرجه الحاكم (١٨٠٥) عن ابن عباس موقوفا عليه من قوله، وإسناده جيد.

الدُّعاء للمؤمن بظهر الغيب

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩]، وقال تعالى: إخبارًا عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١].

وعن أبي الدَّرداء رضي الله عنه أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِن عبْدٍ مُسْلِمٍ يَدعُو لأَخِيهِ بِظَهرِ الغَيْبِ إلاَّ قَالَ المَلكُ ولَكَ بمِثْلٍ». رواه مسلم.[1]

آداب الدعاء:

للدعاء آداب يجدر بالمرء أن يُراعيَها، ومنها ما يلي:

١- أن يترصَّد لدعائه الأوقات الشّريفة كيومِ عَرفةَ من السَّنة، ورمضان من الأشهر، ويومِ الجُمُعة من الأسبوعِ، ووقت السَّحَر من اللَّيلِ، قال تعالى: ﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٨].

٢- أن يَغتنِم الأحوال الشَّريفة، كحال زَحفِ الصُّفوف في سبيل الله تعالى وعند نزول الغيث، وعند إقامة الصلوات المكتوبة، وخلف الصلوات، وبين الأذان والإقامة، وحالة السُّجود.

وبالحقيقة يرجع شرفُ الأوقات إلى شرف الحالات أيضًا، إذ وقتُ السَّحرِ وقت صفاء القلبِ وإخلاصه وفراغه من المُشوِّشات، ويومُ عَرفةَ ويومُ الجُمُعة وقتُ اجتماعِ الهِمم، وتعاون القلوبِ على استِدرار رحمة الله عزّ وجلّ.

٣- أن يدعو مُستقبِلًا القبلة، ويرفع يديه، ويجوزله أن يمسح بهما وجهه في آخرِ الدّعاء.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٣٢).

٤- خفض الصوت بين المُخافَتة والجهرِ، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠]، أَي بدُعائك، وقد أَثنى تعالى على نبيّه زكريَّا عليه السَّلام حيث قال: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣]، وقال تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥].

٥- أن لا يتكلف السجع في الدعاء، وليحرص على الدعاء بالأدعية المأثورة فإِنّه قد يَعتَدي في دعائه، فيسأل ما لا تقتضيهِ مصلحته، فما كلّ أحد يحسن الدعاء.

٦- التضرُّع والخشوع والرَّغبةُ والرَّهبةُ، قال تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥].

٧- أن يجزمَ الدُّعاءَ ويُوقِنَ بِالإجابةِ، ويصدق رجاءه فيه، فقد روى مسلم[(١)] عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ، قال: «إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلْ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ».

٨- أن يفتتح الدُّعاءَ بذكرِ الله تعالى، ولا يبدأ بالسؤال، ثم يُصلي على النبي ﷺ، ويختم بها أيضًا.

٩- وهو الأَدبُ الباطنُ، وهو الأَصل في الإجابة: التَّوبةُ، وردُّ المظالمِ، والإِقبالُ على الله عزّ وجلّ بِكُنْهِ الهمَّة، فذلك هو السَّبب القريب في الإِجابة.

١٠- أن يدعو بِمَجامِعِ الدُّعاء، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يَستحِبُّ الجَوامِعَ مِنَ الدُّعاءِ، ويَدَعُ مَا سِوى ذَلِكَ».[(٢)]

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٩).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٨٢)، وأحمد (٢٥١٥١)، وابن حبان(٨٦٧)، وهو صحيح.

١١- تحري الحلال في المطعم والمشرب والملبس. عن أَبِي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة: ١٧٢] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟». رواه مسلم[١].

١٢- أن يكون المدعو به من الأمور الجائزة الطلب والفعل شرعا.

١٣- وأن يُلِحَّ في الدعاء، ويُكرِّره، وأن لا يَستبطئَ الإجابة. عن أَبِي هريرة رضي الله عنه، عنِ النبي ﷺ أنّه قال: «لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الِاسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: يَقُولُ: «قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ». أخرجه مسلم[٢].[٣]

---

(١) أخرجه مسلم (١٠١٥).

(٢) أخرجه مسلم (٣٧٣٥).

(٣) ينظر إحياء علوم الدين (١/ ٣٠٤) فما بعدها، وموعظة المؤمنين ص (٨٤-٨٥).

ذكر الله تعالى

إنَّ ذكرَ الله تعالى من أفضل الأعمال وأزكاها، وأكملها وأبهاها، وأكثرها أجرا وأغلاها، فليس بعد تلاوة القرآن عِبادةٌ تُؤدّى باللسان أفضل من الذكر والدعاء، لذلك وجب علينا أن نتعرف معنى الذكر وحقيقته، وفضله وأهميته، وآدابه وبعض أوراده.

معنى الذكر:

الذكر شرعا يَشمَلُ معنيين:

أحدهما: معنى عام: ويشمل كل أنواع العبادات، من صلاة، وصيام وحج وقراءة قرآن، وثناء، ودعاء، وأذكار، وغير ذلك من أنواع الطاعات، لأنها إنّما تُقام لذكر الله وطاعته وعبادته.

وثانيهما: معنى خاص: ويشمل الأذكار المخصوصة التي خَصَّها الشارع بأجرٍ مخصوص، أو عددٍ مُعيَّن، أو وقت معين، أو فضيلةٍ معينة، ونحو ذلك.

حقيقة الذكر:

أصل الذكر: التَّنَبُّهُ بالقلب للمذكور، والتَّيَقُّظُ له، وسُمِّيَ الذكرُ باللسان ذِكرا، لأنَّه دلالة على الذكر القلبي، ولما كثُر إطلاق الذكر على القول اللساني صار هو السابق للفهم.[١]

واعلم أنَّ الذِّكر يكون باللِّسان، وبالقلب، وبالجوارح.

---

(١) تفسير القرطبي (٢/ ١٧١)

فأمّا الذي يكونُ باللِّسانِ فهو ذِكرُ أَسماءِ الرَّبِ وصفاتِه والثَّناءِ عليه بما أثنى به على نفسه وبما أثنى عليه رسوله ﷺ، وتَنزيهُهُ وتَقديسُه عما لا يليق به تبارك وتعالى.

وأما الذي يكون بالقلبِ، فهو الفِكرُ في الدَّلائل الدَّالَّةِ على التَّكاليف، والأَحكام، والفِكرُ في الصِّفات الإلهيَّة. والفِكرُ في أَسرار مخلُوقات الله تعالى.

وأما الذي يكون بِالجوارح: فيتحقق بأَن تكونَ مُستَغرِقَةً في الأَعمال المأمور بها، خاليةً عن الأَعمال المنهيِّ عنها. وعلى هذا الوجه، سَمَّى اللهُ الصَّلاةَ ذكرًا بقوله: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[الجمعة: ٩].(١)

فضل الذكر:

تكاثرت الأدلة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ على فضل الذكر، منها:

قول الله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] وقال: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ إِلَى قَوْله تَعَالَى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب: ٣٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأَنْ أَقُولَ سبْحانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ، وَلاَ إِلَه إلاَّ الله، وَالله أكْبرُ، أَحبُّ إليَّ مِمَّا طَلَعَت عليهِ

---

(١) ينظر البحر المحيط لأبي حيان (٢/ ٤٩)، وتفسير الرازي (٤/ ١٢٤)، وروح البيان (١/ ٢٥٦)، والوابل الصيب ص(١٥٥) طبعة دار البيان بتحقيق الشيخ عبد القدر الأناؤوط. وفتح الباري لابن حجر العسقلاني (١١/ ٢٠٩).

الشَّمْسُ» رواه مسلم[١].

وعن أبي أيوب الأنصاريِّ رضي الله عنه عن النَّبيّ ﷺ قال: «مَنْ قالَ لا إلهَ إلاَّ الله وحْدهُ لاَ شَرِيكَ لهُ، لَهُ المُلْكُ، ولَهُ الحمْدُ، وَهُو، عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِير عشْر مرَّاتٍ: كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أرْبعةَ أَنفُسٍ مِن وَلِد إسْماعِيلَ» متفقٌ عليهِ.[٢]

أهمية الذكر:

إنَّ الذِّكرَ يتبوأُ منزلةً رفيعةً بين العبادات لا تُدانيها منزلة، إلا تلاوة القرآن، فهو من أجلِّ العبادات وأعظمها أجرا، وهو بَابُ اللهِ الأَعظمُ المفتوحُ بينه وبين عبده، ما لم يُغلِقهُ العبدُ بِغَفلته، ووجوه أهميته كثيرة نذكر منها:

١- الذكر هو المقياس الحقيقي لمحبة الله تعالى:

فمن أحبَّ شيئا أكثرَ من ذكره، والعبدُ الذي يُحبُّ ربَّه تعالى يذكره على كل حال، حتى في أشدِّ الأَوقات حَرَجَا، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[الأنفال: ٤٥].

وأعلى أنواع محبة الله تعالى: أن يَحبِسَ لسانَه وقلبه على ذِكره، فإنَّ الذكر يُورث المحبة، وقد جعل الله لكل شيء سببًا، وجعل سبب المحبة دوام الذكر.

٢- الذكر حياة القلوب:

إنَّ الذِّكرَ حياةُ القلوب، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾[الأنفال: ٢٤].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٠٣ و ٦٤٠٤)، ومسلم (٢٦٩٣) واللفظ له.

وعن أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ قال: »مَثَلُ الَّذِي يَذكُرُ ربَّهُ وَالذي لا يذكُرُهُ، مَثَلُ الحيِّ والمَيِّتِ« رواهُ البخاري.(١)

وقال ابن تيمية رحمه الله: الذِّكرُ للقلب مثل الماء للسَّمَكِ، فكيف يكون حالُ السَّمكِ إذا فارق الماء.(٢)

٣- الذِّكرُ يرفع الذِّكرَ:

قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «يقُولُ الله تَعالى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِن ذَكَرَني في نَفْسهِ، ذَكَرْتُهُ في نَفسي، وإِنْ ذَكَرَني في ملإٍ، ذكَرتُهُ في ملإٍ خَيْرٍ منْهُمْ» متفق عليه.(٣)

الذِّكرُ يرفع ذِكرَ الذَّاكر، ولعلَّ هذا الوجه من أرجى وجوه أهمية الذكر.

٤- الذِّكرُ هو الحِصنٌ الحَصين:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٩٨ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٨ - ١٠٠].

وننصحك في هذا المقام أن تقرأ المأثورات للإمام حسن البنا رحمه الله صباحا ومساء، فإن لم تستطع أن تقرأها كاملة فاقرأ الوظيفة الصغرى.

٥- والذكر راحلة السابقين:

مر بنا في فضل الذكر، عظيمُ الأَجرِ والثواب الذي أعدّه الله تعالى للذاكرين.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٧).

(٢) الوابل الصيب ص(٤٢).

(٣) أخرجه البخاري(٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سَبَقَ المُفَرِّدُونَ»، قالوا: ومَا المُفَرِّدُونَ يَا رسُول اللهِ؟ قال: «الذَّاكِرُونَ الله كَثيرًا والذَّاكِراتُ». رواه مسلم.[1]

أوراد ختم الصلوات:

مما ورد عن النبي ﷺ في أذكار ختم الصلوات:

عن ثوبان رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا، وَقَالَ: «اللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»، قِيل للأَوْزاعي: وهُوَ أَحَد رُواةِ الحديث: كيفَ الاستِغفَارُ؟ قال: تقول: أَسْتَغْفرُ الله، أَسْتَغْفِرُ الله. رواهُ مسلم.[2]

وعن المُغيرة بن شعبة رضي الله عنه أنَّ رسول اللهﷺ كان إِذَا فَرغَ مِنَ الصَّلاة وسلَّم قالَ: «لاَ إلهَ إلاَّ الله وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لهُ المُلْكُ ولَهُ الحَمْدُ، وهُوَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ. اللَّهُمَّ لاَ مانِعَ لِمَا أعْطَيْتَ، وَلا مُعْطيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ ينْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ[3]» متفقٌ عليهِ.[4]

وعن معاذٍ رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ أَخذ بيَدِهِ وقال: «يَا مُعَاذُ، وَاللهِ إنِّي لأُحِبُّكَ»، فَقَالَ: «أُوصِيكَ يَا معاذُ لاَ تَدعَنَّ في دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ تقُولُ: اللَّهُمَّ أعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وشُكْرِكَ، وَحُسنِ عِبادتِكَ». رواه أبو داود بإسناد صحيح.[5]

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٦).

(٢) أخرجه مسلم.(٥٩١)

(٣) (ولا ينفع ذا الجد منك الجد): لا ينفع صاحب الغنى غناه عندك، وإنما ينفعه عمله الصالح.

(٤) أخرجه البخاري (٨٤٤ و٦٣٣٠ و٦٦١٥ و٧٢٩٢)، ومسلم (٥٩٣).

(٥) أخرجه أبو داود (١٥٢٢).

آداب الذكر:

١- الاخلاص في الذكر واستحضار النية.

٢- حضور القلب واستشعار عظمة المذكور:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

٣- التفكر والتدبر فيما يذكر.

٤- الالتزام بالوقت والمحل والمكان والعدد في الذكر المؤقت والمقيد.

٥- يحرص على أن يذكر الله في كل أوقاته.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

٦- يستحب أن يكون على طهارة عند الذكر.

عن المُهاجِر بن قُنفُذ أنَّه سلّم على رسول الله ﷺ وهو يَتَوَضّأُ فلَم يَرُدَّ عليه، فلَمّا فرَغَ مِن وُضوئه قال: «إنه لم يَمنَعْنِي أن أرُدَّ عَلَيكَ إلا أني كَرِهتُ أن أذكُرَ اللهَ إلا على طَهارَةٍ». رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه.[1]

٧- أن يلزم أذكاره وأوراده التي اعتاد عليها، فإن فاته منها شيء تداركه، عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلاةِ الْفَجْرِ وَصَلاةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ». رواه مسلم[2]

٨- يجتهد ما أمكنه أن يعمل بما بلغه من صنوف الأذكار ولو مرة واحدة.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٧)، والنسائي (٣٨)، وابن ماجه (٣٥٠). وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه مسلم (٧٤٧).

العلم وفضله

يعد العلم الميدان الأهم الذي تتنافس فيه الحضارات والأمم قديما وحديثا، وتَبذل الدول قصارى جهدها في سبيل تحقيق السبق فيه، فالدول العظمى - في أيامنا هذه - تُنفق بسخاء على مراكز البحث العلمي، ولا نبالغ إذا قلنا: إنّ قيمة الدول في زماننا هذا إنما تُقاس بحجم الإنفاق في مجال البحث العلمي ومراكز المعلومات والإفادة منها.

كما يُعدُّ الإسلام ثورة حقيقية قامت في وجه الجهل والتخلف، فالحقبة التي سبقت الإسلام اتسمت بالجهل، وأُطلق عليها اسم الجاهلية، قال تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وقال: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، وقد حرص الإسلام على العلم حرصا كبيرا وقد ورد ذكره في القرآن في (٧٧٩) موضعًا، بخلاف المفردات التي تدور حول إطار العلم، كالفكر، والتفكر، والنظر، والحجة، والهداية، والحكمة، وغيرها.

واستطاعت هذه الأمة أن تنجب الكثير من العلماء في مختلف العلوم والفنون، حتى إنّ حواضر العالم الإسلامي عبر الأزمنة المختلفة كانت حواضر علمية بامتياز مثل دمشق وبغداد والقاهرة والأندلس، يَفِدُ إليها المتعلمون من أصقاع الأرض لينهلوا من روافد الفكر والمعرفة فيها، وقد أسهمت الحضارة الإسلامية إسهامات عظيمة في تاريخ الحضارة الإنسانية لا يزال ذكرها وأثرها حتى يومنا هذا.

ونحن نؤكد على وجوب التميّز في العلم بجملته في كل أركانه ومقوماته

وتخصصاته، في علوم الشريعة خصوصًا، وفي الطب، والهندسة، والفيزياء، والكيمياء والحاسب الآلي، والتكنولوجيا بأنواعها، وغيرها من التخصصات الحيوية والدقيقة وإن كنا سنركز في موضوعنا هذا على العلم المتعلق بالجانب الشرعي، وذلك لحاجة كل إنسان إليه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنّ المنهج العلمي متى تحقق في جانب، فإنه يدعو إلى التميز في كل الجوانب.

تعريف العلم الشرعي

العلم الشرعي: هو معرفة العلوم الدينية كالعقيدة والفقه والتفسير والحديث والآداب ونحوها.[١]

أهمية العلم وفضله:

تكاثرت النصوص الشرعية من كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ وأقوال العلماء في بيان أهمية العلم وفضله، ومنها الآتي:

١- العلم إمام العمل، وهو أولٌ، قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] فَبَدَأَ بِالعِلْمِ؛ وأولُ آياتٍ نزلت على النبي ﷺ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[العلق: ١ - ٥].

٢- علو منزلة العلماء ورفعتها في الدنيا والآخرة: قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨] فانظر كيف بدأ الله سبحانه وتعالى بنفسه، وثنَّى بالملائكة، وثلّث بأهل العلم، وناهيك بهذا شرفًا وفضلًا.

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة ٢/ ١٥٣٤

وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ».(١)

٣- والعلم تركة الأنبياء - أَنعِم بها من تركة-، والعلماء ورثتهم، وقد جاء في الحديث: «وإنَّ الأنْبِياءَ لَمْ يُورِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا وإنَّما ورَّثُوا الْعِلْمَ، فَمنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحظٍّ وَافِرٍ».(٢)

٤- تمييز العلماء بأنهم من أكثر الناس خشية لله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

٥- العلماء هم مرجع الأمة عند النوازل بعد الرسل، قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

رَدَّ حُكمَهُ في الوقائع والنوازل إلى استنباط العلماء وأَلحقَ رُتبتَهم برتبة الأَنبياء في كشف حكم الله تعالى.

٦- العلم من أعظم نعم الله تعالى التي تَفَضَّل بها على الإنسان، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

عدَّد سُبحانه نِعمَهُ وفضْلهُ على رسوله ﷺ، وجعلَ مِنْ أجلِّها: أنْ آتاهُ الكتابَ والحكمةَ، وعلَّمه ما لم يكنْ يعلم».(٣)

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧١ و٢٩٤٨، ٣٤٤٢، ٦٨٨٢، ٧٠٢٢)، ومسلم (١٠٣٧).
(٢) رواه أبو داود (٣٦٤١) والترمذي (٢٦٨٢) من حديث أبي الدرداء.
(٣) مفتاح دار السعادة (١ / ٥٢).

٧- العلم والتعليم رفعة للدرجات، وتعظيم للأجور. عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدىً كانَ لهُ مِنَ الأجْرِ مِثلُ أُجورِ منْ تَبِعهُ لاَ ينْقُصُ ذلكَ مِنْ أُجُورِهِم شَيْئًا». [١]

٨- العلم من الصدقات الجارية التي يبقى أجرُها بعد موت صاحبها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ». [٢] رواهُ مسلمٌ.

٩- طلب العلم من أعظم العبادات، فعن أبي هُريرةَ رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ومَنْ سلَك طرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سهَّلَ الله لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ». رواهُ مسلمٌ. [٣]

أثر العلم على الفرد والمجتمع:

إن أثر العلم على الأفراد والمجتمعات عظيم، وثمراته كثيرة، فمنها الآتي:

١- حاجة الناس إلى العلم وأهله أعظم من حاجتهم إلى المطر:

قال الإمامُ أحمدُ بن حنبل: الناس محتاجون إلى العلم أكثرَ مِن حاجتهم إلى الطعام والشراب؛ لأن الطعامَ والشراب يُحتاج إليه في اليوم مرة أو مرتين، والعلم يحتاج إليه بعددِ الأنفاس. [٤]

٢- تواترُ الدعاء بالخير من أهل السموات والأرض للعلماء لما لهم من

---

(١) رواهُ مسلم (٢٦٧٤).

(٢) أخرجه مسلم(١٦٣١)

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

(٤) مفتاح دار السعادة لابن القيم ص (٧٧).

مآثر ومواقف تفيد الأفراد والمجتمعات: وفي حديث أبي أمامة: «إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَواتِ وَالأَرَضِين حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ»(١).

٣- العلم الشرعي يساعدنا في التصدي للشبهات والأفكار الدخيلة على الإسلام وأهله، فبه نستطيع الرد على الطاعنين في الكتاب والسنة، وصدق النبوة، وبه نستطيع أن نقارع أصحاب الأفكار الهدامة من الملاحدة والعلمانيين والمستشرقين.

٤- العلم يحفظ الفرد والمجتمعات من الانهيار، ويحافظ على تماسك أبناء الأمة، فهو جزء من البناء الحضاري للأمم، وهو الكفيل بحفظ هُويتها وعاداتها وأعرافها وتقاليدها، وهو الحصن المنيع الذي يُسهم في نشر الفضيلة ومحاربة الرذيلة.

٥- والعلم يُعلي منازل أهله، ويجعل منهم أئمة في حياتهم وبعد مماتهم، ونظرة واحدة في كتب التراجم والسير تظهر هذا الأمر جليًا.

٦- والعلم يزيد صاحبه خشية وخوفا من الله تعالى، ويدفعه إلى الزيادة في الطاعات والخيرات، فالعلماء أكثر الناس معرفة بربهم سبحانه، وأكثرهم خشية لله وأتقاهم له قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

أبرز معالم ثقافة الداعية:

١- القرآن الكريم: دراسة كتب التفسير بالمأثور، والمعقول، البيانيُّ منها، والفقهي والحركي، والعلمي، ودراسة كتاب في علوم القرآن وأحكامه.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٨٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

٢- السنَّة النبوية المطهرة: القولية والعملية، بدراسة صِحاحها، وسننها، ومسانيدها وجوامعها، وشروحها، بَدءا بالكتب الستة وشروحها، كأصل من أصول التشريع ومفاتيح تدبُّر، وفهم صحيح لممارسات رسول الله ﷺ الدعوية، مع وجوب دراسة مصطلح الحديث حتى يطَّلع المسلم على القواعد والأبحاث المتعلقة بالإسناد والمتن، لضبط هذا العلم وتمييز مقبوله من مردوده.

٣- دراسة أحوال الصحابة والتابعين وسيرهم، والنظر في أقوالهم وأفعالهم رضوان الله تعالى عليهم.

٤- دراسة العقائد الإسلامية، وكتب الرد على شبهات الملاحدة والمستشرقين.

٥- دراسة الفقه الإسلامي وأصوله، وتاريخ مراحل تطوره.

٦- دراسة التاريخ الإسلامي: بدراسة السيرة النبوية، وقصص الأنبياء، وتواريخ الأحداث والأعلام، ومعرفة حركة التاريخ وتعاقباته السُّننية.

٧- علوم اللغة العربية: المفردات والمعاني، والبلاغة، والنحو، والصرف، وكتب الأدب العربي شعرا ونثرا.

٨- علم الأخلاق: بدراسة الكتب التي تدعو الى تعزيز القيم الخيِّرة، والفضيلة ومكارم الأخلاق، والبعد عن الشر والرذيلة ومساوئ الأخلاق ومذمومها.

٩- الدراسات الإسلامية المعاصرة.

١٠- فقه الدعوة: بدراسة الكتب والأبحاث المعنية بالداعية والمدعو، وموضوع الدعوة، وميادينها، وخصائصها، ووسائلها، وأساليبها، وأدب الحوار والمناظرة.

١١- فقه الواقع، وذلك بمتابعة أحوال العالم الإسلامي وما يجري فيه من أحداث ومعرفة الخطط والكيد والتآمر العالمي على الإسلام وأهله، فلا بد من دراسة الواقع المعاصر دراسة شمولية واعية دقيقة في كل جانب من جوانبه، الفكرية والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والتربوية، والإعلامية وغيرها، والإفادة من الكتب والأبحاث والتقارير المصنفة في ذلك.

من سير السلف في طلب العلم:

إنّ هذا العلم لا يأتي بالتمنّي وراحة الأجساد، بل يحتاج الى بذل جهد، ومثابرة وصبر، وجلد؛ وقد صَنّفَ الخطيبُ البغداديُّ رحمه الله كتاب «الرحلة في طلب الحديث» ذكر فيه نماذج مشرقة تتعلق بنشاط العلماء في طلب الحديث النبوي فراجعه تَرَ فيه عجبًا، وللشيخ المحقق المدقق عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله كتاب «صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل»، وهو قَيِّم ننصح بقراءته في هذا الباب.

وودنا لو كان في البحث متسع لنذكر الكثير من قصص العلماء في الطلب والتحصيل، لنرى حجم الجهد والبذل الذي أنفقوه من أجل حفظ هذه الشريعة وتبليغها للأجيال المتعاقبة، وسأقتصر على نموذج واحد يُظهر لنا شيئا من هذه الجهود، وهو أحد أعلام القرن الثالث الهجري:

أبو حاتم محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلي الغطفاني: الإمام الحافظ، الناقد شيخ المحدثين، كان من بحور العلم. طوَّف البلاد، وبرع في المتن والإسناد، وجمع وصنف، وجرح وعَدّل، وصحح وعَلَّل، كان مولده سنة خمس وتسعين ومائة، وتوفي سنة (٢٧٧هـ)، وأول كتابته للحديث كانت في سنة (٢٠٩)، وهو من نظراء الإمام البخاري، ومن

طبقته، ولكنه عمّر بعده أزيد من عشرين عاما.

قال الحافظ الخليلى: قال لى أبو حاتم اللبان الحافظ: قد جمعت من روى عنه أبو حاتم الرازي، فبلغوا قريبا من ثلاثة آلاف.

وقال ابن أبى حاتم: سمعت أبى يقول: أول سنة خرجت في طلب الحديث، أقمت سبع سنين، أحصيت ما مشيت على قدمي زيادة على ألف فرسخ.[1]

قال: ثم تركت العدد بعد ذلك، وخرجت من البحرين إلى مصر ماشيا، ثم إلى الرملة ماشيا، ثم إلى دمشق، ثم أنطاكية وطرسوس، ثم رجعت إلى حمص، ثم إلى الرَّقة، ثم ركبت إلى العراق، كل هذا في سفري الأول، وأنا ابن عشرين سنة. خرجت من الري[2]، فدخلت الكوفة في رمضان سنة (٢١٣)، وجاءنا نعى المقرئ وأنا بالكوفة، ثم رحلت ثانيا سنة (٢٤٢)، ثم رجعت إلى الري سنة (٢٤٥)، وحججت رابع حجة في سنة (٢٥٥). وحج معه فيها عبد الرحمن ابنه.

وسمعت أبى يقول: بقيت في سنة (٢١٤) ثمانية أشهر بالبصرة، وكان في نفسى أن أقيم سنة، فانقطعت نفقتى، فجعلت أبيع ثيابى حتى نفدت، وبقيت بلا نفقة، ومضيت أطوف مع صديق لى إلى المشيخة، وأسمع إلى المساء، فانصرف رفيقى، ورجَعْتُ إلى بيتى، فجعلت أشرب الماء من الجوع، ثم أصبحت، فغدا عليّ رفيقي، فجعلت أطوف معه في سماع الحديث

---

(١) الفرسخ يساوي ٤,٥ كيلو متر.

(٢) الري: مدينة تقع في ايران، وهي مدينة قديمة، واليوم أصبحت جزءا من الجنوب الشرقي لطهران عاصمة ايران.

على جوع شديد، وانصرفت جائعا، فلما كان من الغد، غدا عليّ فقال: مُر بنا إلى المشايخ، قلت: أنا ضعيف لا يمكنني.

قال: ما ضعفك؟ قلت: لا أكتمك أمري، قد مضى يومان ما طعمت فيهما شيئا. فقال: قد بقى معى دينار، فنصفه لك، ونجعل النصف الآخر في الكراء، فخرجنا من البصرة، وأخذت منه النصف دينار.

برّ الوالدين

لما كان برّ الوالدين من أعظم الواجبات الدينية، وأفضل العبادات والقربات التي يتقرب بها المسلم إلى الله تعالى، وما فيه من حفظٍ للمجتمعات، وصونٍ للأسر، وتقويةٍ للأواصر والروابط، ورعايةٍ ووفاء لبعض المعروف والجميل الذي كانا قدماه، كان لا بد من التعريف به، وبأهميته، وفضله، وحقوق الآباء على الأبناء.

معنى بر الوالدين:

بر الوالدين هو الإحسان إليهما، والرفق بهما، وطاعتهما، وتحرّي مَحابّهما، واتقاء مكارههما.

وهو ضدّ العقوق: وهو الإساءة إليهما، والتضييع لحقهما.[1]

فضل بر الوالدين وأهميته:

قال الله تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء:٣٦].

وَقالَ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨]، وَقالَ تَعالَى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٢٤].

---

(١) انظر المفردات في غريب القرآن ص (١١٥)، لسان العرب (٤/ ٥١)، والمصباح المنير للفيومي (١/ ٤٣)، والنهاية في غريب الحديث (١/ ١١٦)

لقد بين الله تعالى في هذه الآيات الكريمات وجوب برِّ الوالدين والإحسان إليهما، وذكر لنا في الآيات الكريمات من سورة الإسراء بعض الآداب والتوجيهات التي يجب أن نتأدب بها معهما، وسيأتي مزيد تفصيل في الأدب معهما.

والأحاديث النبوية في برهما كثيرة، منها: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: سأَلتُ النبي ﷺ: أَيُّ العمل أحبُّ إلى الله تعالى؟ قال: «الصَّلاةُ عَلَى وقْتِهَا»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «بِرُّ الْوَالِديْنِ» قلتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «الجِهَادُ في سبِيل اللهِ». متفق عليه.[1]

وعنه رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بحُسنِ صَحَابَتي[2]؟ قال: «أُمُّكَ» قال: ثُمَّ منْ؟ قال: «أُمُّكَ»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «أُمُّكَ»، قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «أَبُوكَ» متفق عليه.[3]

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: أَقْبلَ رجُلٌ إلى نَبيِّ الله ﷺ، فَقَالَ: أُبايِعُكَ عَلَى الهِجرةِ وَالجِهَادِ أَبتَغِي الأَجرَ مِنَ الله تعالى. قال: «هَلْ مِنْ والدِيْكَ أَحدٌ حَيٌّ؟» قَالَ: نعمْ بَلْ كِلاهُما، قَالَ: «فَتَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ الله تَعَالَى؟» قال: نعم، قال: «فَارْجِعْ إِلى والدِيْكَ، فَأَحْسِنْ صُحْبتَهُما». متفق عليه[4]. وهذا لفظ مسلمٍ.

وفي روايةٍ لهُما: جاءَ رجلٌ فاسْتَأْذَنُه في الجِهَادِ فقال: «أَحيٌّ والِداكَ؟» قال: نعم، قال: «ففِيهِما فَجاهِدْ».[5]

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٧ و ٢٧٨٢ و٥٩٧٠ و٧٥٣٥)، ومسلم (١٣٧).
(٢) (الصَّحابة) بمعنى: الصُّحبةِ. وقوله: ثُمَّ (أبوك)، أي ثُمَّ برَّ أَباك.
(٣) أخرجه البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨).
(٤) أخرجه البخاري (٣٠٠٤ و٥٩٧٢)، ومسلم (٢٥٤٩).
(٥) المرجع السابق في الموطن نفسه.

أهمية بر الوالدين:

برُّ الوالدين من أعظم مهمات الدين، وأوجب الواجبات، وأجل الطاعات والقربات وتتجلى أهميته في التالي:

١- قرن الله تعالى الإحسان إليهما بعبادته وتوحيده:

قال الله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾ [النساء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ [الإسراء:٢٣].

قال الخازن رحمه الله: «وإنما قَرَنَ بِرَّ الوالدين بعبادته وتوحيده، لتأكُّد حقهما على الولد».[1]

٢- قدم النبي ﷺ بِرَّهما على الجهاد في سبيل الله، كما مر قريبا في حديث ابن مسعود وحديث عبد الله بن عمرو.

٣- بِرُّ الوالدين مَرضاة للرحمن: فعن عبد الله بن عمرٍو، عن النّبيّ ﷺ قال: «رِضَى الرَّبِّ فِي رِضَى الوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ»[2]

٤- وهو من مُوجِبات الجنان: فعن عبد الله بن مسعود، عن النَّبيّ ﷺ قال: «رغِم أَنْفُ[3]، ثُم رغِم أَنْفُ، ثُمَّ رَغِم أَنفُ مَنْ أَدرْكَ أَبَويْهِ عِنْدَ الْكِبرِ، أَحدُهُمَا أَوْ كِلاهُما، فَلَمْ يَدْخلِ الجَنَّةَ» رواه مسلم.[4]

---

(١) تفسير الخازن (١/ ٣٧٣).

(٢) أخرجه الترمذي (١٨٩٩)، وابن حبان (٤٢٩) مرفوعا الى النبي ﷺ، وأخرجه البخاري في "الأدب المفرد"، والترمذي (١٨٩٩) موقوفا، وقال الترمذي عقبه: وهذا أصح.

(٣) (رغم): أي ذَلَّ، وقيل: كُرِه وخُزِيَ.

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٥١).

٥- وفي برّ الوالدين بصمة وفاء، ومُكافأة فضل، وليس الواصل بالمكافئ، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤].

وليست العناية بأمر الوالدين لكونهما سبب وجود الولد فحسب، كما يذكر كثير من المفسرين، ولكنّ العِلَّةَ الصحيحة في وجوب هذه العناية على الولد: هي العِنايةُ الصَّادقةُ الَّتي بذلاها في تربيته، والقيام بشؤونه أَيَّام كان ضعيفا عاجزا جاهلا، لا يملك لنفسه نفعا، ولا يقدر أَن يدفعَ عنها ضررا.[1]

عقوق الوالدين وعظيم خطره:

عقوق الوالدين: هو كلُّ ما يتأَذَّى به الوالدان من ولدهما من قول أو فعل.[2]

وهو من أعظم الكبائر فعن أَبِي بَكْرَةَ نُفيْع بن الحارثِ رضي الله عنه قال: قال النَّبِيُّ ﷺ: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟[3]» ثَلاَثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ - وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ - أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ - وشَهَادُة الزُّورِ». فَما زَال يكَرِّرُهَا حتَّى قُلنَا: ليْتهُ سكتْ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.[4]

---

(١) تفسير المنار (١/ ٣٠٣).

(٢) فتح الباري (١٠/ ٤٠٦).

(٣) (الكبائر): جمع كبيرة، وهي كُلُّ ذنب نُصَّ على كِبَره أَو عِظَمه، أَو تُوُعِّدَ عليه بالعقاب، أَو عُلِّقَ عليه حدٌّ، أَو شُدِّدَ النَّكِيرُ عَلَيْهِ، فَهُوَ كَبِيرَة. فتح الباري(١٠/ ٤١١) نقلا عن المفهم للقرطبي (١/ ٢٠١).

(٤) أخرجه البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧). وأخرجا نحوه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

أدب التعامل معهما:

١- طاعتهما إذا أَمَرا أو نَهيا، مما ليس فيه معصية لله تعالى، وتقديم طاعتهما على طاعة ما سواهما، إلا الزوجة فإنها تقدم طاعة زوجها على طاعة والديها.

٢- إدخال السرور عليهما.

٣- التعامل معهما بالتوقير والتبجيل والتكريم، فلا يقاطع حديثهما، ولا يرفع صوته أمامهما، ولا يسبقهما في المشي إلا لحاجة، ولا يذكر أمامهما إلا ما يسرهما.

٤- القيام على رعاية حقوقهما - إذا لزمهما ذلك-، بتوفير المسكن، والمأكل والملبس والعلاج، ودفع الأذى، بحسب طاقته.

٥- الدعاء لهما في حياتهما وبعد مماتهما.

٦- صلة أَصحابهما في حياتهما وبعد مماتهما. عن عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر أنّ رجلا من الأعراب لقيه بطريق مكة فسلّم عليه عبدُ اللهِ، وحَمَلَه على حمارٍ كان يَركَبُه، وأَعطاه عِمامةً كانت على رأسه، فقال ابنُ دينارٍ: فقلنا له: أصلحك الله، إنَّهم الأعرابُ، وهم يرضون باليسير. فقال عبد الله: إنَّ أبا هذا كان وادًّا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقولُ: «إنَّ أَبَرَّ البِرِّ صِلَةُ الوَلَدِ أهلَ وُدِّ أبيه». رواه مسلم.[1]

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٢).

تزكية النفس

خلق الله تعالى النفس الإنسانة على الفطرة السليمة، من الإيمان بالله تعالى والقيم الأخلاقية الرفيعة، ومع تقادم الأيام يعتريها الضعف والنقص هنا وهناك، فجاءت الرسالات لتقوم اعوجاجها وتصحح مسارها، وسنتحدث في هذا الموضوع عن معنى تزكية النفس وأهميتها، وبعض أمراضها وأعراضها، ثم سنتحدث عن بعض طرق العلاج على وجه الاختصار.

معنى تزكية النفس:

المُرادُ بها في الشرع: تطهير النفوس وإصلاحُها والارتقاء بها بالعلم النافع والعمل الصالح، وفعل المأمورات وترك المنهيات.

واللافت أنّ معظم الآيات في كتاب الله تعال التي عنيت بالتزكية مكية، مما يدل على أنّ التزكية لها أهمية بالغة في إعداد الرواحل وتربية الدعاة.

أهمية تزكية النفس:

وتتلخص أهمية التزكية بعدة أمور، منها:

١- أنّ التزكية مفتاح الفلاح، لقوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ [الشمس: ٩ - ١٠]، وقوله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴾ [الأعلى: ١٤ - ١٥].

٢- التزكية طريق الدرجات العُلى في الجنة، لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ۝ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ [طه: ٧٥ - ٧٦].

٣- التزكية تُطهِّر النفس من جميع الشرور والآثام.

٤- تزكية النفس هى الحصن المنيع الذي يحمى القلب من الدواخل التي تحول بينه وبين الوصول إلى الله تعالى.

٥- وبتزكية النفس وطهارتها يصير الإنسان مستحقا للأوصاف المحمودة في الدنيا والآخرة.

أمراض النفس مظاهرها وأعراضها:

فيما يأتي بعض المظاهر والأعراض على وجه الاختصار:

١- التهاون والتكاسل في العبادات، ومن ذلك تأخير الصلاة عن وقت الاستحباب والجواز، وترك صلاة الجماعة في المسجد، وتضييع الخشوع الذي هو روح الصلاة، والتقصير في صلاة السنن الرواتب والمؤكدات.

٢- هجر القرآن، وعدم التأثر بوعده ووعيده.

٣- قسوة القلب، وضعف التأثر بالمواعظ والتذكير، والنفور عنها.

٤- ارتكاب المعاصي والفواحش والاستهانة بها.

٥- تضييع الأمانة، والتساهل في حقوق العباد.

٦- الانشغال بالدنيا عن الآخرة، وقضاء معظم الأوقات في جمع الأموال والمتع والملذات.

٧- ترك واجب الأمر بالمعروف والنهى والمنكر، وعدم قيام المرء بدوره في محاربة الفساد والرذيلة.

٨- ضعف الهمة في العمل الدعوي.

٩- الرغبة في إظهار الذات.

١٠- الغفلة، وضعف الاستعداد للموت، والقبر، واليوم الآخر.

١١- التفريط في الأذكار والأدعية.

١٢- تضييع الأوقات وهدرها في الأمور غير المفيدة، نحو مشاهدة المسلسلات، والألعاب، والاستغراق في وسائل التواصل الاجتماعي وغيرها.

١٣- ضعف التفاعل مع قضايا الأمة ونصرة الدين.

١٤- ضعف الباعث على مساعدة الآخرين من أصحاب الحاجات كالفقراء والمساكين وغيرهم.

هذه بعض مظاهر أمراض النفس، فمن وجد في نفسه شيئا منها، فيتوجب عليه أن يسعى في علاجها.

وسائل تزكية النفس:

لو فرضنا أنّ النَّفس شجرة، فإنّ التزكية للنفس تكون بمنزلة الماء والسماد والتعاهد المستمر للشجرة، فكما أنّ الشجر يحتاج إلى ماء وسماد، ووسائل وأدوات، وتعاهد مستمر حتى يؤتي أُكله؛ فإنّ النفس كذلك تحتاج ما تحتاجه الشجرة، حتى تتعافى وتترقى في مدارج الكمالات، وتطيب ثمارها وآثارها، وكلما كانت العناية بها أشد وأكبر كانت ثمارها أطيب وأكثر.

وكما أنّ الشجر لا يُعطى نتاجه وثمره إلا بعد جهد وتعب، ومدة زمنية كافية حتى يطيب الثمر، فكذلك النفس لا يَرى الإنسان ثمارها وآثار إصلاحها إلا بعد أمد، يقلّ أو يطول بحسب الجهد المبذول.

ولتعلم أخي الداعية أنّ مجرد السعي في إصلاح نفسك عبادة، وكلما بذلت جهدا أكبر، كان أجرك أعظم، ونتاجك أوفر.

وفيما يأتي بعض الوسائل التي تعين على تزكية النفس على وجه الاختصار:

١- العلم النافع:

ونعني به: كل علم يقربك من الله تعالى، ويدفعك الى العمل الصالح.

وقد سبق الكلام عنه مفصلا.

٢- تِلاوةُ القرآن بتدبّر:

إنّ القرآن الكريم أفضل طرق تزكية النفس، فهو كلام الله تعالى، وقد أنزله سبحانه شفاء لما في الصدور ورحمة للمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]، وهو يشتمل على الوعد والوعيد، والأمثلة والعبر، وحقيقة الدنيا وذكر الجنة والنار وقصص السابقين، وغير ذلك مما يُعدُّ من وسائل تزكية النفس، وسنتناول القرآن وما يتعلق به في موضوع مستقل من كتابنا هذا.

٣- الذكر:

إنَّ الذكر للقلب والنفس كالماء للسمك، فمتى كان الذِّكرُ حاضرا، كانت القلوب والنفوس حيّة، وقد سبق الكلام عن الذكر في موضوع مستقل.

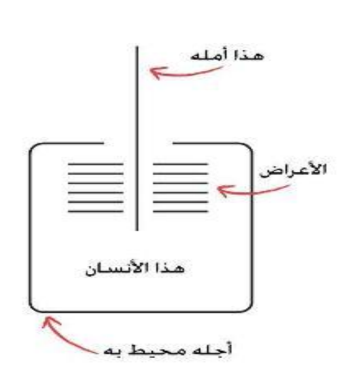
٤- الدُّعاء: وهو من أعظم الأسلحة التى تُستخدم في علاج النفوس، وقد سبق الكلام عن الدعاء في موضوع مستقل.

٥- قصر الأمل:

الأملُ يُلهي والمطامعُ تَغر، والعمر يمضي والفرصة تضيع. قال تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٣] وصورة الأمل المُلهي صورة إنسانية حيّة، فالأمل البراق ما يزال يُخايل لهذا الإنسان، وهو يجري وراءه، وينشغل به، ويستغرق فيه حتى يجاوز المنطقة المأمونة وحتى يغفل عن اللّه، وعن القدر، وعن الأجل، وحتى ينسى أنّ هنالك واجبا، وأنّ هنالك محظورا، بل حتى لَينسى أنّ هنالك إلها، وأنّ هنالك

موتا، وأنّ هناك نشورا، وهذا هو الأمل القاتل.[١]

ولقد كان رسول الله ﷺ يحذر أصحابه من طول الأمل، فقد روى عبدُ الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الوَسَطِ، وَقَالَ: «هَذَا الإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ - أَوْ: قَدْ أَحَاطَ بِهِ - وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الخُطَطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا».[٢]



والمراد بالأعراض: الآفات التي تعرض له من مرض وشغل وآخرها الموت، فإن سلم من هذا لم يسلم من هذا، وإن سلم من الجميع ولم يُصبه آفة من مرض، أو فقد مال، أو غير ذلك بَغَتَهُ الأجل.

والشاهد: أنّ الإنسان تتجاوز آماله حدود أجله، و يخترمه أجله دون أمله.

٦- ذكر الموت:

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجمعة: ٨].

وعن أبي هُريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ».[٣]

---

(١) الظلال ٤/ ٢١٢٦ بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤١٧).

(٣) حديث حسن أخرجه النسائي (٤/ ٤) والترمذي (٢٣٠٧) وابن ماجه (٤٢٥٨).

وهذا الحديث مختصر وجيز، قد جمع التذكرة، وأبلغ في الموعظة، فإنَّ من ذكر الموت حقيقةَ ذِكره، نَغَّص عليه لذته الحاضرة، ومنعه من تمنيها في المستقبل، وزهَّده فيما كان منها يُؤمِّل.

ومن الحقائق الثابتة أنّ الموت ليس له سنٌ معلوم، ولا زمنٌ معلوم، ولا مرضٌ معلوم، وذلك ليكون المرء على أهبة من ذلك، مستعدًا لذلك.

قال ابراهيم التيمي: شيئان قطعا عني لذة الدنيا: ذِكرُ الموت، وذِكرُ الموقف بين يدي الله تعالى.[(١)]

٧- العيش في ظلال اليوم الآخر:

بأن يعلق نفسه بالجنة ونعيمها، وما جاء في وصفها، ويخوفها بالنار وجحيمها وما جاء في عذابها، فإن في ذلك خير معين للنفس على سلوك الجادة وتصويب مسارها.

والله تعالى قد ذكر في كتابه العزيز أثر تذكر الآخرة على النفوس والقلوب فقال: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴾ [ص: ٤٥ - ٤٦].

والمقصود: صفّيناهم من آفات النفوس وأمراضها، وجعلناهم خالصين لنا، بسبب تذكرهم الدار الآخرة، وحِرصهم على الفوز بأعلى درجاتها، فلم يلتفتوا إلى الدنيا وبهرجها، بل سعوا جادّين للفوز برضى رب العالمين في جنات النعيم.

٨- صحبة الصالحين والنظر في سير المتقدمين:

الإنسان بطبعه اجتماعي محبٌّ للاجتماع مع بني جنسه، لذلك سُمّي

---

(١) انظر التذكرة للقرطبي ص (١٢٣-١٢٥).

إنسانا لأنه يستأنس بغيره، وميزان الإنسان أصدقاؤه، فالصاحب ساحب، لذلك فقد حرص الإسلام على اختيار الصحبة الصالحة، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنّ النبى ﷺ قال: «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يُخالل».[١]

وفي هذا المعنى يقول طرفة بن العبد:

عَنِ المَرءِ لا تَسأَل وَسَل عَن قَرينِهِ فَكُلُّ قَرينٍ بِالمُقارِنِ يَقتَدي

وإن عزّ الصديق الصالح في الدنيا، فعليك بصحبة أهل الصلاح من الأموات فالتمس سِيَرَهُم في الكتب، واقتبس من أحوالهم وأفعالهم، واقتد بهم، فإنّ النظر في أحوالهم قد يرفعك لتكون في مصافّهم، ومن الكتب التي تفيد في هذا المجال: كتاب «سير أعلام النبلاء» للذهبي، و «حلية الأولياء» لأبي نُعيم الأصبهاني، و «صفة الصفوة» لابن الجوزي وغيرها.

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٣٣) والترمذي (٢٥٣٥)، وإسناده حسن.

فضائل القرآن

(القرآن دستورنا)

لقد أكرم الله هذه الأمة بكتابه العزيز الحكيم، الفَارِقِ بين الهُدَى والضَّلَالِ، والغَيِّ والرَّشَادِ، والشَّكِّ واليقينِ، أَنزلَهُ لنقرأَهُ تدبُّرًا، ونتأَمَّلَهُ تَبَصُّرًا، ونَسعدَ به تَذَكُّرًا، ونَحملَهُ على أَحسنِ وُجوهِهِ ومعانيهِ، ونُصدِّقَ به ونجتهد على إِقامةِ أَوامرهِ ونواهيه، ونجتني ثمارَ علومه النَّافعةِ الموصلةِ إِلى اللهِ سبحانه من أَشجارهِ، وَرَياحين الحِكَمِ من بين رِياضِهِ وأَزهارِهِ، فهو كتابُهُ الدَّالُّ عليه لمن أَرادَ معرفته، وطريقُهُ المُوصِلَةُ لسالكها إِليه، ونورُهُ المُبينُ الَّذي أَشرقت له الظُّلُماتُ، ورحمتُهُ المُهداةُ الَّتي بها صلاحُ جميع المخلُوقاتِ، والسَّبَبُ الواصِلُ بينه وبين عباده إِذا انقطعتِ الأَسبابُ، وبابُهُ الأَعظمُ الَّذي منه الدُّخولُ، فلا يُغلقُ إِذا غُلِّقَتِ الأَبوابُ، وهو الصِّراطُ المُستقيمُ الَّذي لا تَميلُ به الآراءُ، والذِّكرُ الحكيمُ الَّذي لا تَزيغُ به الأَهواءُ، والنُّزلُ الكريمُ الَّذي لا يَشبعُ منهُ العلماءُ، لا تفنى عجائبُهُ، ولا تُقلعُ سحائبُهُ، ولا تنقضي آياتُهُ، ولا تختلفُ دِلالاتُهُ، كلَّما ازدادتِ البصائرُ فيه تأَمُّلا وتفكيرًا، زادها هِدايةً وتبصيرًا، وكلَّما بَجَسَتْ مَعِينُهُ فَجَّرَ لها يَنابِيعَ الحكمةِ تَفْجِيرًا، فهو نُورُ البصائرِ مِن عَماها، وشفاءُ الصُّدورِ مِن أَدوائِها وَجَوَاهَا، وحياةُ القلوبِ، ولذَّةُ النُّفوسِ، ورياضُ العُقولِ، وحادي الأَرواحِ إِلى بلادِ الأفراحِ، والمُنادِي بالمساءِ والصَّباحِ: يا أَهلَ الفلاحِ، حيَّ على الفلاحِ.[١]

---

(١) من مقدمة مدارج السالكين لابن القيم.

فضائل القرآن:

تكاثرتِ الأَدلَّةُ في فضائلِ القُرآنِ الكريمِ وعظيم شأنه، وقد صنَّف جماعةٌ من العلماء المتقدمين والمتأخرين في فضائل القرآن، زادت مصنفاتُهم المطبوعة على ثلاثين كتابا فضلا عما اشتملت عليه كتب التفسير، وعلوم القرآن من ذكرٍ لفضائله وعظيم شأنه، وسنذكربعض ما ورد في فضائله من الكتاب والسنة، فمنها ما يلي:

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾[الزمر: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[فصلت: ٤١ – ٤٢].

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيركُم مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعلَّمهُ». رواه البخاري[١]

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إِنَّ الله يرفَعُ بِهذَا الكِتَابِ أَقوامًا ويضَعُ بِهِ آخَرين».[٢] رواه مسلم

وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ حَسَنَةٌ، وَالحَسنَةُ بِعشرِ أَمثَالِهَا لاَ أَقُولُ: ألم حَرَفٌ، وَلكِن: أَلِفٌ حرْفٌ، ولامٌ حرْفٌ، وميمٌ حرْفٌ».رواه الترمذي.[٣]

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٧).

(٢) أخرجه مسلم (٩١٧).

(٣) أخرجه الترمذي(٢٩١٠) وقال: حديث حسن صحيح غريب. وهو كما قال.

عظيم شأن القرآن الكريم:

أولا: القرآنُ كلامُ اللهِ تَعالى، أَنزلَهُ على نَبيِّه محمد ﷺ، بواسطة جبريل عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥].

وكونُه كلام الله تعالى، ومِن اللهِ نَزَل؛ فهذا أعظم أركان أهميته، وقد جاء هذا الكتاب الكريم ليتعامل مع الإنسان بصفته الفردية، وكذا بصفته لَبِنة من لبنات المجتمع والأمة.

ثانيا: يُعدّ المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي.

فالكتابُ والسُّنَّةُ هما مصدرا التشريع، وما سواهما تبع لهما، وذلك مقتضى ربانية هذا الدين، فأركانُه مبنية على نُصوصٍ مَعصُومةٍ، مُنَزَّلةٍ من السماء، ومن هذين الأصلين استنبط العلماء أُصولا أخرى يمكن البناء عليها في الأحكام، أُطلِق عليها تَجوُّزا «مصادر الشريعة» أو «مصادر التشريع الإسلامي». وهي الإجماع والقياس.[1]

ثالثا: دستور الأمة الإسلامية:

الدستور كما يعرفونه: هو عبارة عن مجموعة قواعد مكتوبة وغير مكتوبة، تحمل المبادئ والقيم المُنظِّمة للمُجتمع، وتُحدّد صلاحيّات السُّلطة السياسيّة، كما تُنظّم السُّلطات وعلاقاتها ببعضها البعض، مع الحفاظ

(١) وانظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٤٠)، والمدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ص (١٥٣) لعبد الكريم زيدان.

على حُقوق الأفراد، وواجباتهم، ويُنظّم الدُّستور الأمور الداخليّة والخارجيّة للدّولة، كما يُحدّد شكل الدّولة وحكومتها، وهو الذي يُمثّل قُوّة المُجتمع.

ولو نظرنا إلى القرآن الكريم لوجدنا أنه يشتمل على: أصول العقائد، وأصول الأخلاق والقيم المُنظِّمة للمجتمعات، وأصول الأحكام الشرعية والقوانين العملية، في شتى مجالات الحياة على شكل أسس وخطوط عريضة، جاء بيان تفصيلات كثير منها في السنة النبوية المطهرة، التي نستطيع استنباط التشريعات والقوانين المنظمة لحياة الناس منهما في شتى مجالات الحياة.

وقد قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٥٧]، وقال: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩].

قال سيد قطب رحمه الله: هكذا على وجه الإطلاق فيمن يهديهم وفيما يهديهم: فيشمل الهدى أقواما وأجيالا بلا حدود من زمان أو مكان، ويشمل ما يهديهم إليه كل منهج وكل طريق، وكل خير يهتدي إليه البشر في كل زمان ومكان.(١)

رابعًا: حفظ الله تعالى به اللغة العربية :

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥]، وقال: ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [فصلت: ٣].

إنّ نزول القرآن الكريم باللغة العربية، وارتباطه بها، حفظ اللغة من الضياع والاندثار، كما حصل مع كثير من اللغات القديمة، مثل السريانية،

(١) انظر في ظلال القرآن ٤/ ٢٢١٥

والآشورية، والبابلية والمصرية وغيرها، كما وحفظ بعض اللهجات التي كانت مرتبطة بها مثل لهجة قريش وضمّ إلى المعاجم اللغوية الكثير من الألفاظ، وأعطى دلالات جديدة لألفاظ أخرى كما وارتقى بالأسلوب البياني عند أدباء العرب، فترى الكثير من الصور البيانية الموجودة في القرآن دخلت الشعر العربي ليتألق الشعر بنور القرآن؛ وارتباطُها بالقرآن فتح لها آفاقا جديدة، فنشأت علوم ما كانت لتظهر لولا هذا الارتباط المبارك، مثل علم النحو، والصرف، والبلاغة، وفقه اللغة، وعلم الأصوات، وغيرها.

خامسًا: يُعدُّ من أهم عناصر وحدة الأمة الإسلامية:

فالمسلمون على اختلاف لغاتهم ولهجاتهم، ومناطق سكناهم، وألوانهم، يجمعهم جميعا كتاب الله تعالى، فتراهم يقرأونه كما أُنزل بالعربية، ولعل هذا أسهم إسهاما كبيرا في وحدتهم، وتَعلُّم كثير من غير العرب هذه اللغة.[١]

سادسًا: يشفع لصاحبه يوم القيامة ويرفع درجته.

عن أَبي أُمامَةَ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقْرَؤُا القُرْآنَ فإِنَّهُ يَأْتِي يَوْم القيامةِ شَفِيعًا لأصْحابِهِ». رواه مسلم[٢]

وعن عبد الله بنِ عمرو بن العاصِ رضي الله عنهما عنِ النبيِّ ﷺ قال: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرَآنِ: اقْرأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَما كُنْتَ تُرَتِّلُ في الدُّنْيَا، فَإِنَّ منْزِلَتَكَ عِنْد آخِرِ آيةٍ تَقْرَؤُهَا».[٣]

---

(١) ينظر حاشية الشهاب على البيضاوي (٥/ ٢٥١)

(٢) أخرجه مسلم (٨٠٤).

(٣) أخرجه أبو داود (١٤٦٤)، والترمذي(٢٩١٤) وقال: حديث حسن صحيح. قلت: وفي اسناده ضعف يسير من جهة عاصم بن أبي النجود أحد الرواة، لكن له شاهد عن أحمد (١٠٠٨٧) وغيره من حديث أبي هريرة هو به صحيح.

فضل تلاوة القرآن:

أمر الله تعالى نبيَّه ﷺ بتلاوة القرآن بقوله: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل: ٤]، وتمدّح وأثنى على الذين يتلونه بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾ [فاطر: ٢٩].

وقد مرّ قريبًا عدة أحاديث في فضل قراءة القرآن. فينبغي أن نُحافِظَ على تلاوته، وأن نُكثرَ منها، وأن نَختِمَ القرآنَ خِتمةً واحدةً في كل شهر على الأقل، أو أن نجعل لنا وردًا من تلاوته نستطيع المحافظة عليه، وأن لا نَهجرَه بحال.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: «والمختار أنه يَستَكثِر مِنه ما يُمكِنُه الدوامُ عَليه، ولا يَعتادُ إلّا ما يَغلبُ على ظَنِّه الدوام عليه في حالِ نَشاطِه وغيره، هذا إذا لم تكن له وَظائفُ عامّة أو خاصّة يتعطلُ بإكثارِ القُرآن عنها، فإن كانت له وظيفةٌ عامّة كوِلاية وتَعليم ونحو ذلك، فليوظِّف لنَفسِه قراءةً يُمكِنُه المُحافَظة عليها مع نَشاطِه وغيره مِن غَيرِ إخلال بشيءٍ من كمالِ تلك الوَظيفة، وعلى هذا يُحمَلُ ما جاء عن السلف. والله أعلم»(١).

خطر هجر القرآن:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٣٠].

قال ابن كثير رحمه الله: «تَركُ علمِهِ وحفظِهِ من هُجرانِهِ، وترك قراءَتِهِ وإدْمانِ النَّظرِ فيهِ من هُجرَانِهِ، وتركُ الإيمانِ به وتصديقِهِ من هُجرَانِهِ، وتركُ تَدَبُّرِهِ وتَفهُّمِهِ من هُجرانِهِ وتركُ العملِ بِهِ وامتثالِ أَوامره واجتنابِ زَواجره

---

(١) «شرح النووي على صحيح مسلم» ٨/ ٤٣.

من هُجرانِهِ، والعدولُ عنه إِلى غيرِهِ - من شِعرٍ أَو قولٍ أَو غِناءٍ أَو لَهوٍ أَو كلامٍ أَو طَريقةٍ مأْخُوذةٍ من غيرِهِ - من هُجرانِهِ.(١)

حكم تعلم أحكام التلاوة (التجويد):

التجويد لغة: التحسين، تَصْيير الشيء جيدا.

وفي المصطلح: قال الإمام ابن الجَزَري رحمه الله: «هو حِليةُ التِّلاوة، وزينةُ القِراءة وهو إعطاءُ الحروف حُقوقَها، وتَرتيبُها مراتبها، وردُّ الحرفِ إلى مَخرجه وأصله وإلحاقُه بنظيره، وتصحيحُ لفظه، وتلطيف النُّطقِ به على حال صيغتِهِ، وكمال هيئته، من غير إسرافٍ ولا تعسف، ولا إفراطٍ ولا تكلُّف».(٢)

وحكم تعلم التجويد يرجع إلى شقّين: أحدهما: معرفة علم التجويد من ناحية نظرية، بمعنى معرفة قواعده وأحكامه، فهذا فرض كفاية.

ثانيهما: تطبيق هذه الأحكام والقواعد، وقد اختلف العلماء فيه على ثلاثة مذاهب:

أ- أنه واجب ويأثم تاركه، وهو رأي أكثر المتقدمين.

ب- أنه واجب في القراءة التي تكون في الصلوات المُفترضات.

ت- أنه واجب في إخراج الحروف من مخارجها، وألا يبدل حرفا منها بآخر، بمعنى أن يقيم حركات الحروف فتحا وضما وكسرا وسكونا، وألا يُغَيِّرَ حرفا بحرف وهذا ما يعرف باللحن الجلي.(٣)

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ١٠٨).

(٢) التمهيد في علم التجويد ص(٤٧). طبعة مكتبة المعارف

(٣) انظر "النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (١/ ٢١١-٢١٢).

ولعل الأول أقرب إلى الصواب والله أعلم، وهذا يدعوك أخي الكريم إلى المسارعة في تعلم أحكام التلاوة حتى لا تكون آثما.

الأمر بتعهد القرآن والتحذير من تعريضه للنسيان:

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرآنَ فَوَالَّذي نَفْسُ مُحمَّدٍ بِيدِهِ لَهُو أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الإِبلِ فِي عُقُلِها» متفق عليه.[1]

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٣٣)، ومسلم (٧٩١).

محبة الله تعالى

(الله غايتنا)

محبة الله هي الغاية القصوى من المقامات، والذروة العليا من الدرجات، فما بعد إدراك المحبة مقام إلا وهو ثمرة من ثمارها، وتابع من توابعها، كالشوق والأنس والرضا وأخواتها، ولا قبل المحبة مقام إلا وهو مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد وغيرها.[١]

معنى المحبة وحقيقتها:

قال الإمام النووي رحمه الله: «أَصلُ المحبَّةِ الميلُ إِلى ما يُوافق المُحبَّ، ثمَّ الميلُ قد يكونُ لما يَسْتَلِذُّهُ الإنسانُ ويَستحسِنُهُ، كحُسنِ الصُّورةِ والصَّوتِ والطَّعامِ ونحوِها وقد يَستلِذُّهُ بِعقله للمعاني الباطنة، كمحبَّة الصَّالحينَ والعلماء وأَهلِ الفضلِ مُطلقًا، وقد يكونُ لإِحسانه إِليه ودفعه المضَارَّ والمكارهَ عنه».[٢]

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وحقيقةُ المحبَّةِ عند أَهلِ المعرفةِ من المعلوماتِ الَّتي لا تُحَدُّ، وإِنَّما يَعرفُها من قامت به وِجدانًا لا يمكن التَّعبيرُ عنه، والحُبُّ على ثلاثة أَقسامٍ: إِلَهِيٌّ، ورُوحانيٌّ، وطبيعيٌّ، فحُبُّ اللهِ العبدَ حُبٌّ إِلهيٌّ، وحُبُّ جبريلَ والملائكةِ له حُبٌّ رُوحانيٌّ، وحُبُّ العبادِ له حُبٌّ طبيعي».[٣]

---

(١) احياء علوم الدين ٤/ ٢٩٤.

(٢) انظر مدارج السالكين ٣/ ١١-١٢ بتصرف وزيادة.

(٣) فتح الباري (١٠/ ٤٦٢-٤٦٣)

قال أبو بكر بن العربي المالكي رحمه الله: «وحقيقتُها -يَقصِدُ المحبَّةَ- أن لا ترى في نفسك محلا لغير الله يُعادلُه ويُساويه، وفى قولك مالا يكون فيه لغيره كلمةٌ تَشترِكُ فيها معه وتُضاهيه، وأن لا ترى لرسول الله ﷺ في الآدميين محلًّا يكون كمَحَلِّه، ولا منزلة تُناسب منزلته».[1]

فضل محبة الله تعالى وحكمها:

اعلم أنّ الأُمَّةَ مُجمِعةٌ على أنَّ الحبَّ لله تعالى ولرسوله ﷺ فرض[2]، وقد تظاهرت الأَدلَّةُ من الكتاب والسنة على وُجوب مَحبَّةِ الله تعالى، وعلى محبَّة الله تعالى لمن أَحبَّه، ومنها ما يلي:

قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

وفي الصَّحيح عن أَنس بن مالكٍ رضي اللهُ عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثٌ مِنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ». متفق عليه[3]

والقرآنُ والسّنَّةُ مملوءان بذكر من يُحبّه الله سبحانه من عباده المؤمنين.

---

(١) عارضة الأحوذي: (١٠/ ١١٠)، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) إحياء علوم الدين (٤/ ٢٩٤).

(٣) أخرجه البخاري (١٦،٢١،٦٩٤١) ومسلم (٦٧).

وذِكر ما يُحبّه من أَعمالهم وأقوالهم وأخلاقهم. كقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾[آل عمران: ١٤٦]، وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[آل عمران: ١٤٨].

وكم في السُّنَّةِ من قوله ﷺ أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ كَذَا وَكَذَا، و إِنَّ اللهَ يُحِبُّ كَذَا وَكَذَا[1].

أهمية محبة الله تعالى:

محبةُ الله عزَّ وجلَّ هي قُطبُ رَحى السَّعادة، وروح الإيمان، وساق شجرة الإسلام وهي الشرف الأسمى، والموهبة العظمى؛ وجوانبُ أهميتها لا تُعدُّ ولا تُحصى، ومنها:

١- المحبة أصل الدين، وحقيقة العبادة، وأُسُّ التوحيد، حيث إنّ العبادةَ تَتضمَّنُ كمالَ الحبِّ ونِهايتَهُ، وكمالَ الذُّلِّ ونهايتَه، لأنّ المحبوبَ الَّذِي لا يُعظَّمُ، ولا يُذَّلُ له لا يكونُ مَعبودًا، والمُعظَّمُ الَّذي لا يُحبُّ لا يكون معبودا، والعبادةُ هي أصل العمل الدينيّ وغايته، وأكثر ما جاء المطلوب مسمّى بها، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[البقرة: ٢١]، وأَمثالُ هذا[2].

٢- حاجةُ العبد إليها أعظم من حاجته إلى الغذاء:

قال ابن تيمية رحمه الله: ففي قلوب بني آدم محبَّة وإرادة لما يَتألَّهونه ويعبدونه، وذلك هو قَوامُ قلوبِهم وصلاحُ نفوسهم، كما أَنَّ فيهم محبَّةً وإرادةً لما يَطعمونه ويَنكِحونه، وبذلك تَصلُح حياتُهم، ويدوم شملُهم؛

(١) وانظر مدارج السالكين ٣/ ٢٤ فما بعدها

(٢) مجموع الفتاوى ١٠/ ٥٩ باختصار وتصرف

وحاجتُهم إلى التَّألُّهِ أَعظم من حاجتهم إلى الغذاء، فإنَّ الغذاءَ إذا فُقِدَ يَفسُدُ الجسم، وبِفْقد التَّألُّهِ تَفْسدُ النَّفس.[١]

٣- تُهَوِّن على المحب مصائب الدنيا:

قال ابن القيم رحمه الله: فإنّ المحبَّ يَجدُ من لذَّةِ المحبة ما يُنَسِّيهِ المصائب، ولا يجد من مَسِّها ما يجد غيره، حتى كأَنَّه قد اكتسى طبيعةً ثانيةً ليست طبيعةَ الخلق، بل يَقْوَى سلطانُ المحبَّةِ حتى يَلتذَّ المحبُّ بكثير من المصائب التي يصيبُه بها حبيبُه أعظم من التذاذ الخليِّ بحظوظه وشهواته، والذوقُ والوَجْدُ شاهد بذلك، والله أعلم[٢].

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: أصبحت ومالي سرور إلا في مواقع القضاء والقدر، ولما مات ولده الصالح قال: إنَّ اللهَ أَحبَّ قبضه، وأعوذ بالله أن تكون لي محبة تخالف محبة الله[٣].

٤- أعظم مُعين على فعل الطاعات والكفِّ عن المُحرّمات:

قال ابن القيم رحمه الله: مَحبَّةُ اللهِ سبحانه أقوى الأسباب فى الصَّبر عن مخالفته ومعاصيه، فإنَّ المُحبَّ لمن يُحبُّ مُطيع، وكلما قَويَ سلطانُ المحبَّةِ فى القلب كان اقتضاؤه للطاعة وترك المخالفة أقوى، وإنَّما تَصْدُرُ المعصيةُ والمخالفةُ من ضعف المحبة وسلطانها، وفرقٌ بين من يحمله على ترك معصيةِ سيِّدِه خوفُه من سوطه وعُقوبتِه، وبين من يحملُه على ذلك حُبُّه لسيده[٤].

---

(١) قاعدة في المحبة ص(٤٤)

(٢) مدارج السالكين ٣/ ٣٨

(٣)فتح الباري لابن رجب ١/ ٥١

(٤) طريق الهجرتين ص (٢٧١)

من أسباب محبة الله تعالى:

١- قراءةُ القرآن بالتَّدبُّر والتَّفهُّم لمعانيه وما أُريد به، كتدبُّرِ الكتاب الَّذي يحفظه العبد ويشرحه، ليتفهَّم مُراد صاحبه منه.

٢- التَّقرُّب إلى الله بالنَّوافل بعد الفرائض.

٣- دوام ذكره على كلِّ حال: باللِّسان والقلب، والعمل والحال، فَنَصِيبُهُ من المحبَّةِ على قدر نَصيبهِ من هذا الذِّكرِ.

٤- إيثارُ مَحابِّهِ على مَحابِّكَ عند غلَباتِ الهوى، والتَّسَنُّمُ إلى مَحابِّهِ، وإن صَعُبَ المُرتَقى.

٥- مُطالعةُ القلب لأَسمائه وصفاته، ومشاهدتُها ومعرفتُها. وتقلُّبُه في رياض هذه المعرفة ومباديها. فمن عرف الله بأَسمائه وصفاته وأَفعاله: أحبَّه لا مَحالة.

٦- مشاهدةُ بِرِّه وإحسانه وآلائه، ونِعمه الباطنة والظَّاهرة. فإنَّها داعيةٌ إلى محبَّته.

٧- وهو من أَعجبها، انكسارُ القلبِ بكُلِّيَّتِهِ بين يدي الله تعالى. وليس في التَّعبير عن هذا المعنى غير الأَسماء والعبارات.

٨- الخَلوَةُ به وقتَ النُّزُولِ الإلهيِّ، لمُناجاته وتلاوة كلامه، والوقوف بالقلب والتَّأَدُّب بأَدب العبوديَّة بين يديه. ثمَّ خَتمِ ذلك بالاستغفارِ والتَّوبة.

٩- مجالسةُ المحبِّين الصَّادقين، والتقاطُ أطايب ثمرات كلامهم كما يَنتَقِي أطايبَ الثَّمر. ولا تتكلَّم إلَّا إذا ترجَّحت مصلحةُ الكلام، وعلمت أَنَّ فيه مزيدًا لحالك، ومنفعةً لغيرك.

١٠- مباعدةُ كلِّ سببٍ يحول بين القلب وبين الله عزَّ وجلَّ.

فمن هذه الأَسبابِ العشرة وصل المحبُّون إلى منازل المحبَّة. ودخلوا على الحبيب. ومِلاكُ ذلك كلِّه أَمرانِ: استعدادُ الرُّوحِ لهذا الشَّأْنِ، وانفتاحُ عَيْنِ البصيرة.(١)

من لوازم المحبة ومقتضياتها:

١- محبةُ الرسول ﷺ واتِّباعُه. وسيأتي معنا لاحقا ما يتعلق بمحبة النبي ﷺ.

٢- حُبُّ ما يحبه الله، وبغض ما يبغضه.

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: والمحبَّةُ الصَّحيحةُ تقتضي المتابعةَ والمُوافقةَ في حُبِّ المحبوباتِ وبُغضِ المكروهات، قال عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤].

٣- حُبُّ المؤمنين والرفق بهم، وبُغض أعداء الدين والشِّدة عليهم، والجهاد في سبيل الله، والعمل لرفعة الإسلام:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

٤- قول الحق وأن لا يخاف في الله لومة لائم:

وهي العلامة الرابعة من علامات حب الله في الآية السابقة: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]. أي: لا يردُّهم عمَّا هم فيه من طاعة الله، وقتال

---

(١) انظر مدارج السالكين(٣/ ١٨-١٩) بتصرف وزيادة.

أَعدائه، وإقامة الحدود، والأَمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، لا يردُّهم عن ذلك رادٌّ، ولا يصدُّهم عنه صادٌّ، ولا يَحِيكُ فيهم لومةُ لائمٍ، ولا عذل عاذلٍ[(١)].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: أَمَرَني خَلِيلِي ﷺ بِسَبْعٍ: «أَمَرَنِي بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ، وَالدُّنُوِّ مِنْهُمْ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ دُونِي، وَلَا أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي، وَأَمَرَنِي أَنْ أَصِلَ الرَّحِمَ وَإِنْ أَدْبَرَتْ، وَأَمَرَنِي أَنْ لَا أَسْأَلَ أَحَدًا شَيْئًا، وَأَمَرَنِي أَنْ أَقُولَ بِالْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا، وَأَمَرَنِي أَنْ لَا أَخَافَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَأَمَرَنِي أَنْ أُكْثِرَ مِنْ قَوْلِ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَإِنَّهُنَّ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ»[(٢)].

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٣٦-١٣٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢١٤١٥و ٢١٥٠٩)، والنسائي في "السنن الكبرى" (١٠١١٤)، والطبراني في "المعجم الأوسط " (٧٧٣٩)، وفي "الدعاء" (١٦٥٠-١٦٥٢)، والبيهقي في "السنن" (١٠/ ٩١)، وصححه ابن حبان (٤٤٩).

محبة النبي ﷺ

(الرسول قُدوتنا)

محبة النبي ﷺ أَصلٌ من أُصول الإيمان، وأعظم واجبات الدين، ولا يستقيم إيمان المسلم إلا بها، فهي من أوجب الواجبات، وأعظم القربات.

معنى محبة النبي ﷺ وحقيقتها:

تعددت أقوال العلماء في تفسيرِ محبَّة النَّبيّ ﷺ، وكثُرت عِباراتُهم في ذلك، وليست ترجعُ في الحقيقة إلى اختلاف مقال، ولكنَّها تبايُن أَحوال، وأكثرُها إشارةٌ إلى ثمرات المحبَّةِ دون حقيقتها.

فقال سفيان الثوري: المحبَّةُ: اتّباعُ الرسول ﷺ، كأَنَّهُ التفتَ إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال بعضهم: محبّةُ الرَّسول اعتقاد نصرته، والذَّبُّ عن سُنَّته، والانقياد لها، وهيبةُ مخالفته.

وقال بعضهم: المحبَّةُ: الشَّوقُ إلى المحبوب(١).

وجوب محبته ﷺ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤].

---

(١) كتاب (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) للقاضي عياض وكتاب (موسوعة أحاديث الشمائل النبوية الشريفة) للدكتور همام سعيد مع آخرين من المراجع الأساسية في هذا الموضوع.

فَكَفى بِهذَا حَضًا وتَنْبيهًا ودِلالةً وحُجَّةً على إلزامِ مَحبَّتِهِ، ووُجُوب فَرضها وعِظَم خطرِهَا، واستِحقاقِهِ لها ﷺ، إذ قَرَّعَ[١] تعالى من كان مالُهُ وأَهلُهُ وولدُهُ أَحَبَّ إليهِ من الله ورسُولِهِ، وأوعدَهُمْ بقوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ ثمَّ فسَّقهُمْ بتمام الآية، وأَعلمَهم أَنَّهم ممن ضلَّ ولم يَهدِه الله.

وعن أنسٍ رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ». متفق عليه[٢]

قال سهل بن عبد الله التُستَري: من لَمْ يَرَ وِلايَةَ الرَّسُولِ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ الأَحْوَالِ وَيَرَى نَفْسَهُ فِي مِلْكِهِ ﷺ لَا يَذُوقُ حَلَاوَةَ سُنَّتِهِ لِأَنَّ النَّبِيّ ﷺ قال: لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ. الْحَدِيثَ.

فضل محبته ﷺ:

عن أنس بن مالكٍ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مَا أَعْدَدْتَ لَهَا» قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلاَةٍ وَلاَ صَوْمٍ وَلاَ صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» متفق عليه[٣].

قال الإمام النَّوويُّ رحمه الله: فيه فضلُ حُبِّ اللهِ ورسوله ﷺ والصَّالحين وأهل الخير الأحياء والأموات، ومِن فضل محبَّةِ اللهِ ورسولِه امتثالُ أمرِهما واجتنابُ نَهيِهما، والتّأدُّبُ بالآداب الشَّرعيَّةِ، ولا يُشترطُ في الانتفاع بمحبَّة الصَّالحين أن يعمل عملَهُم، إذ لو عمله لكان منهم ومِثلهم.

---

(١) (قَرَّع): يقال: قرّع فلانا: أوجعه باللوم والعتاب.

(٢) أخرجه البخاري (١٥) ومسلم (٤٤). وعن أَبي هريرة رضي الله عنه نحوه. أخرجه البخاري (١٤).

(٣) أخرجه البخاري (٦١٧١ و ٧١٥٣)، ومسلم (٢٦٣٩).

وعن أَبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ زَمَانٌ، لَأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ أَهْلِهِ وَمَالِهِ». رواه البخاري(١).

وفي رواية: «مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا، نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ». رواه مسلم.(٢)

وتقديرُ الكلام: يأتي على أحدكم يومٌ لأنْ يراني فيه لحظةً، ثمّ لا يراني بعدها، أحبُّ إليه من أهلِه وماله جميعًا. ومقصودُ الحديث: حَثُّهُمْ على ملازمة مجلسه الكريم ومُشاهدته حضرا وسفرا، للتَّأَدُّبِ بآدابه، وتعلّم الشَّرائع وحفظها ليُبلِّغوها، وإعلامُهم أنّهم سيندمون على ما فرَّطوا فيه من الزِّيادة من مشاهدته وملازمته؛ ومنه قولُ عمر رضي الله عنه: «أَلْهَانِي عَنْهُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ». والله أعلم.(٣)

لوازم محبته ومقتضياتها:

اعلم أنّ من أَحبَّ شيئًا آثرَه وآثرَ مُوافقتَه وإلَّا لم يكن صادقًا في حُبّه، وكان مُدَّعيا فالصَّادقُ في حُبِّ النَّبيّ ﷺ من تَظهرُ علامة ذلك عليه، ومن هذه العلامات:

أولا: الإيمان به وتصديقه فيما جاء به ﷺ.

ثانيا: طاعتُه واتِّبَاعُه ﷺ، بالاقتداء به، والسَّيرِ على نهجه والوقوف عند أقواله وأفعاله باتباع أوامره واجتناب نواهيه، والتأدب بآدابه في عسره ويُسرِه ومَنشطِه ومَكْرَهِه، لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٨٩)

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٣٢).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/ ١١٩).

﴿يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾: إشارةٌ إلى دليل المحبَّة وثمرتها، وفائدتها. فدليلُها وعلامتُها: اتِّبَاعُ الرَّسُولِ. وفائدتُها وثمرتُها: محبَّةُ المُرسَلِ لكم، فما لم تحصلِ المُتابعةُ، فليست محبَّتُكم له حاصلةً، ومحبَّتُه لكم منتفيةً.

وقال ابن رجب الحنبلي: «لا يكونُ المؤمِنُ مُؤمنًا حتَّى يُقدِّمَ محبَّةَ الرَّسولِ على محبَّةِ جميعِ الخلقِ، ومحبَّةُ الرَّسولِ تابعةٌ لمحبَّةِ مُرسلِهِ، والمحبَّةُ الصَّحيحةُ تقتضي المُتَابعةَ والمُوافقةَ».(١)

ثالثا: تقديم مَحَبَّتِه ﷺ على النفس والأهل والولد وجميع الناس:

وقد مر بنا في وجوب محبته ﷺ بعض الأدلة، فلا حاجة لتكرارها.

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: «يجب تقديم محبة الرسول ﷺ على النفوس والأولاد والأقارب والأهلين والأموال والمساكن، وغير ذلك مما يُحبُّهُ النَّاسُ غاية المحبة.. وعلامة تقديم محبة الرسول ﷺ على محبة كل مخلوق: أنه إذا تعارض طاعة الرسول ﷺ في أوامره، وداع آخر يدعو إلى غيرها من هذه الأشياء المحبوبة، فإنْ قدَّم المرءُ طاعة الرسول وامتثال أوامره على ذلك الداعي: كان دليلا على صحة محبته للرسول وتقديمها على كل شيء، وإن قدَّم على طاعته وامتثال أوامره شيئا من هذه الأشياء المحبوبة طبعا: دلَّ ذلك على عدم إتيانه بالإيمان التام الواجب عليه.(٢)

رابعًا: وجوب نُصرته والذبّ عنه:

قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[الأعراف: ١٥٧].

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٩٦)

(٢) فتح الباري لابن رجب (١/ ٤٩).

إنّ نصرة النبي ﷺ واجبة في حياته، وبعد مماته، وكان دأَبُ العلماء قديما وحديثا الأخذ على يد كل سفيه، يَمسُّ شخص رسول الله ﷺ.

وقد ابتلينا في هذا العصر الذي ضَعُف فيه المسلمون، وصار أبناء الإسلام مشتتين متفرقين، لا يجدون دولة تحتويهم وتدافع عنهم وعن دينهم وقضاياهم، ابتلينا بحملات تستهدف الإسلام ونبي الإسلام، منها الداخلي من بعض المنتسبين إليه، الذين تَرَبَوا في مؤسسات مشبوهة، وتأثروا بالمستشرقين، أو من بعض المرتزقة الذين باعوا دينهم مقابل الأموال والمناصب.

ومنها الخارجي: وهو نتاج مكائد ومؤامرات دولية وعالمية، تقوم عليها دول وأفراد حاقدون على الإسلام، فترى مخرجاتها متلونة تظهر في عدة صور، فمنها ما يظهر تحت ما يُسمى بحرية الرأي والفكر، ومنها الذي يُثيره أساتذةُ جامعاتٍ تحت مُسمّى الدراسات النقدية، أو التجديد والمعاصرة، وغيرها، وهي كلها تتقاطع في مَصَبٍّ واحدٍ يَهدُف إلى التشكيك في الإسلام عقيدة، وشريعة، وفكرا، وكذا في نبي الإسلام ﷺ وصحابته، وأئمة الإسلام وحملة لوائه.

وواجب المسلم إزاء هذه الحملات أن ينتصر لدينه، وأن يدافع عن نبيه، وصحابته وآل بيته، وعن الأئمة والعلماء؛ أن يدافع عنهم بيده ولسانه وقلمه وماله وموقفه.

خامسًا: توقيره وتعظيمه والأدب معه:

قال تعالى: ﴿ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾[الفتح: ٩].

وقال تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[الأعراف: ١٥٧].

دلت الآيتان الكريمتان على أنَّ مِن حَقِّ النبي ﷺ أن يكون في أمته مُعززًا مُوقَّرا مَهِيبا مُكَرَّما، ومعنى التعزير: التعظيم.

سادسًا: وجوب النصح له:

قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[التوبة: ٩١].

قال ابن جُزيّ رحمه الله: ﴿إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ﴾ يعني: بِنِيَّاتِهم وأَقوالِهم، وإن لم يخرجوا للغزو، ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾: وصفهم بالمحسنين لأَنَّهم نَصَحوا للهِ ورسوله، ورفع عنهم العُقوبةَ والتعنيف واللوم.[١]

وقال محمد بن نصر المروزي رحمه الله: وأَمَّا النَّصيحةُ للرَّسولِ ﷺ في حياته: فبذل المجهود في طاعتِهِ، ونُصرتِه، ومُعاونتِهِ، وبذلُ المالِ إذا أَراده، والمسارعةُ إلى مَحَبَّتِهِ.

وأَمَّا بعد وفاته: فالعنايةُ بطلب سُنَّتِهِ، والبحثِ عن أَخلاقِه وآدابِهِ، وتعظيمِ أَمرِهِ ولُزُومِ القيامِ بهِ، وشدَّةِ الغضبِ والإعراضِ عن من يَدينُ بخلافِ سُنَّتِهِ، والغضبِ على من ضيَّعَها لأَثَرَةِ دنيا، وإن كان مُتديِّنًا بها، وحُبِّ من كان منه بِسَبيلٍ، من قَرابَةٍ، أَو صِهرٍ، أو هِجرةٍ، أو نُصرَةٍ، أو صُحبَةِ ساعةٍ من ليلٍ أَو نهارٍ على الإسلامِ، والتَّشبُّهِ به في زِيِّهِ ولِبَاسِهِ.[٢]

سابعًا: كثرة ذكره والصلاة عليه:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[الأحزاب: ٥٦].

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل (١/ ٣٤٥).

(٢) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٦٩٣)

قال البخاري: قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: صَلَاةُ اللهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ، وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ: الدُّعَاءُ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُصَلُّونَ: يُبرِّكون.[١]

عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى الله عَلَيْهِ عَشْرًا». رواه مسلم[٢]

ثامنًا: نشر سنته ﷺ:

من حق النبي ﷺ علينا أن ننشر سنته وشريعته، ونُطلِعَ الناس على الخير الذي جاءنا به، بكل الوسائل والإمكانات المتاحة.

وقد بذل العلماء جهودا جبارة في خدمة السنة النبوية قديما وحديثا، حتى وصلت إلينا على هذا النحو، فقد قاموا بحفظها، وتبليغها، والرحلة في طلب الحديث، وجمعه، وتصنيفه، وبيان صحيحه من سقيمه، وبيان عِلله، ومعرفة أحوال رجاله، وإفراد الصحيح منه بالتصنيف، وبيان الأحاديث الموضوعة والضعيفة، وبيان أحوال الأحاديث المشتهرة بين الناس، والتصنيف في مواضيع مستقلة، مثل الأشربة، والأموال والخراج، ومكارم الأخلاق، ومساوىء الأخلاق، ووضع دستور الرواية من خلال كتب علوم المصطلح، وغيرها؛ وبقي الجهد متواصلا حتى زماننا هذا.

وفي هذا العصر الذي نعيش فيه، شهد العالم ثورة حقيقية في جمع البيانات، وحفظها، وتصنيف المعلومات، وقدرات هائلة في استرجاعها، وقد استفاد المسلمون منها جيدًا في نشر سنته والدفاع عنها.

---

(١)صحيح البخاري (٦/ ١٢٠)

(٢) أخرجه مسلم (٤٠٨).

الاستقامة

معنى الاستقامة:

الاستقامة: هي اتّباعُ الحق، والقيامُ بالعدل، وملازمة المنهج المستقيم، من الإتيان بجميع المأمورات، والانتهاء عن جميع المناهي[1].

حقيقة الاستقامة:

الاستقامة كلمة جامعة، جمعت خصال الدين كلها، فهي تشمل أعمال القلب واللسان، والجوارح، والأصلُ أن تكون ملازمة للاعتقادات، والعبادات، والمعاملات، والعادات، والأخلاق، والمقاصد.

فالمسلم مستقيم في كلّ شؤونه، مستقيم في علاقته مع الله تعالى، بسلامة اعتقاده، وإخلاصه، وصحة عبادته، وبذل جهده وطاقته في العمل لدينه.

ومستقيم مع الناس أيضا، بحسن خلقه، وحفظ أمانته، ونظافة تعامله، وقيامه بواجباته، وتأدية عمله على أحسن الوجوه.

والاستقامة تكون بملازمة الصراط السوي من غير انحراف عنه، وذلك بفعل المأمورات كلها ظاهرها وباطنها، وترك المنهيات كلها كذلك، في كل جوانب الشريعة الإسلامية.

وجوب الاستمرار على الاستقامة:

قال الله تعالى لنبيه: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢]، وقال: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [الشورى: ١٥].

---

(١) حاشية السندي على سنن ابن ماجه (١/ ١١٩).

قال ابن عطية رحمه الله: «وخوطب عليه السلام بأمر الاستقامة، وقد كان مستقيما، بمعنى: دم على استقامتك، وهكذا الشأن في كل مأمور بشيء هو متلبس به، إنما معناه الدوام، وهذه الآية ونحوها كانت نصب عين النبي ﷺ، وكانت شديدة الموقع من نفسه، أعني قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾ [هود: ١١٢] لإنها جملة تحتها جميع الطاعات وتكاليف النبوة، وفي هذا المعنى قال عليه السلام: «شيبتني هود وأخواتها»[(١)]، وهذا الخطاب له عليه السلام بحسب قوته في أمر الله تعالى، وقال هو لأمته بحسب ضعفهم: «استقيموا»[(٢)].

وقال سبحانه لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يونس: ٨٩]. أمرهما سبحانه بالثبات على طريقهما ودعوتهما، ونهاهما عن اتباع سبيل الذين يتخبطون على غير علم، ويترددون في الخطط والتدبيرات، ويقلقون على المصير، ولا يعرفون إن كانوا يسيرون في الطريق الهادي أم هم ضلوا السبيل[(٣)].

وقال لعباده: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣].

قال سيد قطب رحمه الله: «والاستقامة على قوله: «رَبُّنَا اللهُ». الاستقامة عليها بحقِّها وحقيقتها، الاستقامة عليها شعورا في الضمير، وسلوكا في

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٩٧)، والحاكم (٣٣١٤) وصححه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، وهذا الحديث ضعيف فقد وقع في إسناده اضطراب، وصححه بعضهم.

(٢) تفسير ابن عطية (٥/ ٣٠).

(٣) انظر «في ظلال القرآن» (٣/ ١٨١٧).

الحياة، الاستقامة عليها والصبر على تكاليفها أمر ولا شك كبير وعسير؛ ومن ثم يستحق عند اللّه هذا الإنعام الكبير: صحبة الملائكة، وولاءهم، ومودتهم، هذه التي تبدو فيما حكاه اللّه عنهم، وهم يقولون لأوليائهم المؤمنين: لا تخافوا، لا تحزنوا، أبشروا بالجنة التي كنتم توعدون»[١].

والمسلم يدعو في كل ركعة من ركعات الصلاة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦ - ٧].

فهو يطلب من الله تعالى أن يُلهِمَه ويُرشده ويُبَيِّنَ له طريق المُنعَم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في معتقداته، وفي التزامه لأحكام شرعه، وذلك هو مقتضى القرآن والإسلام، وهو حال رسول الله ﷺ، وهذا الدعاء إنما أُمر به المؤمنون في عصر النبوة وعندهم المعتقدات الصحيحة، والأعمال الصالحة، فالمقصود منه بالنسبة لجنابهم التثبيت والإرشاد، وأما الجاهلُ والمُقَصِّرُ والمُفرّط فَيَقْصِد بهذا الدعاء: الهداية والإلهام والإرشاد إلى الصراط المستقيم كما قدمنا.

وفي الصحيحين عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا»[٢].

فالسَّداد: هو حقيقة الاستقامة، وهو الإصابة في جميع الأعمال والأقوال والنيّات، وحال صاحبه كالذي يُسَدِّدُ إلى الهدف، فيصيبه.

والمقاربة: أن يُصيبَ ما قرُب من الهدف، مع حرصه على إصابة الهدف، لكنه لم يُصبه، عن غير قصد.

---

(١) في ظلال القرآن (٥/ ٣١٢١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٦٤)، ومسلم (٢٨١٨).

ومعنى الحديث: احْرِصُوا واقصدوا على التسديد والإصابة والاستقامة، في الأعمال والأقوال والنيات، فإن أصبتم وبلغتم المراد فهو المطلوب، وإن قصدتم الإصابة وجاءت النتيجة مقاربة، وحصل بعض التقصير، فيُجبر ذلك بالاستغفار المقتضي للتوبة والرجوع إلى الاستقامة. وهذا معنى قول الله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: ٦] ففي الآية إشارة إلى أنّه لا بدّ من تقصير في الاستقامة المأمور بها، وهذا أيضا معنى حديث ثوبان رضي الله عنه «اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمْ الصَّلَاةَ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ»[1].

ومعنى "استقيموا ولن تحصوا": أنكم لن تطيقوا أن تستقيموا بالكلية، ولكن احرصوا واجتهدوا في تحصيل الاستقامة ما استطعتم، وعلى قدر طاقتكم.

أصل الاستقامة استقامة القلب:

قال الحافظ ابن رجب في "جامع العلوم والحكم": "فأَصلُ الاستقامة استقامةُ القلب على التوحيد، كما فَسَّر أبو بكر الصديق وغيرُه قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣] بأنّهم لم يلتفتوا إلى غيره، فمتى استقامَ القلبُ على معرفة الله، وعلى خشيته، وإجلاله، ومَهَابته، ومحبته، وإرادته، ورجائه، ودُعائه، والتوكل عليه، والإعراض عما سواه، استقامت الجوارحُ كلُّها على طاعته؛ فإنّ القلبَ هو مَلِكُ الأعضاء، وهي جنودُه، فإذا استقام المَلِكُ استقامت جنودُه ورعاياه،

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٧٧)، والإمام أحمد (٢٢٧٣٧و٢٢٨٠٠)، والدارمي (٦٩٩)، والحاكم في "المستدرك" (١/ ١٣٠)، وهو بمجموع طرقه حسن أو صحيح.

وكذلك فُسِّر قولُه تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾ [الروم: ٣٠] بإخلاص القصد لله وإرادتِه لا شريك له.

وأعظم ما يُراعى استقامتُه بعد القلب من الجوارح اللِّسانُ؛ فإنه ترجمانُ القلب والمعبِّرُ عنه، ولهذا لما أمر النبي ﷺ بالاستقامة، وصَّاه بعد ذلك بحفظ لسانه؛ ففي مسند الإمام أحمد عن أنس عن النبي ﷺ قال: «لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ»[1].

أهمية الاستقامة:

إن للاستقامة أهمية بالغة، وقد ذكرنا في ثنايا حديثنا بعض وجوه أهمية الاستقامة، ويمكن أن نجمل بعض جوانب أهميتها بما يأتي:

١- ذكرت الاستقامة في القرآن الكريم في خمسة وأربعين موطنا، فقد جاءت مقترنة بالفعل تارة، وبالوصف تارة أخرى، وجاءت في ثلاثة وثلاثين موطنا وصفا للصراط، وفي موطن مقترنة بالهدى، وفي موطن آخر مقترنة بالطريق، وفي موطنين وصفا للقسطاس.

٢- أَمَرَ الله تعالى بها رسله الكرام كما مر بنا، وأمر عباده أن يتوجهوا إليه بطلبها في كل ركعة من ركعات الصلاة، وجاء ذكرها في موطن تكريم أهلها بالإنعام عليهم كما مرّ بنا في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٠].

٣- أن الاستقامة حقيقة الدين، وروحه ولبُّه، وهي مقتضى دعوة الأنبياء والمرسلين.

---

١ أخرجه الإمام أحمد (١٣٠٤٨) وغيره، وفي إسناده ضعف. وحسنه بعضهم.

٤- ولأهميتها البالغة، أوصى النبي ﷺ بها من جاء يسأله عن قول جامع في الإسلام لا يسأل عنه أحدا بعد رسول الله ﷺ.

فَعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ، قَالَ: قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1].

ثمرات الاستقامة:

مر بنا بعض ثمرات الاستقامة، عند حديثنا عن حقيقة الاستقامة، ويمكن أن نجمل بعض ثمرات الاستقامة بما يأتي:

١- نيل رضا الله تعالى، والبشرى بالجنة، لما مرّ بنا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

٢- تَنَزُّل الملائكة على أهل الاستقامة بالبشرى، كما جاء في الآية السابقة.

قال السمعاني: " أي: عند الموت، ويُقال: عند البعث، فإنّ العبد إذا بُعِث تَلَّقاه الملكان اللَّذان كانا يحفظانه ويكتبان عليه، ويقولان له: لا تخف ولا تحزن وأبشر بِالجنَّة الَّتي كنت تُوعَد، ولا يهولك الَّذي تراه، فإنَّما أُريد بِه غيرك. وعن أبي العالِية الرياحي قال: يُبَشَّرُ المُؤمن في ثلاثة مواطن: عند دخول القبر، وعند البعث، وعند دخوله الجنة[2].

٣- الأمن والطمأنينة، للآية السابقة.

فالخوف: إنما يكون على شيء مُسْتَقْبَل، من حلول مكروه أو فوات

---

١ أخرجه برقم (٣٨).

٢ تفسير السمعاني (٥/ ٥٠).

محبوب، فأهل الاستقامة تبشرهم الملائكة بحصول كل محبوب، وصرف كل مكروه ومرهوب.

والحزن: خلاف الفرح والسرور، وهو حالة من الغمّ والكآبة باطنا، يُرى أَثرُها على الظاهر غالبا، ومن كان راضيا قنوعا في الحياة فلا حُزن له، وأما بعد الحياة فإنّ الملائكة يُبشرونهم بما يَسُرُّهم.

٤- حبُّ الناس وتقديرهم للمستقيم، فقد جرت عادة الناس حبّ المستقيم وتقديره.

٥- سعة الرزق في الدنيا وتيسير الأمور، قال تعالى: ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾ [الجن: ١٦].

التقوى

لما كانت التقوى وصية الله تعالى للأولين والآخرين، ووصية الرسل الكرام - عليهم الصلاة والسلام - لأقوامهم أجمعين، وهي ركن الدين القويم، الحافظ للمسلم في حياته وبعد مماته؛ فهي العاصم من الفتن، والهادي عند حلول الظلم، والمحفز إذا ما أقبلت الفَترة والركود، والمُعين على دفع كل عَقَبة كَؤود، فهي تمنع من اقتحام بحر المحرمات والمكروهات والشبهات؛ وتحمل صاحبها على ركوب الطاعات والقربات والمندوبات، ولما كان هذا حالها، كان لا بدّ من التعرف على معناها، وأهميتها، ومنازل أصحابها، ووسائل الوصول إليها على وجه الاختصار.

تعريف التقوى:

تكاثرت تعريفات العلماء للتقوى، قال ابن عبد البر رحمه الله في الاستذكار: "وَالتَّقْوَى اسْمٌ جَامِعٌ لِطَاعَةِ اللهِ، وَالْعَمَلِ بِهَا فِي مَا أَمَرَ بِهِ أَوْ نَهَى عَنْهُ، فَإِذَا انْتَهَى الْمُؤْمِنُ عَنْ مَا نَهَاهُ اللهُ وَعَمِلَ بِمَا أَمَرَهُ اللهُ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَاتَّقَاهُ"(١).

ومن التعريفات الحسنة للتقوى ما ذكره الجرجاني بقوله: "التقوى: في الطاعة يُراد بها الإخلاص، وفي المعصية: يُراد بها الترك والحذر"(٢).

حقيقة التقوى:

قال ابن القيم -رحمه الله-: "وأما التقوى: فحقيقتها: العمل بطاعة الله إيمانًا واحتسابًا، أمرًا ونهيًا، فيفعل ما أمر الله به إيمانًا بالآمر وتصديقًا

---

١ الاستذكار (٨/ ٥٨٧).

٢ التعريفات للجرجاني ص (٦٥).

بوعده، ويترك ما نهى الله عنه إيمانًا بالناهي وخوفًا من وعيده، فانّ كل عمل لابد له من مبدأ وغاية، فلا يكون العمل طاعة وقربة حتى يكون مصدره عن الإيمان، فيكون الباعث عليه هو الإيمان المحض، لا العادة ولا الهوى، ولا طلب المحمدة والجاه وغير ذلك، بل لابد أن يكون مبدؤه محض الإيمان، وغايته ثواب الله وابتغاء مرضاته، وهو الاحتساب"[١].

أهمية التقوى:

إنّ التقوى تتمتع بأهمية كبيرة، فهي ركن الدين العظيم، وأساس الإيمان المتين، وهي ثمرة الصدق مع الله تعالى، وخلاصة العبادة، والطريق إلى جنات النعيم، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في مئتين وثمانية وخمسين موضعا بتصاريفها المتعددة، وسنلقي الضوء على بعض وجوه أهميتها على وجه الاختصار، فمنها الآتي:

١- التقوى وصية الله تعالى للأولين والآخرين:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ١٣١]. قال القرطبي رحمه الله: "قال بعض العارفين: هذه الآية هي رَحَى آي القرآن، لأنّ القرآن جميعه يدور عليها"[٢].

٢- والتقوى صفة ملازمة للرسل ولخيار عباد الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[الزمر: ٣٣].

قال ابن جرير الطبري - بعد أن ساق جملة من أقوال المفسرين في هذه الآية-: "والصواب أن يُقال: إنّ الله تعالى ذِكرُه عَنَى بقوله: (وَالَّذِي جَاءَ

---

١ الرسالة التبوكية ص (١٣).

٢ تفسير القرطبي (٥/ ٤٠٩).

بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ) كلَّ من دعا إلى توحيد الله، وتصديقِ رسوله، والعملِ بما ابتُعِث به رسولُه من بين رسل الله وأتباعِه والمؤمنين به، وأن يقال: الصدق هو القرآن، وشهادة أن لا إله إلا الله، والمُصَدِّقُ به: المؤمنون بالقرآن، من جميع خلق الله كائنا من كان من نبيّ الله وأتباعه.

فالذين كانوا كذلك يوم نزلت هذه الآية؛ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه ومن بعدهم، القائمون في كل عصر وزمان بالدعاء إلى توحيد الله، وحُكمِ كتابِه"[١].

٣- والتقوى وصية الرسل الكرام لأقوامهم أجمعين:

لو نظرنا في القرآن الكريم لوجدناه مليئا بوصية الأنبياء والرسل عليهم السلام لأقوامهم بها، ولو نظرنا في سورة الشعراء على سبيل المثال لوجدنا فيها دعوة خمسة من الرسل أقوامهم إلى التقوى، فهذا نوح عليه السلام يوصي قومه بها: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء: ١٠٥ - ١٠٦].

وهذا هود عليه السلام يوصي قومه بالتقوى، قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء: ١٢٣ - ١٢٤].

وكذلك لوط، وشعيب، وموسى عليهم السلام.

٤- التقوى وصية النبي ﷺ لأمته:

فقد كَانَ ﷺ إِذَا بَعَثَ أَمِيرًا عَلَى سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَبِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، وَلَمَّا خَطَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ يَوْمَ النَّحْرِ، وَصَّى النَّاسَ بِتَقْوَى اللهِ وَبِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِأَئِمَّتِهِم، وَلَمَّا وَعَظَ النَّاسَ، قَالُوا لَهُ: كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا، قَالَ: «أُوصِيكُمْ

---

١ تفسير الطبري (٢١/ ٢٨٩ -٢٩٢) باختصار وتصرف.

بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ». [١]

٥- التقوى مرقاة الفلاح في الدارين:

قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ وردت في ثلاثة مواضع [البقرة: ١٨٩، وآل عمران: ١٣٠ و٢٠٠]، وقال تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ١٠٠]، واللافت أنّ الآيات التي جاءت مختومة بقول الله تعالى: ﴿لعلكم تفلحون﴾ وردت في أحد عشر موضعا، أربعة منها لها تعلق بالتقوى.

٦- التقوى مفتاح من مفاتيح استجلاب البركات:

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦].

يقول الأستاذ سيد قطب - رحمه الله -: "إنّ البركات الحاصلة مع الإيمان والتقوى، بركات في الأشياء، وبركات في النفوس، وبركات في المشاعر، وبركات في طيبات الحياة، بركات تُنمي الحياة وترفعها في آن، وليست مجرد وفرة مع الشقوة والتردي والانحلال" [٢].

٧- والتقوى سبب من أسباب دفع الكرب وتيسير الأمور وتعظيم الأجور:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾ [الطلاق: ٤].

---

١ أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٣ و٤٤)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وهو كما قال.

٢ في ظلال القرآن (٣/ ١٣٣٩-١٣٤٠)، وله في تفسير هذه الآية كلام رائع تركناه اختصارًا، فراجعه. وانظر "تفسير المنار" (٩/ ٢٢) لمحمد رشيد رضا رحمه الله.

٨- المتقون أحباب الله تعالى:

قال تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ٧٦]، وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٤ و٧].

٩- المتقون يحظون بِمَعِيَّة الله تعالى ونصره وتمكينه:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨].

١٠- وهي كذلك سبب من أسباب تَبَوُّء الدرجات العلى في الجنة:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴾ [القمر: ٥٤ - ٥٥].

الوسائل الموصلة للتقوى:

ينبغي للمسلم أن يتحرّى تقوى الله في كلّ شؤون حياته، فهو محتاجٌ لها، لتثبّته في معترك الحياة، وهذا ما أوصى به النبي ﷺ في وصيته الجامعة لمعاذ بن جبل رضي الله عنه فقال له: " اتَّقِ اللهَ حيثُما كنتَ "[1]، والحصول على هذه التقوى له وسائل عدة تُحصّلُ بها منها:

تحقيق العبودية لله عز وجل وذلك بأداء الفرائض والنوافل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١].

قال البغويّ رحمه الله: "قيل معناه كونوا على رجاء التقوى بأن تصيروا في ستر ووقاية من عذاب الله".[2]

الاستقامة على أمر الله تعالى في كل شؤون الحياة قولًا وعملًا: ﴿وَأَنَّ

١ أخرجه أحمد في مسنده، ٢٢٠٥٩ .

٢ تفسير البغوي، ج ١، ص ٧١.

هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

الورع وترك الشبهات: فقد يستهين الداعية بالشبهات بسبب مغريات الحياة، فلا يبقى بينه وبين الوقوع في الحرام حاجز فيقع فيه، ولذلك قال ﷺ: "لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرًا لما به البأس"(١). وقال أَبو الدَرداء رضي الله عنه: " تمامُ التَّقوى أن يَتّقي الله العبدُ حتَّى يتّقيهُ مِنْ مثقال ذرة، وحتّى يَترُكَ بعض ما يرى أنَّه حلال خشية أن يكون حراما يكونُ حِجابًا بيْنهُ وبين الحرام، فإنّ اللّه قد بيّن للعباد الّذي يُصيّرُهُم إليه، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧- ٨]، فلا تحقرنّ شيئا منَ الخير أَنْ تفعَلهُ، ولا شيئا من الشرّ أَنْ تتَقيَهُ".(٢)

صدق العبد مع الله تعالى: بإخلاص نيته، وحسن عبوديته، فلا يرجو بطاعته إلا الله، وصدقه مع نفسه باستواء سره وعلانيته، وصدقه مع الناس في أقواله وأفعاله، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣].

الدعاء: وذلك بأن يُلحّ العبد على الله تعالى بأن يرزقه التقوى، وأن يجعله من المتقين.

قال تعالى: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

تلاوة القرآن وتدبره: فإنه من أعظم ما يوصل العبد إلى التقوى.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١].

---

١ رواه الترمذي ٢٤٥١، وابن ماجه ٤٢١٥.

٢ جامع العلوم والحكم،ج١،ص ٤٠٠.

ثمرات التقوى:

التقوى لها ثمراتٍ كثيرة يجنيها المتقي في الدنيا والآخرة، وبحسب العمل بصفات المتقين يكون السبق في الحصول على هذه الثمرات، ومن هذه الثمار ما يأتي:

علوّ المنزلة والمكانة عند الله تعالى يوم القيامة، لأنّ فيها تعظيمًا لشعائر الله تعالى، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [البقرة: ٢١٢].

التقوى جزاؤها الجنة ثوابًا للمتقين، قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ [آل عمران: ١٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [القلم: ٣٤].

استصحاب معيّة الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

وهذه معيّة التوفيق والتسديد، والنصرة، والتأييد، والإعانة، والحماية، وهي المعيّة الخاصة، كما قال تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]. وأمّا المعيّة العامّة فهي معيّة شاملة لكل شيء، بسمعه، وبصره، وعلمه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]. [1]

التقوى سبب التأييد الإلهي ونزول المدد من السماء، وسبيل الخروج من كل ضيق، وتيسير كلّ صعب، قال تعالى: ﴿بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥].

١ انظر: تفسير ابن كثير ج ٤، ص ٦١٥ .

أنها سبب لنيل رحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة، و الظفر بمحبته عزَّ وجل، قال تعالى: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

أنها سبب قبول الأعمال، وسبب البركة في الأرزاق: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

التمسك بالسنة

إنّ السنة النبوية مصدر من مصادر التشريع، وهي وحي من عند الله تعالى، وهي شارحة للكتاب، وموضحة له، ومفصلة لكثير من أحكامه، والتمسك بها تمسك بهذا الدين وهو الدليل الحقيقي على محبة النبي ﷺ.

تعريف السنة

عرفها أهل الحديث بقولهم: هي كلّ ما ورد عن النبي ﷺ من قولٍ أو فعل أو تقرير أو صفة، من مبدأ بعثته إلى وفاته[1].

حجيّة السنّة ومكانتها في التشريع:

أجمع العلماء المحققون من سلف هذه الأمة وخلفها على حجيّة السنّة النبويّة، وأنها مصدر للتشريع، وأنها تأتي بعد القرآن الكريم من حيث الذكر والمنزلة، وليس معنى هذا أنّ السنة متأخرة في مصدريتها عن الكتاب العزيز، فالسنّة وإن كان ثبوتها يأتي في مرتبة ثانية عن القرآن الكريم؛ حيث إنّ المتواتر منها قليل بخلاف القرآن الكريم الذي نقل إلينا بالتواتر؛ ولكنها في التشريع كالكتاب، فعَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ..."[2].

---

١ السنة ومكانتها في التشريع للدكتور مصطفى السباعي ص(٤٧).

٢ أخرجه أحمد (١٧١٧٤)، وأبو داود (٤٦٠٤)، وابن حبان (١٢)، وهو صحيح.

وللسنّة مع القرآن حالات ثلاث:

إمّا أن تكون موافقة للقرآن ومؤكدة لما ثبت فيه من أحكام، أو مفرعة على أصل تقرر فيه. ومثال ذلك الأحاديث الدالة على وجوب الصلاة والزكاة والصوم وغيرها.

وإمّا أن تأتي بأحكام مُبينة ومُفصلة لمجمل القرآن. ومثال ذلك بيان السنة لمقادير الزكاة، ومواقيت الصلاة، وعدد ركعاتها، وأعمال الحج وغير ذلك.

وإما أن تأتي السنّة بأحكام جديدة لم يذكرها القرآن الكريم؛ وليست بيانًا له، ولا تأكيدًا لما ثبت فيه من أحكام، مثل تحريم الحمر الأهلية، وتحريم نكاح المرأة على عمتها، أو على خالتها.

فالحاصل أنّ السنّة تُحلِّل، وتُحرم، وتَندب، وتُبيح، مثل القرآن تمامًا[١].

أخي الداعية: لقد تعرضت السنّة النبوية قديمًا وحديثًا لموجاتٍ متعددة من التشكيك والطعن، كان هدفها الأبرز هو التشكيك في هذه السنّة العطرة، وتعطيل العمل بها، وفي هذا باب للطعن في القرآن الكريم، ومن ثمّ هدم أصول هذا الدين.

والواجب عليك أخي الكريم أن لا تلتفت لهذه الطعونات، وأن تسارع بردّ أيّ شبهة تعرض لك إلى أهل العلم العدول، الذين ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين.

---

١ للمزيد حول هذا الموضوع انظر: التمهيد في علوم الحديث للدكتور همام سعيد، ص٦٧.

وإنّ من المقرر شرعًا أنّ الأصل في السنّة بمفهومها العام قد جاءت للاتباع والتأسي قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٢١].

قال ابن كثير -رحمه الله-: "هذه الآية أصل كبير في التأسّي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أُمر الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته، وانتظاره الفرج من ربه عز وجل"[1].

ولقد تظافرت النصوص الشرعية الآمرة بوجوب طاعة النبي ﷺ في آيات وأحاديث كثيرة، نذكر منها على سبيل الإيجاز ما يأتي.

الآيات القرآنية الدالّة على وجوب التمسك بالسنّة:

١- جعل الله طاعة النبي ﷺ واتّباعه الدليل الصادق على محبته ﷺ. قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [آل عمران: ٣١].

٢- قرن الله تعالى طاعة نبيه ﷺ بطاعته ﷺ فقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾ [النساء: ٨٠].

٣- أمر الله تعالى بردّ الأمر عند التنازع إلى الله والرسول: ﷺ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

---

١ تفسير ابن كثير،(٦/ ٣٩٢).

ومن الأحاديث النبوية الدالة على وجوب التمسك بالسنّة:

ما رواه مسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ،... وَيَقُولُ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[1].

أخي الحبيب: ينبغي أن يكون هذا الحديث شعارًا لك في حياتك، وأن ترفعه في كل أحوالك، وكل ما يعرض لك من مسائل ترتاب فيها، فتسأل نفسك: هل هذا يوافق هدي النبي ﷺ أم يعارضه؟ حيث يحسم لك هذ الشعار كثيرًا من الأمور التي ترتاب في الإقدام عليها.

أقوال السلف في الحث على التمسك بالسنة:

تكاثرت أقوال علماء السلف في الحثِّ على التمسك بالسنّة، نذكر منها:

١- قال الزُّهري رحمه الله: " كان من مضى من علمائنا يقولون: الاعتصام بالسنّة نجاة"[2].

٢- وقال الإمام مالك: " السنّة سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق"[3].

الاهتمام بالسنن والنوافل:

تطلق النافلة في اللغة على مطلق الزيادة، وتطلق في الاصطلاح على كل ما زاد على الفرض مما لا يجب على المكلف، ومنه قيل لصلاة التطوع نافلة[4].

---

١ أخرجه مسلم، (٨٦٧).

٢ سنن الدارمي (١/ ٢٣٠).

٣ ذم الكلام وأهله، أبو اسماعيل الهروي، (٥/ ٨١).

٤ انظر: غريب الحديث لابن قتيبة (١/ ٢٢٩)

وقد تسمى النافلة تطوعًا أو سنة، سواء كان ذلك في الصلاة أو الزكاة أو الصوم، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴾[الإسراء: ٧٩].

قال القرطبيّ: "وعلى هذا يكون الأمر بالتنفّل على جهة الندب، ويكون الخطاب للنّبيّ ﷺ لأنَّه مغفور له، فهو إذا تطوعَ بما ليس بواجبٍ عليه، كان ذلك زيادة في الدرجات؛ وغيرُه من الأمّة تطوّعهم كفارات وتدارك لخلل يقع في الفرض، وقيل: عطيّة، لأنّ العبد لا ينال من السّعادة عطاء أفضل من التوفيق في العبادة "[1].

ويمكن أن نُجمل أهمية التمسك بالسنن والنوافل فيما يأتي:

١- أنّها تجبر نقص الفرائض: فعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلاَتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ، قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ"[2].

٢- حصول محبة الله للعبد: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ

١ تفسير القرطبي (١٠/ ٣٠٩).

٢ أخرجه الترمذي (٤١٣)، وأبو داود (٨٦٤)، والنسائي (٤٦٧)، وابن ماجه (١٤٢٥).

اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ "[١].

٣- أداء النوافل فيه تحقيق العبودية لله تعالى: فالمسلم يؤدي الفرائض لأنها مكتوبة عليه ولأنه يأثم بتركها، أما أداء النوافل ففيه إظهار لكمال العبودية لله تعالى، ودليل على أن العبادة نابعة من محبة العبد لله ﷻ، وشكرًا له على آلائه ونعمه.

٤- أنها سبب لرفع الدرجات، وحطّ الخطايا، كما جاء في حديث ثَوبانَ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قَالَ: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً، إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً»"[٢].

٥- أنها سبب في زيادة الإيمان، ودليل على قوّته: فإنّ الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

أقسام النوافل والسنن:

تقسم النوافل والسنن إلى قسمين:

١- قسمٌ مطلق: أي ليس مقيدًا بوقت، فيصلى فيه المسلم متى يشاء وكيفما شاء، ويتصدق متى شاء، طمعًا فيما عند الله ﷻ من أجرٍ ومثوبة.

٢- قسمٌ مقيدٌ بوقت: كالرواتب التى تسبق أو تعقب الصلوات الخمس المفروضة، وكصلاة الضحى، وتحية المسجد، والوتر، وصلاة الليل، وصلاة الكسوف والخسوف، وغيرها.

---

١ أخرجه البخاري (٦٥٠٢) أقول: من لطائف هذا الحديث أن الإمام البخاري أورده في باب التواضع، مع أن ظاهر الحديث لا علاقة له بالتواضع إلاّ أن الإمام ابن حجر قد ردّ هذا القول بقوله: " والجواب عن البخاري من أَوجه أَحدها أَنّ التقَرب إلى الله بالنَوافل لا يكون إلا بغاية التّواضع للّه والتوَكل عليه ".

٢ أخرجه مسلم (٤٨٨).

مجالات السنن والنوافل:

١ - نافلة الذكر: كتلاوة القرآن الكريم، وأذكار الصباح والمساء، وغيرها من الأذكار المطلقة.

٢- نوافل الصلاة: كسنن الرواتب (ركعتين قبل الفجر، وأربع ركعات قبل الظهر، واثنتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء)، والضحى، والوتر، وصلاة ركعتين بعد الوضوء، وتحية المسجد.

٣- نوافل الصيام: كصيام المحرّم، وصيام عاشوراء، والاثنين والخميس، وستة أيام من شوال، ويوم عرفة، وثلاثة أيام من كلّ شهر.

٤- نوافل الصدقة: قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [سبأ: ٣٩].

أخي الحبيب: وأنت ترفل في نعم الله الكثيرة، وتنعم بصحة وعافية، ليكن نصيبك من هذه السنن والنوافل الشيء الكثير، لتصل إلى محبة الله ﷻ، وتُرْفَع درجاتك عنده ﷺ. حافظ أخي على قراءة جزء من القرآن كل يوم حتى تختمه مرة كل شهر، واغتنم المحافظة على الاذكار بعد الفرائض، وأذكار النوم، والأكل، والسفر، وأذكار الصباح والمساء، وغيرها. وليكن تعاهدك بالسنن الراتبة وصلاة الضحى والوتر، واحرص على اقتطاع جزء من راتبك أو دخلك الشهريّ مساهمةً في خدمة دعوتك، ودعم المجاهدين والمرابطين في بقاع الارض. ولا تنس أخى الصيام والقيام، والعمرة، وبذل صنوف الخير كلها؛ فإنّ هذه السنن والنوافل سورٌ منيع، وسياج يحمي الفرائض من تسرب الضعف إليها.

الصدق

إنَّ الصدق من أجلِّ الأخلاق وأنبلها، وأعظمها وأكملها، وقد أمرنا الله تعالى بالصدق في كل الأحوال، ورتب عليه الأجر الجزيل، والمثوبة العظيمة.

قال ابن القيم: " الصدق: منزلُ القوم الأعظم الذي منه تنشأ جميعُ منازل السالكين، والطريقُ الأقوم الذي من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين، وبه تميَّز أهل النفاق من أهل الإيمان، وسكان الجنان من أهل النيران، وهو سيف الله في أرضه، الذي ما وُضع على شيء إلا قطعه، ولا واجه باطلًا إلا أرداه وصرعه، من صَالَ به لم تُردَّ صَولتُه، ومن نطق به عَلَت على الخصوم كلمتُه، فهو روحُ الأعمال، ومحكُّ الأحوال، والحامل على اقتحام الأهوال، والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال، وهو أساس بناء الدين، وعمود فُسطاط اليقين، ودرجته تاليةٌ لدرجة النبوة، التي هي أرفع درجات العالمين، ومِن مساكنهم في الجنات تُجرى العيونُ والأنهار إلى مساكن الصديقين، كما كان من قلوبهم إلى قلوبهم في هذه الدار مَددٌ متصل ومَعين، وقد أمر الله سبحانه أهل الإيمان: أن يكونوا مع الصادقين، وخصَّ المنعم عليهم بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩][1].

وسنتعرف في هذا الموضوع على معنى الصدق، وأهميته، وأقسامه، وثمراته، وأقوال العلماء فيه.

---

١ مدارج السالكين (٢/ ٢٥٧).

معنى الصدق وحقيقته:

الصدق: هو الخبر عن الشيء على ما هو به، وهو نقيض الكذب.

وقيل: هو مطابقة المُخبر عنه كيفما كان[١].

وقيل: الصِّدقُ: حصولُ الشَّيءِ وتَمامُه، وكمالُ قُوَّتِه، واجتماعُ أجزائِه، كما يُقال: عزيمةٌ صادقةٌ: إذا كانت قويَّةً تامَّةً، وكذلك: مَحبَّةٌ صادقةٌ، وإرادةٌ صادقةٌ. وكذا قولُهم: حلاوةٌ صادقةٌ: إذا كانت قويَّةً تامَّةً ثابتةَ الحقيقةِ. لم ينقُص منها شيءٌ.[٢]

أهمية الصدق:

إن للصدق أهمية كبيرة على الفرد والمجتمع، وسنذكر بعض جوانب أهميته على وجه الاختصار فمنها الآتي:

١- لولا الصدق لضاعت الثقة، وتمزقت العلاقات الاجتماعية، وانهارت المجتمعات، وسيكون كلُّ شيء في مهب الريح، العلم، والتعليم والأخبار، والتاريخ، والآثار، والمعارف، ونتائج الأبحاث، والشهادات، والقضايا، والأحكام، والإعلام، وغيرها.

٢- أن الله جعل الصدق صفة من صفاته سبحانه، قال تعالى: وقال: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾ [النساء: ٨٧].

٣- أن الله تعالى جعل الصدق صفة من صفات رُسُله وأنبيائه، قال تعالى: ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾ [يس: ٥٢]، وكان نبينا الصادق المصدوق ﷺ يلقب قبل النبوة بالصادق الأمين.

١ البحر المحيط للزركشي (٦/ ٨٣-٨٤).
٢ مدارج السالكين (٢/ ٢٦٧).

٤- أن الصدق صفة عباد الله الصالحين المتقين، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٦ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٦ – ١٧]، ولُقِّب خير هذه الأمة بعد نبيها بالصِّدِّيق، وخُصَّ المُنعم عليهم بالنبيين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

٥- أن الصدق طريق الجنة الأكبر، فعَن عبد الله بنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ الصَّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ ليصْدُقُ حَتَّى يُكتبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا" متفقٌ عَلَيهِ[1].

قال الإمام النووي رحمه الله: " قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَاهُ أَنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ الْخَالِصِ مِنْ كُلِّ مَذْمُومٍ؛ وَالْبِرُّ: اسْمٌ جَامِعٌ لِلْخَيْرِ كُلِّهِ؛ وَقِيلَ: الْبِرُّ الْجَنَّةُ وَيَجُوزُ أَنْ يَتَنَاوَلَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ وَالْجَنَّةَ"[2].

أقسام الصدق:

إنّ للصدق أقسامًا أو مجالات عدة، فمنها على وجه الاختصار:

١- الصدق في الأقوال:

ويكون ذلك بالإخبار عن الشيء على ما هو عليه، ونقيضه الكذب، والكذب آفة الآفات، وهو مُحرَّم في كلِّ الأديان السماوية، والقوانين البشرية، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨].

---

١ أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).
٢ شرح صحيح مسلم للنووي.

ومما يدخل في الصدق بالأقوال: قولُ الحق وإن كان مُرّا، وقول الحق في مواطن الهلكة، وقول الحق ولو على نفسك، وقول الحق في نُصرة إخوانك، وفي نصرة الدعاة، وذب الأذى عنهم، وقول الحق في نُصرة القضايا العادلة.

٢- الصدق في الأعمال:

وذلك بأن يتفق باطنك مع ظاهرك، وسرك مع علانيتك، وحالك مع مقالك، وهذا يدخل في باب الإخلاص، وفي باب البراءة من النفاق أيضا.

قال الحسن البصري رحمه الله: "إنّ من النفاق اختلاف السر والعلانية، والقول والعمل، والمدخل والمخرج، وأصل النفاق الذي يُبنى عليه النفاق: الكذب"[١].

٣- الصدق في النية والعزيمة:

وذلك بأن يعقد النية على فعل أمور ليست متاحة له في حينه، أن يفعلها إذا أُتِيح له، كأن ينوي الجهاد في سبيل إذا فُتِح بابه، أو أن يكثر من النفقة إذا آتاه الله مالا، فإذا كانت نيته صادقة بلّغه الله تعالى ما تمنى وما نوى.

عن سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ».[٢]

وقد عابَ الله تعالى على من عاهده على كثرة الصدقة إن آتاه مالا وأن يكون من الصالحين، فآتاه الله ما طلب، فأخلف وبخل؛ قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٧٥ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ۝٧٦ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ

١ مساوئ الأخلاق للخرائطي (١/ ٦٢).
٢ أخرجه مسلم (١٩٠٩).

يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ۝٧٧ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [التوبة: ٧٥ – ٧٨] [١].

من ثمرات الصدق:

١- تماسك المجتمعات واستقرارها ومنعتها.

٢- محبة الصادق، ونيله احترام الناس وثقتهم وتقديرهم.

٣- الشعور براحة البال والطمأنينة والاستقرار النفسي، وهذا شيء مشاهد محسوس، فالصادق لا يخشى ولا يقلق من قول قاله، أو فعل فعله، لذلك فقد جاء في حديث الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما: "فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمأنينَةٌ، وَالْكَذِبَ رِيبةٌ" رواه التِرْمذي وَقالَ: حديثٌ صحيحٌ [٢].

٤- الصدق مفتاح من مفاتيح النجاح في الدارين، فالصادق في الدنيا يكون صادقا في مقاله ورأيه ومشورته، صادقا في عمله، مُتقنا له، أمينا فيما أؤتمن عليه، وصادقا في ولائه، وهذه المذكورات هي مقومات النجاح، والجامع بينها الصدق؛ وأما في الآخرة: فإن الصدق طريق الجنة الأكبر كما سبق بيانه.

٥- سعة الرزق وجلب البركة، وهذا مشاهد ومحسوس، عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا

---

١ أورد كثير من المفسرين أنّ هذه الآيات نزلت في ثعلبة بن حاطب البدري الأنصاري رضي الله عنه، وليس هذا بصحيح، وأوردوا خبرا واهيا في ذلك، ضعيف الإسناد جدا، وهو باطل.

٢ أخرجه الترمذي (٢٥١٨)، وأحمد (١٧٢٣)، والحاكم (٢/ ١٣) و (٤/ ٩٩)، وصححه ووافقه الذهبي.

بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا» متفق عليه.[1]

٦- الارتقاء إلى درجة الصِّدِّيقية لحديث عبد الله بنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه - المتقدم قريبا - عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ الصَّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ ليصْدُقُ حَتَّى يُكتبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا.."

من أقوال العلماء في الصدق:

قَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زَيْدٍ: الصِّدْقُ: الْوَفَاءُ لِلَّهِ بِالْعَمَلِ.

وَقِيلَ: اسْتِوَاءُ السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ الْخَوَاصُّ: الصَّادِقُ لَا تَرَاهُ إِلَّا فِي فَرْضٍ يُؤَدِّيهِ، أَوْ فَضْلٍ يَعْمَلُ فِيهِ.

وَقَالَ الْجُنَيْدُ: حَقِيقَةُ الصِّدْقِ: أَنْ تَصْدُقَ فِي مَوْطِنٍ لَا يُنْجِيكَ مِنْهُ إِلَّا الْكَذِبُ.

وقال أبو بكر بن فورك: "والصدق عماد الأمر وبه تمامه وفيه نظامه وهو تالي درجة النبوة قال الله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]".

---

١ أخرجه البخاري (٢٠٧٩)، ومسلم (١٥٣٢).

حفظ اللسان

حفظ اللسان من الأخلاق العظيمة التي حثنا عليها الإسلام، فاللسان على صغير حجمه، عظيم خطره، لا ينجو من شرِّه إلا من قيَّده بلجام الشرع؛ ولمّا كان الكلام تَرْجُمانًا يُعبِّرُ عن مُستودعات الضّمائر، ويُخبر بمكنونات السّرائر، ولا يُمكن استرجاعه بعد خروجه؛ كان لزامًا على العاقل أن يضبط لسانه، ويَحْترز من الزلل، فقد يورده موارد الهلكة والخلل.

معنى حفظ اللسان:

الحِفْظ نقيض النّسيان وهو التعاهُد وقِلَّة الغفلَة، وحَفِظ لسانَه أي؛ تحفّظ واحترس في الكلام [1].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "حفظ اللسان هو: الامتِناع عن النُّطق بما لا يسوغ شرعًا، ممّا لا حاجة للمُتكلّم به"[2].

مشروعية حفظ اللسان:

تكاثرت النصوص الشرعية، وأقوال الصالحين التي تحثّ العبد على حفظ لسانه، ومراقبة أقواله، ومنها:

من القرآن الكريم:

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨].

قال سيّد قطب رحمه الله: "وحسبنا أن نعيش في ظلّ هذه الحقيقة

---

١ انظر: مقاييس اللغة (٢/ ٨٧)، و لسان العرب (٧/ ٤٤١).

٢ فتح الباري لابن حجر، ج ١١، ج ٣٠٨

المصورة، وأن نستشعر ونحن نهمّ بأية حركة، وبأية كلمة، أنّ عن يميننا وعن شمالنا من يسجل علينا الكلمة والحركة؛ لتكون في سجل حسابنا بين يدي الله الذي لا يضيع عنده فتيلٌ ولا قطمير"[١].

من السنة النبوية:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النّبيّ ﷺ قال: «إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»[٢].

وقد أجمع العقلاء والحكماء والصالحون على وجوب حفاظ العبد على لسانه، ولزوم الصمت فيما لا ينبغي:

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: " والله الَّذي لا إله إلاَّ هو، ما شيءٌ أحوج إلى طول سجن من هذا اللّسان"[٣].

وقال مالك بن أنس " كلُّ شيء يُنْتَفَعُ بفضله إلا الكلام فإنّ فضله يضرّ"[٤].

قال ابن القيم – رحمه الله –: " بل لا يتكلَّم إلّا فيما يرجو فيه الرّبح والزّيادة في دينه، فإذا أراد أن يتكلَّم بالكلمة نظر: هل فيها رِبح وفائدة أم لا؟ فإن لم يكن فيها رِبح أمسك عنها، وإن كان فيها رِبح، نظر: هل تفوته بها كلمة أربحُ منها، فلا يُضَيّعُها بهذه، وإذا أردت أن تستدلّ على ما في

١ في ظلال القرآن (٦/ ٣٣٦٣).

٢ رواه البخاري (٦٤٧٧، ٦٤٨٧)، ومسلم (٢٩٨٨).

٣ إحياء علوم الدين ج ٣، ص ١٢٠

٤ روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص ٤٢

القلب، فاستدلّ عليه بحركة اللّسان، فإنّه يطلعك على ما في القلب، شاء صاحبه أم أبى"[١].

أهمية حفظ اللسان:

أولى الإسلام حفظ اللسان عنايةً خاصة، وتظهر أهمية حفظ اللسان من خلال ما يأتي:

١- أن النبيّ ﷺ كان يعلم أصحابه الاستعادة بالله من شرّ اللسان: فعن شَكَلِ بْنِ حُمَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ نَبِيَّ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ عَلِّمْنِي تَعْوِيذًا أَتَعَوَّذُ بِهِ، فَأَخَذَ بِيَدِي ثُمَّ قَالَ: " قُلْ: أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَشَرِّ بَصَرِي، وَشَرِّ لِسَانِي، وَشَرِّ نَفْسِي، وَشَرِّ مَنِيِّي[٢]" ثُمَّ قَالَ: «احْفَظْهَا»".[٣]

٢- أنّ الحيطة والحذر يقتضيان من المرء أن يتيقظ ويتنبه في حفظ لسانه، وألّا يُطلق للسانه العنان؛ فيقع فيما يُلجئه إلى الاعتذار.

٣- عدّ النبي ﷺ حفظ اللسان، وحمايته عن الخوض فيما لا ينبغي ولا يهمّ، توجيهًا واغتنامًا للطاقات، فيما يفيد وينفع: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»[٤]. قال الحافظ ابن رجب - رحمه الله -: "هذا الحديث أصل عظيم من أصول

---

١ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، ص ١٥٨.

٢ المنيّ: ماء الرجل.

٣ رواه أبو داود (١٥٥١)، والنسائي (٥٤٨٤،٥٤٥٥،٥٤٥٥)، وأحمد في مسنده (١٥٥٤١). وهو حديث صحيح.

٤ رواه الترمذي(٢٣١٧)، وابن ماجه (٣٩٧٦)، وأحمد في مسنده (٣٩٧٦). وهو حديث حسن بشواهده.

الأدب، عدّه أبو داود ربع العلم، وأصلٌ من أصول السنن، وحكى الإمام أبو عمرو بن الصّلاح: جِماعُ آداب الخير وأزمّته تتفرّع من أربعة أحاديث: وعدّ منها هذا الحديث. ومعنى الحديث: أَنَّ من حُسْن إسلامه تركه ما لا يعنيه من قول وفعل، واقتصرَ على ما يعنيه من الأقوال والأفعال؛ التي تتعلّق عنايته به، ويكون من مقصده ومطلوبِه، والعناية: شدة الاهتمام بالشّيء"[١]

٤- عدّ الإسلام حفظ اللسان دليلًا على صدق إسلام العبد: فعن عبد اللّه بن عمرو ﵁ قال: قال النبى ﷺ: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»[٢].

أقسام الكلام:

ذكرنا أنّ النصوص الشرعية حثت على صيانة المرء للسانه، وحفظ كلامه، والكلام ليس كلّه على نسقٍ واحد، وإنما يختلف الكلام بحسب ما يتضمنه، ويمكن تقسيم الكلام وحكم الشرع فيه بحسب ما يأتي:

١- قسم هو الضرر المحض:

كالكذب، وشهادة الزور، والغيبة والنميمة، وهذا حكم الكلام فيه أنه محرّم، ينبغى السكوت عنه. ففى حديث معاذ ﵁: قال له النبى ﷺ: "أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ " قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ: "كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا". فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: "ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ -

---

١ جامع العلوم والحكم (١/ ٢٨٨).

٢ رواه البخاري (١٠، ٦٤٨٤)، ومسلم (٦٣).

أَوْ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ- يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟ "[١].

قال ابن رجب - رحمه الله -: " وظاهر حديث معاذ يدلّ على أنّ أكثر ما يَدخُلُ به النَّاس النَّارَ النُّطقُ بألسنتهم، فإنّ معصية النّطق يَدخُلُ فيها الشّرك، وهى أعظم الذنوب عند الله ﷻ، ويَدخُلُ فيها القول على الله بغير علم، وهو قرين الشّرك، ويدخل فيها شهادة الزّور التى عَدَلَت الإشراك بالله ﷻ، ويدخلُ فيها السّحر والقذف، وغير ذلك من الكبائر والصّغائر؛ كالكذب والغيبة والنميمة، وسائر المعاصى الفعلية؛ لا يخلو غالبا من قولٍ يقترن بها يكونُ معينا عليها"[٢].

٢- قسمٌ هو النفع المحض:

كالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وتعليم الجاهل، وإرشادُ الضّالّ، وأداءُ الشَّهادة المُتعَيِّنة، وصدق الحديث. عن أبى هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: «مَنْ كانَ يُؤْمن بالله واليوم الآخر فليقُلْ خيرًا أو ليصمت»[٣]

٣- قسم ليس فيه ضررٌ ولا منفعة:

وهو فُضُول الحديث، ولغو الكلام، فالاشتغال به تضييعٌ للأوقات. قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴾ [المؤمنون: ٣]، وقال: ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴾ [الفرقان: ٧٢].

٤- وقسمٌ هو ضررٌ ومنفعة:

وهذا فيه خطر، إذ يمتزجُ بما فيه إثم من دقيق الرياء، والغيبة، وتزكية النفس، وفضول الكلام، امتزاجًا يخفى إدراكه.

---

١ رواه الترمذي ٢٦١٦، وابن ماجه ٣٩٧٣، وأحمد (٢٢٠١٦، ٢٢٠٦٣، ٢٢٠٦٨)

٢ جامع العلوم والحكم (٢/ ١٤٧).

٣ رواه البخاري (٦٠١٨، ٦١٣٦، ٦١٣٨، ٦٤٧٥)، ومسلم (٤٧).

قال النوويّ – رحمه الله –: "اعلم أنه لكلّ مكلّف أن يحفظَ لسانَه عن جميع الكلام، إلا كلامًا تظهرُ المصلحة فيه، ومتى استوى الكلامُ وتركُه في المصلحة، فالسنّة الإمساك عنه، لأنه قد ينجرّ الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، بل هذا كثير أو غالب في العادة، والسلامة لا يعدلُها شيء"[١].

أنواع الصمت:

عرفنا أنَّ مِن حفظ اللسان، أن يُمسك المرء لسانه عن كثرة الكلام، وخاصة مما لا فائدة فيه، وهنا تظهر لنا مسألة وهي: هل الصمت كلّه ممدوح؟ أم كلّه مذموم؟ وللإجابة عن ذلك فإنه يمكننا تقسيم أنواع الصمت إلى قسمين:

القسم الأول: الصمت المحمود:

وهو أن يصمت العبد عن كل ما حرم الله ونهى عنه؛ مثل الغيبة، والنميمة، والبذاءة وغيرها، وكذلك الصمت عن الكلام المباح الذي يؤدي به إلى الكلام الباطل، فالصمت في هذا أولى من الكلام، وهو ما أكثر العلماءُ والفضلاءُ بالوصية به:

قال ابن عبد البر: " وإنّما الصّمت المحمود الصّمت عن الباطل".[٢]

القسم الثاني: الصمت المذموم:

كالصمت في مواطن الأمر المعروف والنهي عن المنكر.

قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: " لا خير في الصّمت عن العلم، كما لا خير في الكلام عن الجهل"[٣].

---

١ الأذكار للنووي ص (٣٣٢).

٢ التمهيد لابن عبد البر (٢٢/ ٢٠).

٣ تفسير الرازي "مفاتيح الغيب" (٢/ ٤٠١).

ونسوق هنا كلامًا بديعًا لابن القيم، رحمه الله، يُبيّن فيه هذا التقسيم وأهميته:

قال رحمه الله: "وفي اللّسان آفتان عظيمتان، إنْ خَلَصَ العبد من إحداهما لم يَخلُص من الأُخرى: آفة الكلام، وآفة السّكوت، وقد يكون كلٌّ منهما أعظم إثما من الأُخرى في وقتها، فالسّاكت عن الحقّ شيطانٌ أخرس، عاص لله، مُراءٍ مُداهن إذا لم يَخَفْ على نفسه، والمتكلّم بالباطل شيطانٌ ناطق، عاصٍ لله، وأكثر الخلْق مُنحَرفٌ في كلامه وسكوته، فهُم بين هذين النّوعين، وأهلُ الوسط وهم أهْل الصّراط الْمستقيم كفّوا ألسنَتَهُم عن الباطل، وأطلَقوها فيما يعود عليهم نَفعُهُ في الآخرة، فلا تَرى أحدَهم يتكلّم بكلمة تذهب عليه ضائعة بلا منفعة، فضلا أن تَضُرَّهُ في آخرته، وإنّ العبد ليأْتي يوم القيامة بحسناتٍ أمثال الجبال، فيجدُ لسانَهُ قد هدمها عليهِ كُلّها، ويأْتي بسيئاتٍ أمثال الجبال فيجدُ لسانَه قد هدمَهَا من كثرة ذكرِ الله وما اتَّصل به»[1].

ثمرات حفظ اللســـان:

١- الفوز برضوان الله تعالى: لقوله ﷺ: «إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ، لاَ يُلْقِى لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللهُ بهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بهَا فِي جَهَنَّمَ»[2].

٢- حفظ اللسان يحفظ المجتمع والأفراد من البغضاء والقطيعة.

٣- حفظ اللسان يضفى على الداعية الهيبة والوقار، ويُكسبه محبة الناس واحترامهم.

٤- حفظ اللسان نجاةٌ للعبد في الفتن: فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «يَا عُقْبَةُ، امْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ

---

١ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء) ص (١٦١).

٢ أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (٦٤٧٨).

بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ»[١].

الوسائل المعينة على حفظ اللسان:

إذا أراد المرء النجاة في الدنيا والآخرة فلا بدّ له من حفظ لسانه، وعدم إطلاق العنان له، وهناك أمورٌ تعين الإنسان على حفظ لسانه منها:

١- الاستعاذة بالله من شرِّ اللسان.

٢- استشعار ثمرات حفظ اللسان في الدنيا والآخرة.

٣- استشعار مخاطر عدم حفظ اللسان، حيث إنها محبطة للحسنات، ومثقلة لميزان السيئات.

٤- اقتصار الكلام على ما يحقق الغاية أو الهدف: فالكلام الحَسَن ما كان وسطًا بين تقصير مخلّ، وتطويل مملّ.

٥- هجر الأسباب الباعثة على آفات اللسان: كالغضب، والكبر، والغرور، وغيرها.

٦- اختيار الوقت المناسب للكلام: فكما قيل: لكل مقامٍ مقال.

٧- إشغال اللسان بذكر الله: فلا يخرج منه إلا أطايب الكلام.

٨- حُسن اختيار الألفاظ التي يتكلم بها العبد: فكلام المرء دليلٌ على عقله وأدبه.

٩- مجاهدة النفس على ترك فحش الكلام أو بَذَاءةِ اللسان.

١٠- هجر مجالس الغيبة وفضول الكلام: والتواصي مع إخوانه بذلك.

١١- لزوم الصمت والإكثار منه.

١٢- تجنب المغالاة في المدح، والإسراف في الذم: فالمغالاة في المدح نوع من التملق والرياء، والإسراف في الذم نوع من التَّشَفِّي والانتقام.

---

١ رواه الترمذي (٢٤٠٦)، وأحمد (٢٢٢٣٥). حديث حسن

الغيبة والنميمة

ذكرنا في موضوع حفظ اللسان أنّ المسلم مأمورٌ بتنزيه لسانه عن الآفات؛ ومن أقبح آفات اللسان، وأكثرها انتشارًا بين الناس: الغيبة والنميمة؛ فهما من أخطر وأشنَع الذنوب والمعاصي، بل هما من الكبائر التي تكاثرت النصوص في النهي عنهما، والتحذير منهما.

وفي زماننا هذا، ومع انتشار وسائل التواصل الاجتماعي، التي أصبحت مرتعًا لمختلف آفات اللسان وفضول الكلام، غَدَتِ الحاجة ماسّةً للتحذير من هاتين الخصلتين الذميمتين بين الناس عامة، وبين صفوف الدعاة خاصة.

معنى الغيبة:

ذكر النبي ﷺ أنّ معنى الغيبة شرعا: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ».

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ» قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ»[1].

قال الإمام النووي في كتابه "الأذكار": "الغيبة: ذكرُك الإنسانَ بما فيه مما يَكره، سواء كان في بدنه، أو دِينِه، أو دُنياه، أو نفسه، أو خَلْقه، أو خُلُقه، أو ماله، أو ولده، أو والده، أو زوجه، أو خادمه، أو مملوكه، أو عِمامته، أو ثوبه، أو مِشيته، وحركته، وبَشَاشَته، وخَلاعته، وعُبُوسه، وطَلاقته، أو غير

[1] أخرجه مسلم (٢٥٨٩)، ومعنى بَهَتَّه: قلتَ فيه البهتان، وهو: الباطل.

ذلك مما يتعلق به، سواء ذكرته بلفظك أو كتابك، أو رمزتَ، أو أشرتَ إليه بعينك، أو يدك، أو رأسك أو نحو ذلك."[١].

أخي الحبيب: مما سبق يتبين لنا أنّ ضابط الغيبة هو: ذكر الشخص بما يكره؛ والغيبة بكل حال آفة من آفات اللسان، قد يعظُم خطرُها، ويشتدّ جُرمُها بحسب تأذِّي من تقعُ عليه، فَالْغِيبَةُ بالقذف كبيرة، ولا تُسَاويها الغيبة بقُبح الخِلقة أو الهيئة، وإن كانت الثانية غيبةً أيضا، تُوقع صاحبَها في الإثم والتعدّي.

والغيبة لا تختص باللسان فَحَسب، فقد تكون باللفظ، أو الكتابة، أو الإشارة.

معنى النميمة:

النميمة: هي نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد[٢].

ويقال للنَّمّام: القَتّات، ويقال له أيضا: غمّازٌ وهمّازٌ[٣].

قال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله: "النميمةُ إنما تُطلق – في الغالب – على مَن يَنُمُّ قولَ الغير إلى المَقُول فيه، كقوله: فُلانٌ يقولُ فيك كذا، وليست النميمةُ مخصوصةً بذلك، بل حدُّها كشف ما يُكره كشفُه، سواء كرهه المنقول عنه، أو المنقول إليه، أو ثالث؛ وسواء كان الكشفُ بالقول أو الكتابة أو الرمز أو الإيماء أو نحوها، وسواء كان المنقولُ من الأقوال أو

---

١ الأذكار للنووي (١/ ٢٨٨)، أحياء علوم الدين (٣/ ١٤٣٩)، وفتح الباري (١٠/ ٤٦٩).

٢ الأذكار للإمام النووي (٢٨٨).

٣ القاموس المحيط (١١٦٤)، المعجم الوسيط (٢/ ٩٥٦)، معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ٢٢٨٧)، لسان العرب، (١٢/ ٥٩٢).

الأعمال، وسواء كان عيبًا أو غيره.

فَحَقِيْقَةُ النميمة: إفشاءُ السِّرّ، وهتكُ السِّتر عمّا يُكره كشفُه، وينبغي للإنسان أن يسكتَ عن كلِّ ما رآهُ من أحوال الناس إلا ما في حكايته فائدةٌ لمسلم، أو دفعُ معصية"[١].

حكم الشرع في الغيبة والنميمة:

الغيبة والنميمة من كبائر الذنوب التي حرّمها الإسلام، لما فيهما من تقطيعٍ لأواصر المحبة، وإثارة العداوة بين الناس.

وقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة على تحريمهما:

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَاتَّقُوا اللَّهَۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١٢]. دلّت الآية الكريمة على حرمة الغيبة لما فيها من النهي عنها، ثم صور الله تعالى المغتاب بصورة تشمئز منها النفوس، وتنفر منها القلوب، فقد صوره بصورةِ من يُحب أن يأكل لحم أخيه ميتا، وهذا من أبلغ القياس التمثيلي وأحسنه، فقد شبه الله تعالى تمزيق عرض الأخ بتمزيق لحمه، وشبه تمزيق عِرضه حال غيبته، بمن غابت روحه عنه بالموت؛ وشبه المُغتاب الذي يعجز عن دفع ما يُقال فيه بسبب غيبته، بمنزلة الميت الذي يُقطع لحمه ولا يقدر أن يقاوم، وشبه المُغتاب المُستمتع بنهش عرض أخيه بآكل اللحم بعد تقطيعه، ولما كان المُغتاب مُحبّا ومُتَفَكِّها بذلك، شبهه بمن يُحب أكل لحم أخيه، والمحبةُ قدرٌ زائد على مجرد الأكل، وقدرٌ زائد على تقطيعه وتمزيقه.[٢]

---

١ إحياء علوم الدين (٣/ ١٥٦)، والأذكار للنووي (٢٩٨).

٢ وانظر التفسير القيم لابن القيم ص (٤٨٠).

وفي حرمة النميمة: قال الله تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١١]. ﴿هَمَّازٍ﴾: أي مغتاب. ﴿مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾: أي: يسعى بالنميمة بين الناس.

والأحاديث النبوية في تحريم الغيبة والنميمة كثيرة نذكر منها ما يلي:

عن ابن عبّاس رضي الله عنهما، قال: مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ: «أَمَا إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ»[١].

وتوعدّ النبي ﷺ من يقع في أعراض الناس بالغيبة، فعن أبي بَرْزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ"[٢].

أقسام الغيبة والنميمة:

للغيبة والنميمة أقسامٌ ثلاثة نفصلها كما يأتي:

أولًا: أقسام الغيبة:

١ - الغِيبة المُحرّمة: وهي ذكر المسلم أخاه في غيبته بما يكره، وهذا مُحرّم لما أوردناه من الأدلة.

٢- الغِيبة الواجبة:

وهي الغِيبة التي يحصل للفرد بها نجاة مما لا يحمد عقباه، أو مصيبة

١ رواه البخاري (٦٠٥٢). ومسلم (٢٩٢)، وجاء في بعض الروايات لفظ "الغيبة" بدلًا من "النميمة"، كما عند ابن ماجه (٣٤٩)، وأحمد (٢٠٤١١، ٢٠٣٧٣). وذكر العلماء في معنى قوله: "وما يعذبان في كبير": أي ليس بكبير في زعمهما، وقال آخرون: ليس بكبير تركه عليهما.

٢ رواه أبو داود (٤٨٨٠)، وأحمد (١٩٧٧٦، ١٩٠٨)، وهو صحيح بشواهده.

محتملة الوقوع به، كتحذيرِ شخصٍ لآخر من عدوٍّ ظاهر العداوة، أو تحذير من سارقٍ، أو قاتل، وهذا يدخل في باب النصيحة الواجبة.

٣- الغِيبة المباحة:

قال النووي - رحمه الله -: " اعلم أنَّ الغِيبة وإن كانت محرّمة فإنها تباح في أحوالٍ للمصلحة،والمُجوِّز لها غرض صحيح شرعيّ، لا يمكن الوصول إليه إلا بها، وهو أحد ستة أسباب:

الأول: التظلم: فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما، ممن له ولاية أو قدرة على إنصافه من ظالمه، فيقول: إنّ فلانا ظلمني، وفعل بي كذا، وأخذ لي كذا، ونحو ذلك.

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى الصواب: فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا، فازجره عنه، ونحو ذلك، ويكون مقصوده التوصل إلى إزالة المنكر، فإن لم يقصد ذلك كان حرامًا.

الثالث: الاستفتاء: فيقول: للمفتي: ظلمني أبي أو أخي، أو فلان بكذا، فهل له ذلك؟ وما طريقي في الخلاص منه وتحصيل حقّي ودفع الظلم عني؟ ونحو ذلك.

الرابع: تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم، وذلك من وجوه: منها جرح المجروحين من الرواة للحديث والشهود، وذلك جائز بإجماع المسلمين، بل واجب للحاجة.

ومنها إذا استشارك إنسان في مُصاهرته، أو مشاركته، أو إيداعه، أو الإيداع عنده، أو معاملته بغير ذلك، وجب عليك أن تذكر له ما تعلمه منه

على جهة النصيحة، فإن حصل الغرض بمجرّد قولك لا تصلحُ لك معاملتُه، أو مصاهرُته، أو لا تفعلْ هذا، أو نحو ذلك، لم تجز الزيادةُ بذكر المساوئ وإن لم يحصل الغرض إلا بالتصريح بعينه فاذكره بصريحه.

الخامس: أن يكون مجاهرًا بفسقه أو بدعته: كالمجاهر بشرب الخمر، ومصادرة أموال الناس، وتولي الأمور الباطلة، فيجوز ذكره بما يُجاهر به، ويحرم ذكره بغيره من العيوب، إلا أن يكون لجوازه سبب آخر مما ذكرناه.

السادس: التعريف: فإذا كان الإنسان معروفًا بلقب كالأعمش، والأعرج، والأصم، والأعمى، والأحول، وغيرها، جاز تعريفه بذلك بنيّة التعريف، ويحرمُ إطلاقُه على جهة التنقص، ولو أمكن التعريف بغيره كان أولى.

فهذه ستة أسباب ذكرها العلماء وأكثرها مجمع عليها، دلائلها من الأحاديث الصحيحة مشهورة"[١].

ثانيًا: أقسام النميمة:

تقسم النميمة إلى ثلاثة أقسام بنحو أقسام الغيبة محرمة وواجبة ومباحة، قال الإمام النوويّ - رحمه الله -: " وكلُّ هذا المذكور في النميمة إذا لم يكن فيها مصلحة شرعية فإن دعت حاجة إليها فلا مانع منها، وذلك كما إذا أخبره بأنّ إنسانا يريد الفتك به، أو بأهله، أو بماله، فكلّ هذا وما أشبهه ليس بحرام، وقد يكون بعضه واجبا، وبعضه مستحبّا على حسب المواطن"[٢].

---

١ الأذكار للنووي، ص (٥٤٨ - ٥٥٠) بتصرف يسير.

٢ شرح النووي على مسلم (٢/ ١١٣).

الأسباب الباعثة على الغيبة والنميمة:

من الأسباب الباعثة على الغيبة والنميمة ما يلي:

١- ضعف الإيمان، وقلة الورع عن الحرمات.

٢- الانتصار للنفس، وشفاء الغيظ المخزون في الصدر.

٣- الحقد والبغضاء للآخرين: فيذكر مساوئ من يبغض، أو يوقع بينهم.

٤- مُجاراة الأصحاب والأصدقاء والجلساء ومجاملتهم فيما هم عليه من الباطل؛ لكسب رضاهم.

٥- الحسد: قال ابن تيمية -رحمه الله-: "ومنهم من يحمله الحسد على الغيبة، فيجمع بين أمرين قبيحين: الغيبة والحسد"[١].

موقف المسلم من المغتاب والنمّام:

ينبغي لمن سمع غِيبةَ مسلم أو نميمة عنه أن لا يسكت على ذلك، لأنّ السكوت يجعله شريكًا في الإثم، وينبغي له أن يردّها و يزجر قائلها.

عن أبي الدرداء ﵁ قال: نَالَ رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَرَدَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ، كَانَ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ"[٢].

قال الإمام النووي - رحمه الله -: " وكل من حُملت إليه نميمة، وقيل له: فلان يقول فيك، أو يفعل فيك كذا فعليه ستة أمور:

---

١ مجموع الفتاوى، (٢٨/ ٢٣٧).

٢ أخرجه عبد بن حميد في "المنتخب من المسند" (٢٠٦)، وهذا لفظه، والترمذي (١٩٣١)، وأحمد (٢٧٥٣٦، ٢٧٥٤٣)، وهو حديث صحيح بشواهده.

الأول: أن لا يصدّقه، لأن النمّام فاسق، وهو مردود الخبر.

الثاني: أن ينهاه عن ذلك، وينصحه، ويقبّح فعله.

الثالث: أن يبغضه في الله تعالى؛ فإنه بَغيضٌ عند الله تعالى، والبغض في الله واجب.

الرابع: أن لا يظنّ بالمنقول عنه السوء.

الخامس: أن لا يحملك ما حُكِيَ لك على التجسس والبحث عن تحقيق ذلك.

السادس: أن لا يرضى لنفسه ما نهى النمّام عنه، فلا يحكي نميمته"[١].

آثار الغيبة والنميمة:

تعود الغيبة والنميمة على الأفراد والمجتمعات بآثارٍ سيئة منها:

١ . العذاب الشديد، والعقاب الأليم لفاعلهما.

٢ . التهاون بهما يوقع المرء بآفات اللسان الأخرى.

٣ . تقطيع روابط الألفة والمحبة، وزرع الحقد والضغائن والكراهية بين الناس.

٤ . كراهية الناس ونبذهم للمتصف بهما، قال أحد الحكماء: "إذا رأيتَ من يغتاب الناس فابذل جهدك ألا يعرفك ولا تعرفه".

---

١ الأذكار، للنووي، ص ٥٦١

حفظ البصر

إطلاق البصر في النظر إلى المحرمّات من أعظم أسباب الفتن؛ وهو سبب انتكاسة الشباب والفتيات، ذلكم أنّ النظر بريد الزنا ورسوله.

قال بعض السّلف: النَّظر سَهْمُ سُمٍّ إلى القلب؛ فلهذا أمر الله تعالى بحفظ الفروج كما أمر بغضّ الأبصار، الّتي هي بواعثٌ إلى ذلك؛ فإذا غضَّ العبد بصره غضَّ القلب شهوته وإرادته، وإذا أطلق العبد بصَره أطلق القلب شهوته وإرادته، ونُقِش فيه صور تلك المُبصَرات، فيشغله ذلك عن الفكر فيما ينفعه في الدار الآخرة.

يقول سيد قطب - رحمه الله -: "إن الإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف، لا تُهاج فيه الشهوات في كل لحظة، ولا تستثار فيه دفعات اللحم والدم في كل حين، فعمليات الاستثارة المستمرة تنتهي إلى سعار شهواني لا ينطفئ ولا يرتوي، والنظرة الخائنة، والحركة المثيرة، والزينة المتبرجة، والجسم العاري؛ كلها لا تصنع شيئًا إلا أن تهيج ذلك السعار الحيواني المجنون! وإلا أن يفلت زمام الأعصاب والإرادة، فإما الإفضاء الفوضوي الذي لا يتقيد بقيد، وإما الأمراض العصبية والعقد النفسية الناشئة من الكبح بعد الإثارة! وهي تكاد أن تكون عملية تعذيب "[١].

معنى غض البصر:

المقصود بغضّ البصر: أن يكفَّ الإنسان بصره ويصرفه عمَّا حرَّم الله النظر إليه مخافة الوقوع في المعصية.

---

١ في ظلال القرآن،ج ٣، ص ١٢٣١

حكم النظر إلى ما لا يحلّ:

لمّا كانت الشريعة حاسمةً لمادة الفساد بدفع وسائلها، وسادّةً الطريق على أيّة وسيلة تُفضي إلى الفتنة أو المفسدة؛ كان الأمر بغضِّ البصر وصرفه عمَّا حرَّم الله، لأنه الوسيلة التي تفضي إلى الحرام[1]، وأصل ذلك أن يُحفظ الفرج من الوقوع في الزنا، فَيَحْرُم النظر إذا خِيفَ منه الفساد، ويُباح للمصلحة، كالنظر للمخطوبة مثلًا، أو الشهادة، وهذا الحكم بالنسبة للمرأة تمامًا كما هو للرجل[2].

الأدلة الشرعية على وجوب غضّ البصر:

من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٣٠ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠ - ٣١].

قال ابن كثير: "هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حُرّم عليهم، فلا ينظروا إلاّ إلى ما أباح لهم النظر إليه، وأن يغضوا أبصارهم عن المحارم، فإن اتفق أن وقع البصر على محرم من غير قصد، فليصرف بصره عنه سريعًا، ولمّا كان النظر داعية إلى فساد القلب؛ أمر الله بحفظ الفروج كما أمر بحفظ الأبصار التي هي بواعث إلى ذلك، وحفظ الفرج تارة يكون بمنعه من الزنا، وتارة يكون بحفظه من النظر إليه"[3].

---

١ يُسمّى هذا عند العلماء بسدّ الذرائع،وهي الوسائل التي تُفضي إلى الحرام. انظر: الفروق للقرافي، ج٢، ص ٣٢

٢ انظر: إحكام النظر في أحكام النظر بحاسة البصر لابن القطان الفاسي، ص ٤٨

٣ تفسير ابن كثير (٦/ ٤١).

قال تعالى: ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر: ١٩].

وخائنة الأعين هي: اختلاس النظر إلى المحرّم من غير أن يفطن إليه أحد، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال في هذه الآية: ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ ﴾: هو الرجل يكون في القوم فتمر بهم المرأة فيريهم أنه يغض بصره عنها، فإن رأى منهم غفلة نظر إليها، فإن خاف أن يفطنوا إليه غضّ بصره، وقد اطلع الله عز وجل على قلبه أنه يود لو نظر إلى عورتها، يعلم خائنة الأعين فيه وعيدٌ لمن يخون بعينه بالنظر إلى ما لا يحل له[١].

من السنّة النبوية:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنّ الله كَتَبَ على ابن آدم حظّهُ من الزّنا، أدرك ذلك لا مَحَالةَ، فزنا العين النَظر، وزنا اللّسان المنطق، والنفس تَمَنّى وتَشتهي، والفرج يُصَدّق ذلك كُلَّه ويُكذّبه "[٢]. قال ابن حجر رحمه الله: " إطلاقُ الزّنا على اللّمس والنَّظر وغيرهما بطريق المجاز لأنّ كُلّ ذلك من مُقدّماتهِ. وزنا العين النَّظرُ أي إلى ما لا يَحلّ للنَّاظر" [٣].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: "كَانَ الفَضْلُ رَدِيفَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ، فَجَعَلَ الفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَصْرِفُ وَجْهَ الفَضْلِ إِلَى الشِّقِّ الآخَرِ".[٤] وهذا دليل على وجوب غض البصر من كلا الجنسين على بعضهما البعض، وأن غضّ البصر كان لدفع الفتنة عن الفضل وعن المرأة الخثعمية، وقد جاء في

١ انظر: تفسير القرطبي(١٥/ ٣٠٣).
٢ رواه البخاري (٦٢٤٣، ٦٦١٢)، ومسلم(٢٦٥٧).
٣ فتح الباري لابن حجر (١١/ ٥٠٤).
٤ رواه البخاري (١٥١٣،١٨٥٥)، ومسلم (١٣٣٤،١٢١٨).

رواية الترمذي أنّ الْعَبَّاسُ رضي الله عنه قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ لَوَيْتَ عُنُقَ ابْنِ عَمِّكَ؟ قَالَ: "رَأَيْتُ شَابًّا وَشَابَّةً فَلَمْ آمَنِ الشَّيْطَانَ عَلَيْهِمَا.[١]

ولقد كان النبي ﷺ يحرص على توجيه أصحابه كي يصون الواحد منهم بصره، وأن يصرفه حتى عن نظرة الفجأة؛ التي تقع بغير قصدٍ، ولا يتبعها صاحبها بنظرة أخرى، وهذه لا إثم فيها، بخلاف إذا نظر المرء النظرة الثانية تعمُّدًا فإنه يأثم. فعن عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي».[٢]

أخي الكريم، أختي الكريمة: إن هذه الوصايا النبوية لهي دعوة للإخوة الدعاة والأخوات الداعيات، أن يحفظ كلّ واحد منهم بصره، فلا يطلقه في مشاهدة الأفلام والمسلسلات، أو البرامج والصور الفاتنة التي فيها تبرجٌ وسفور، سواء أكان ذلك عن طريق القنوات الفضائية أو المواقع الإلكترونية أو في الأسواق وغيرها، فإنّ السلامة كلّ السلامة في غض البصر وحفظه عن النظر الحرام.

أسباب إطلاق البصر:

هناك أسباب تجعل المرء يطلق العنان لبصره، ولا يراعي غضّه عن الحرمات والمحارم وهي كما يلي:

١- ضعف مراقبة الله في قلب الناظر، وعدم استحضار خشيته، والحياء منه.

٢- جهل المرء بعواقب النظر الحرام.

---

١ رواه أحمد (٥٦٢، ١٣٤٨)، سنن الترمذي (٨٨٥). وقال الترمذي: حسن صحيح.
٢ رواه مسلم (٢١٥٩).

٣- الاختلاط والتبرج والسفور.

٤- وسائل الإعلام الفاسدة بكافة أشكالها؛ المقروء والمسموع والمرئي.

٥- الصحبة السيئة التي تزين للمرء النظر إلى المحرمات.

٦-الفضول وحبّ الاستطلاع: وهذا أكثره في فئة الشباب، حين يسمعون أو ينظرون إلى من حولهم من أصدقائهم وهم يتحدثون عن قصصهم ومغامراتهم العاطفية وخاصة أولئك الذين ينشأون في وسطٍ وبيئة غير ملتزمة بضوابط الشرع.

٧- انصراف المرء عن الانشغال بمعالي الأمور.

آثارغضّ البصر:

في غضّ البصر فوائد عدة تعود على الفرد والمجتمع نذكر منها ما يأتي[١].

١- أنّ فيه امتثالًا لأمر الله ﷻ الذي هو غاية سعادة المرء في الدنيا والآخرة.

٢- يورث القلب الأنس بالله تعالى، والقرب منه، واستشعار حلاوة الإيمان فيه.

٣- حفظ القلب، وتقويته بمنع السهام المسمومة من الوصول إليه.

٤- يكسو القلب نورًا، كما أنّ إطلاقه يُلْبسُهُ ظلمة.

٥- يفتح للعبد طرق العلم وأبوابه، ويسهل عليه أسبابه، بسبب نور

---

١ انظر هذه الفوائد وغيرها في كتاب: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء) لابن القيّم الجوزية، ص ١٨٠

القلب، فإنه متى استنار القلب ظهرت فيه حقائق الأمور وانكشفت.

٦- غضّ البصر يقوي العقل، ويزيده ويثبته؛ لأن إطلاق البصر وإرساله لا يكون إلا من خفة العقل وطيشه، وعدم إدراكه للعواقب.

٧- يورث العبد فرحًا وانشراحًا، أعظم من لذة النظر، وذلك لقهره شهوته، ومخالفة نفسه وهواه.

٨- حفظ الأعراض والأنساب.

□

صلاة الجماعة

الصلاة هي الصلة الكبرى بين الخالق والمخلوق، وهي اللقاء الأعظم بين العبد وربه، والصلاة أعظم أركان الإسلام، فمن أقامها فقد أقام الدين، ومن هدمها فقد هدم الدين. وعلماء المسلمين وأئمتهم متّفقون على أنّ إقامة الصّلوات الخمس في المساجد هي من أعظم العبادات، وأجلّ القُرُبات، وأنها من شعائر الإسلام التي أوجبها الله سبحانه لما فيها من الفوائد العظيمة. وصلاة الجماعة في مقصدها وطريقة أدائها شكل من أشكال العمل الجماعي المنظم الذي تقوم عليه المنظمات الإدارية الحديثة، والمسلمون يؤدونها بتنظيم راق وتناغم أخّاذ، ويبلغ الإعجاب أشده وأنت ترى مئات الآلاف من البشر مع اختلاف لغاتهم وأعمارهم ومهنهم ينخرطون في هدوء ووقار لأداء الصلاة جماعة؛ فالواجب على كل مسلم العناية بأمر صلاة الجماعة والمبادرة إليها امتثالًا لأمر الله ورسوله وابتعادًا عن مشابهة أهل النفاق.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية: "من اعتقد أَنّ الصّلاةَ في بيته أَفْضلُ من صلاة الجماعة في مساجد المسلمين فهو ضالّ مُبتدع باتّفَاق المسلمين"[1].

لذا كان من الواجب عليك أخي الداعية أن تحرص على أداء الصلاة جماعة في المسجد، وأن لا تتهاون في ذلك إلا لعذرٍ خارجٍ عن إرادتك.

تعريف صلاة الجماعة:

صلاة الجماعة: هي الصلاة التي يجتمع فيها المصلون مكانًا وزمانًا؛ وتنعقد باثنين فأكثر، وسُميت صلاة جماعة: لاجتماع الناس في الفعل ذاته.

---

١ الفتاوى الكبرى لابن تيمية ج ٢، ص٢٧

حكم صلاة الجماعة:

اتفق العلماء على أهمية صلاة الجماعة، وتعددت أقوالهم في حكمها على أقوال ثلاثة[١]:

الأول: أنها سنة مؤكدة: وهذا هو المعروف عن أصحاب أبي حنيفة، وأكثر أصحاب مالك، والشافعية، وهو القول الراجح في المسألة.

الثاني: أنها فرض كفاية: وهو قول جمهور الشافعية، وقول بعض أصحاب مالك، وقول في مذهب أحمد.

الثالث: فرض عين وشرط في صحة الصلاة: وهو قول طائفة من قدماء أصحاب أحمد، وطائفة من السلف، واختاره ابن حزم، ويُذكر عن شيخ الإسلام ابن تيمية في أحد قوليه، وعن تلميذه ابن القيم، وقول بعض أصحاب مالك، وقول في مذهب أحمد.

حكمة مشروعيتها:

شُرعت صلاة الجماعة لما فيها من فوائد كثيرة، ومصالح عظيمة، ومنافع متعددة، ومن هذه الفوائد والحكم التي شرعت من أجلها ما يأتي:

١ - شرع الله ﷻ لهذه الأمة الاجتماع في أوقات معلومة، ومناسبات متعددة، منها ما هو في اليوم والليلة كالصلوات الخمس، ومنها ما هو في الأسبوع كصلاة الجمعة، ومنها ما هو في السنة كصلاة العيدين، وكالوقوف بعرفة؛ كلّ ذلك لأجل تعميق حالة الاجتماع على الخير، والتواصل بين الخلق والدعوة إلى الله ﷻ بالقول والعمل.

---

١ انظر: المغني لابن قدامة (٢/ ١٣٠)، والمجموع للنووي (٤/ ١٨٢).

٢ - التعبد لله تعالى بهذا الاجتماع: طلبًا للثواب، وخوفًا من عقاب الله، ورغبة فيما عنده.

٣- إظهار شعيرة من أعظم شعائر الإسلام: لأن الناس لو صلَّوا كلهم في بيوتهم ما عرف أن هنالك صلاة.

٤- تعليم المسلمين النظام في أعمالهم: لأنّه إذا اعتاد على متابعة الإمام متابعة دقيقة، لا يكبِّر قبله، ولا يتقدم ولا يتأخر كثيرًا، ولا يوافقه؛ بل يتابعه، تَعوّد على النظام في كلّ شؤون حياته.

٥- تعويد المسلم على طاعة الأمير في الحرب والسلم: فإنّهم لا يتحركون إلاّ بحركة إمامهم.

٦- فيها دليل على أهمية أن يكون المسلمون كالبنيان المرصوص، يشدّ بعضهم أزر بعض.

٧- المساواة بين المسلمين وتحطيم الفوارق الاجتماعية بينهم.

٨- نشر الودّ، والمحبّة بين الناس: وذلك من خلال تفقد أحوال بعضهم لبعض، فيقومون بعيادة المرضى، وتشييع الموتى، وإغاثة الملهوفين، وإعانة المحتاجين.

أدلة مشروعيتها والترغيب في أدائها:

ذكرنا أنّ صلاة الجماعة سنّة مؤكدة على الرجال المكلفين القادرين، حضرًا وسفرًا، للصلوات الخمس، ولقد جاءت الأدلة الصريحة الكثيرة من الكتاب والسنة الصحيحة، المُرغّبة في هذه الشعيرة، نذكر منها ما يلي:

الأدلة من القرآن الكريم:

أمر الله تعالى حال الخوف بالصلاة جماعة:

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٠٢].

فمع شدة الخوف في المعركة لم يتركوا صلاة الجماعة، وما ذلك إلا لأهميتها وتأكد مشروعيتها.

أمر الله ﷻ بالصلاة مع المصلين: قال تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [سورة البقرة: ٤٣].

الأدلة من السنة النبوية:

ورد في السنة النبوية أحاديث كثيرة تحض على صلاة الجماعة وتُرغّب فيها، نذكر منها ما يلي:

١- أمر النبي ﷺ بالصلاة مع الجماعة: فعَنْ مَالِكِ بْنِ الحُوَيْرِثِ، أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِي، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رَحِيمًا رَفِيقًا، فَلَمَّا رَأَى شَوْقَنَا إِلَى أَهَالِينَا، قَالَ: «ارْجِعُوا فَكُونُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُمْ، وَصَلُّوا، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ»[1].

٢- عدّ النبي ﷺ أجر صلاة الجماعة أعظم من أجر صلاة الفرد: فعن عبد الله بن عمر: أنّ رسول اللّه ﷺ قال: «صَلاةُ الجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلاَةَ الفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً»[2].

---

١ رواه البخاري (٦٢٨،٦٠٠٨)، ومسلم (٦٧٤).

٢ رواه البخاري (٦٤٦،٦٤٥)، ومسلم (٦٤٩، ٦٥٠).

٣- همّ النبي ﷺبتحريق البيوت على المتخلفين عن صلاة الجماعة: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ فقد ناسًا في بعض الصلوات فقال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحَطَبٍ، فَيُحْطَبَ، ثُمَّ آمُرَ بِالصَّلاَةِ، فَيُؤَذَّنَ لَهَا، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيَؤُمَّ النَّاسَ، ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ»[1].

فضل صلاة الجماعة:

الخُطى لأداء الصلاة جماعة من أعظم القربات، وأجلّ الطاعات، وقد ثبت في ذلك فضائل عظيمة وكثيرة، نذكر منها ما يأتي:

١- المشي إلى صلاة الجماعة تُرفع به الدرجات، وتُحط به الخطايا، وتُكتب به الحسنات: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مَنْ بُيُوتِ اللهِ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللهِ، كَانَتْ خَطْوَتَاهُ إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً، وَالْأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً»[2].

قال القرطبيّ: "وهذا الحديث يفهم منه أن فضل الجماعة لم يكن لأجل الجماعة فقط، بل لما يلازمها من الأحوال كقصد الجماعة، ونقل الخُطا، وانتظار الصلاة، وصلاة الملائكة عليه، وغير ذلك"[3].

المُحب لصلاة الجماعة في المسجد في ظل الله يوم القيامة:

ففي حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلاّ ظله؛ ذكر ﷺ منهم: "ورجل قلبه معلق في المساجد".

---

١ رواه البخاري (٦٤٤، ٦٥٧،٢٤٢٠،٧٢٢٤)، ومسلم (٦٥١).

٢ رواه مسلم (٦٦٦).

٣ المُفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢/ ٢٨٩).

٢- فَرَحُ الله تعالى بمشي العبد إلى المسجد:

عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: "لَا يَتَوَضَّأُ أَحَدٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ وَيُسْبِغُهُ، ثُمَّ يَأْتِي الْمَسْجِدَ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ فِيهِ، إِلَّا تَبَشْبَشَ اللهُ بِهِ كَمَا يَتَبَشْبَشُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِطَلْعَتِهِ".[1]

آداب صلاة الجماعة:

١- أخذ الزينة والتجمل والتطيب: قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]

٢- الابتعاد عن الروائح الكريهة: فعن جابر بن عبد الله ﵁أن رسول الله ﷺقال «مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا فَلْيَعْتَزِلْنَا، أَوْ لِيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا، وَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ». وفي لفظ لمسلم: "فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ"[2].

ويدخل في الحديث أصحاب بعض المهن التي لها روائح كريهة.

٣- إتيان المسجد بسكينة ووقار: فعن أبي هريرة ﵁ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا تَأْتُوهَا تَسْعَوْنَ، وَأْتُوهَا تَمْشُونَ وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا»[3].

---

١ أخرجه أحمد (٨٠٦٥، ٨٣٥٠، ٨٤٨٧، ٩٨٤١)، وابن ماجه (٨٠٠)، وابن خزيمة (٣٥٩، ١٤٩١، ١٥٠٣)، وابن حبان (١٦٠٧، ٢٢٧٨)، والحاكم في المستدرك (٧٧١)، وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي، ومعنى يتبشبش: من البَشّ، قال ابن الأثير في "النهاية" (١/ ١٣٠): فرح الصديق بالصديق، واللطف في المسألة والإقبال عليه، وقد بَشِشْتُ به أَبَشُّ. وهذا مثل ضربه لتلقِّيه إياه ببرِّه وتقريبه وإكرامه.

٢ رواه البخاري (٨٥٤، ٨٥٥، ٥٤٥٢، ٧٣٥٩)، ومسلم (٥٦٣، ٥٦٤)

٣ رواه البخاري (٩٠٨)، ومسلم (٦٠٢، ٦٠٣).

٤- صلاة تحية المسجد: عن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُم المَسْجِدَ فَلا يَجْلِسْ حَتَّى يُصْلِيَ رَكْعَتَيْن ".[١]

الأعذار المبيحة لترك صلاة الجماعة:

هناك أمور يباح للمسلم فيها أن يترك صلاة الجماعة في المسجد منها ما يأتي:

١- الخوف أو المرض.

٢- المطر الشديد، أو الريح الشديدة، أو الدحض (الوحل):

قال: ابن عبّاس لمؤذّنه في يوم مطير: إذا قلْتَ أشهد أنّ محمّدا رسول الله، فلا تقُلْ حيّ على الصّلاة، قُلْ: "صلُّوا في بُيُوتكم"، فكأنّ النّاس استنكروا، قال: فعله من هو خير منّي، إنّ الجمعة عزْمَةٌ وإنّي كرهْتُ أنْ أُحْرجَكُم فتَمشُون في الطّين والدّحض" [٢]

وفيه أنّ كُلًّا مِنْ الثّلاثة عُذْرٌ في التّأخُّر عنْ الجماعة. ونقلَ ابن بطَّال فيه الْإجماع"[٣].

٣- حضور الطعام والنفس تتوق إليه:

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال ﷺ: " «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ عَلَى الطَّعَامِ، فَلاَ يَعْجَلْ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ مِنْهُ، وَإِنْ أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ»[٤].

٣- حال مدافعة الأخبثين (البول والغائط):

---

١ رواه البخاري (١١٦٣)، ومسلم (٧١٤).

٢ رواه البخاري (٩٠١)، مسلم (٦٩٧).

٣ نيل الأوطار (٣/ ١٨٦).

٤ رواه البخاري (٦٧٣، ٦٧٤).

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ، وَلَا هُوَ يُدَافِعُهُ الْأَخْبَثَانِ»[١].

٤- أن يكون للمرء قريب يخاف موته ولا يحضره:

فعن ابن عمر رضي الله عنه: "أنه ذُكِرَ له أنّ سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل - وكان بدريًّا- مرض في يوم جمعة، فركب إليه بعد أن تعالى النهار، واقتربت الجمعة وترك الجمعة"[٢].

١ رواه مسلم (٥٦٠).

٢ رواه البخاري (٣٩٩٠)، وانظر: المغني لابن قدامة (١/ ٤٥٢).

صلة الرحم

في ظل المتغيرات الحياتية، والاجتماعية، وما نتج عن وسائل الاتصال الحديثة من تغييرٍ على الكيان الأسريّ، وضعف التواصل العائليّ، وقلة الاجتماع، وكثرة القطيعة، ومع ضعف الوازع الديني، يوشك هذا الكيان على التصدع مما يؤثر في التماسك الاجتماعي في المجتمعات المسلمة، ولا شكّ بأن السبب الرئيس في ذلك؛ أنّ صلة الرحم قد أخلّ بها كثير من الناس، وبدأت بتركها تتقطع أواصر الأسر، وتتسع دائرة القطيعة، وتنحلُّ بها قوى المجتمع حتى توارثها بعض الأبناء عن الآباء، ونحن نضع بين يديك أخي الداعية هذا الموضوع رجاءالتنبيه على أهمية هذه الوصية الربانية، والخطر المترتب على قطعها.

معنى صلة الرحم:

صلة الرحم: تعنى الإحسان إلى الأقربين، وإيصال ما أمكن من الخير إليهم، ودفع ما أمكن من الشر عنهم.

قال النّوويّ - رحمه الله -: " صلة الرّحم: هي الإحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل والموصول، فتارة تكون بالمال وتارة بالخدمة، وتارة بالزّيارة والسّلام وغير ذلك "[1].

درجات صلة الرحم:

صلة الرحم درجات، أدناها ترك الهجر، والصلة ولو بالسلام؛ وهذا

---

١ مسلم بشرح النووي ج٢، ص ٢٠١

بحكم القدرة على الصلة وحاجتها إليها، فمنها ما يتعين ويلزم، ومنها ما يستحب ويُرغَّب فيه، وليس من لم يبلغ أقصى الصلة يسمى قاطعًا، ولا من قصر عما ينبغي له ويقدر عليه يسمى واصلًا[1].

ومثال ذلك: أنّ من كان له أخ وعمّ، وأخوه غنيّ وعمّه فقيرٌ مُعدم، فصلة الأخ هنا يكفي فيها السلام والسؤال عنه، وأمَّا العمّ فالصلة بحقّه تكون بإعطائه من ماله إن كان مالكًا للمال، وهكذا.

من هم الأرحام؟:

الأرحام هم القرابة، ويطلق على كل من يجمع بينك وبينه نسب؛ وهم الأقارب من النسب من جهة الأم والأب وأقربهم للمرء: الآباء، والأمهات، والأجداد، والأولاد، وأولادهم، وما تناسلوا، ثم الأقرب فالأقرب من الإخوة وأولادهم، والأعمام، والعمات وأولادهم، والأخوال والخالات وأولادهم، وكلّ هؤلاء هم الذين عناهم قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ [الأنفال: ٧٥].

وأقارب الزوجة ليسوا أرحامًا لزوجها إذا لم يكونوا من قرابته، ولكنهم أرحام لأولاده منها.

وقد اختلف العلماء في حدّ الرحم التي تجبُ صلتها؛ فقيل: هي الرحم التي يحرم النكاح بينهما، بحيث لو كان أحدهما ذكرًا حرّم على الآخر، فعلى هذا لا يدخل أولاد الأعمام ولا أولاد الأخوال، واحتج هذا القائل بتحريم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها في النكاح لما يؤدي إليه من

---

١ انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (٨/ ٢٠).

التقاطع؛ وقيل: من كان متصلًا بميراث، وقيل: هو من كان بينه وبين الآخر قرابة، سواء كان يرثه أو لا.

والراجح: أنّه عامٌّ في كلّ رحمٍ من ذوي الأرحامِ في الميراث يستوي في ذلك المحْرَمُ وغيرُهُ.[1]

حُكْم صلة الرحم:

جاءت النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية، بوجوب صلة الرحم، وتوعَّدت قاطعها بالعذاب، واعتبرته آثمًا، مرتكبا لكبيرة من الكبائر، بلا خلاف بين العلماء؛ وقد نقل الاتفاق على وجوبها وتحريم قطيعتها غير واحدٍ من أهل العلم، منهم: القرطبي والقاضي عياض وغيرهما[2].

أدلة وجوب صلة الرحم:

جاءت النصوص الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية، وأقوال أهل العلم تدلّ على وجوب صلة الرحم، وتعيب قاطع الرحم وتتوعده، ومن هذه الأدلة ما يأتي:

الأدلة من القرآن الكريم:

عظّم الله سبحانه شأن الأرحام، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

---

١ انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ٢٠)، وشرح النووي على مسلم (١٦/ ١١٣)، وفتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤١٤)، وسُبُل السلام (٤/ ٣٢٢).

٢ انظر: إكمال المعلم (٨/ ٢٠)، وشرح النووي مسلم (٢/ ٢٠١)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢٤٧).

قال الطبريّ -رحمه الله -: "معناه: اتقوا الله في الأرحام فصلوها، واتقوا الأرحام أن تقطعوها "[١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

وفي هذه الآية الكريمة يأمر الله ﷻ بإعطاء ذي القربى ما يحتاجونه من المال والإحسان والبر، وكل ما فيه من أوجه العناية، وخصّ الأقرباء بالذكر لمزيد الاهتمام بهم وصلتهم.

ومن الأحاديث النبوية فنذكر منها ما يأتي:

عن أَنسٍ ﵁ أَنّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[٢].

وعن عائشة عن النبي ﷺ قال: " الرّحم شِجْنَةٌ، فمن وصلَها وصلتُهُ، ومن قطعها قطعتُهُ"[٣]. وشجنة: هي عروق الشجر المشتبكة. والمعنى أن الرحم أثر من آثار رحمته تعالى، مشتبكة بها، فمن قطعها كان منقطعا من رحمة الله ﷻ، ومن وصلها وصلته رحمة الله تعالى.

أهمية صلة الرحم:

يمكننا بيان أهمية صلة الرحم من خلال الآتي:

١- أن صلة الرحم تُظهر حقيقة امتثال العبد لأمر الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

---

١ تفسير الطبري (٧/ ٥٢٣).

٢ رواه البخاري (٢٠٦٧، ٥٩٨٥، ٥٩٨٦)، ومسلم (٢٥٥٧).

٣ رواه البخاري (٥٩٨٨، ٥٩٨٩)، ومسلم (٢٥٥٥).

٢- صلة الرحم من المبادئ الإسلامية الأولى، والأصول الكبرى التي جاء بها هذا الدين، يشهد لذلك حديث أبي سفيان ﵁ الطويل مع هرقل، إذ سأل أبا سفيان: فبمَ يأمركم؟ فأجابه: يقول: " اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالعَفَافِ وَالصِّلَةِ." [١].

٣- صلة الرحم تقويّ أواصر العلاقات الاجتماعيّة بين أفراد الأسرة الواحدة، والأسر المرتبطة بالمصاهرة والنّسب حتّى يعمّ ذلك المجتمع كلّه؛ عن أبي هريرة ﵁قال: قال رسول الله: ﷺ "تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ، فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي أَهْلِهِ، مَثْرَاةٌ فِي مَالِهِ، مَنْسَأَةٌ فِي أَثَرِهِ" [٢].

٤- صلة الرحم دليل على صدق إيمان العبد بالله واليوم الآخر: فعن أبي هريرة ﵁قال: قال ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[٣].

الوسائل المعينة على صلة الرحم:

هناك أمور ووسائل تعين العبد على صلة رحمه، نذكرها لك أخي الحبيب للاستعانة بها على صلة رحمك، ومن هذه الوسائل ما يأتي:

١- استشعار الأجر والمثوبة التي أعدّها الله لواصلي الرحم.

٢- مقابلة إساءتهم بالعفو والمغفرة: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا

---

١ رواه البخاري (٧، ٥٩٨٠)، ومسلم (١٧٧٣).
٢ رواه أحمد (٨٨٦٨)، والترمذي (١٩٧٩). حديث حسن لغيره.
٣ رواه البخاري (٦١٣٨).

رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»[١].

٣- بذل المستطاع في خدمتهم، ورعاية شؤونه.

٤- الابتعاد عن المنّة عليهم، أو مطالبتهم بمعاملة المثل. فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ الوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا»[٢].

أسباب عدم صلة الرحم:

هناك مجموعة من الأسباب التي تحول بين المرء وبين صلة أرحامه، ومن هذه الأسباب ما يأتي:

١- ضعف الوازع الديني، فلا يطمع بأجر صلة الرحم، ولا يدرك خطر قطيعتها.

٢- الحسد: فقد يكون في العائلة غنيًا أو وجيهًا وله مكانته؛ فيحسده بعض أفراد العائلة على ما آتاه الله من فضله، فيؤدي هذا إلى عدم الصلة.

٣- الكِبر: كأن يكون في العائلة غنيًا آتاه الله مالًا أو منصبًا أو جاهًا، فيستنكف عن صلة رحمه.

٤- الانشغال بالدنيا، مما يجعل الإنسان لا يجد وقتًا للصلة.

---

١ رواه مسلم (٢٥٥٨). ومعنى "تسفهم الملّ": المَلُّ والمَلَّةُ: الرَّمادُ الحارُّ الَّذِي يُحْمَى لِيُدْفَنَ فِيهِ الخُبْزُ لِيَنْضَجَ، أَرَادَ: إِنَّمَا تَجْعَلُ المَلَّةَ لَهُمْ سُفُوفًا يَسْتَفُّونه، يَعْنِي: أَنَّ عَطاءَك إِيَّاهُمْ حرامٌ عَلَيْهِمْ، ونارٌ فِي بُطُونِهم. "النهاية في غريب الحديث" لابن الأثير (٤/ ٣٦١).

٢ رواه البخاري (٥٥٩١).

آثار وفوائد صلة الرحم :

لصلة الرحم آثار وفوائد تعود على الفرد والمجتمع نذكر منها ما يأتي:

١- أنها سبب لدخول الجنة: ففي حديث الرجل الذي سأل رسول الله ﷺ عن عمل يدخله الجنة ويباعده من النار فقال له ﷺ: "وتصل الرحم"[١].

٢- صلة الرحم سبب لبركة العمر وبسط الرزق: فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[٢].

٣- حصول صِلة الله للواصل رحمه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " إِنَّ اللهَ خَلَقَ الخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَتِ الرَّحِمُ: هَذَا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَهُوَ لَكِ"[٣].

وصلةُ الله لعبده تكون بلطفه سبحانه بهذا العبد، ورحمته، وإحسانه إليه، وبشرح صدره لطاعته[٤].

٤- تعجيل الثواب والأجر لواصل رحمه في الدنيا: فعن أَبى بَكْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَعْجَلَ الطَّاعَةِ ثَوَابًا صِلَةُ الرَّحِمِ، حَتَّى إِنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ

---

١ سبق تخريجه

٢ سبق تخريجه

٣ رواه البخاري (٤٨٣٠، ٥٩٨٧، ٧٥٠٢)، ومسلم (٢٥٥٤).

٤ انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/ ٢٠٥)، وشرح مسلم للنووي (١٦/ ١١٣)، وفتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤١٨).

لِيَكُونُوا فَجَرَةً، فَتَنْمُو أَمْوَالُهُمْ، وَيَكْثُرُ عَدَدُهُمْ إِذَا تَوَاصَلُوا، وَمَا مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ يَتَوَاصَلُونَ فَيَحْتَاجُونَ»[١].

٥- صلة الرحم من أسباب قبول العمل: لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إِنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ تُعْرَضُ كُلَّ خَمِيسٍ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، فلَا يُقْبَلُ عَمَلُ قَاطِعِ رَحِمٍ "[٢].

١ رواه ابن حبان (٤٤٠). حديث حسن.

٢ رواه أحمد (١٠٢٧٢). حديث حسن لغيره.

تعظيم حُرُمات الله

تعظيم الله جلّ ثناؤه مطلبٌ شرعيٌ عظيم، فهو مجمع الإيمان، وأساس العبودية، وصُلب كلّ عمل صالح، وركيزة كل فضيلة، وجماع أعمال القلوب كلّها من حب وخوف ورجاء واستعانة وتوكل وإنابة وخشوع، وهو قِوام صلاح العبد وفلاحه. وبتعظيم الله سبحانه تقوم الأرض والسماوات، وبتمجيده وتسبيحه تنطق المخلوقات: قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ﴾ [الإسراء: ٤٤].

معنى حرمات الله:

حرمات الله: هي كلّ ما لا يحل انتهاكه مما حرمه الله تعالى، أو التهاون في تعظيمه من أحكام الشريعة، وكلّ ما جاء في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ وما تعبدنا الله تبارك وتعالى به فهو من حرماته، ويدخل في ذلك الشعائر الظاهرة والباطنة، ويدخل في ذلك الشعائر العملية والشعائر الاعتقادية، ويدخل في ذلك الأركان والواجبات والمستحبات، فكلّ ما شرعه تبارك وتعالى فهو من حرماته وشعائره، والمسلم مأمورٌ بأن يعظمها وأن لا يحلها؛ وذلك بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، وهكذا يكون التعظيم على هذا المعنى. وعلى هذا يكون المراد من تعظيمها هو العلم بوجوب مراعاتها، والعمل بمقتضى هذا العلم(١).

---

(١) لمزيد من الفائدة انظر: تفسير الطبري ج ٨، ص ٢٢، وتفسير ابن جزي التسهيل لعلوم التنزيل ج ٢، ص ٣٩، وتفسير ابن كثير ج ٥، ص٤١٩.

تعظيم حرمات الله و تعظيم شعائره:

حثّ الله عباده على تعظيم أمرين في كتابه ومدح القائم بهما، وهما: حرماته وشعائره، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

وتعظيم الحرمات والشعائر مطلبٌ شرعيٌ عظيمٌ. والملاحظ أنّ القرآن الكريم استخدم تعظيم الشعائر في التعبير عن تعظيم مناسك الحجّ، وأما تعظيم الحرمات فهي أعمّ من ذلك، فمضمون الآية «ومن يعظم شعائر الله» أخصُّ من مضمون الآية «ومن يعظم حرمات الله»، وذَكَرَ الأخصّ بعد الأعم للاهتمام[1].

أهمية تعظيم حرمات الله وعدم التعدي عليها:

لقد جاءت النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية تبيّن أهمية تعظيم العبد لحرمات الله وشعائره، ومن هذه النصوص:

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾ [الحج: ٣٠].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ بِمِنىً: «أتدرون أيّ يوم هذا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: «فإنّ هذا يوم حرام، أفتدرون أيّ بلد هذا؟»، قالوا الله ورسوله أعلم، قال: «بلدٌ حرامٌ»، أفتدرون أيّ شهر هذا؟»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «شهرٌ حرامٌ، قال: فإنّ الله حرَّم

---

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، ج ١٧، ص ٢٥٦.

عليكم دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم كحرمة يومكم هذا، في شهرِكم هذا، في بلدكم هذا»[١].

هذا ويمكننا بيان أهمية تعظيم حرمات الله تعالى من خلال ما يأتي:

تعظيم حرمات الله وشعائره دليلٌ على تقوى القلوب: قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾ [الحج: ٣٢].

الاستهانة بحرمات الله وشعائره من علامات سخط الله على عبده: قال تعالى: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤﴾ [النساء: ١٤].

تحذير الله ﷻ من تعدي حدوده، وعدم تعظيمها: قال تعالى: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩﴾ [البقرة: ٢٢٩].

المتعدي على حرمات الله وحدوده ظالمٌ لنفسه، مُعرِّضٌ إياها لعذاب الله: قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ﴾ [الطلاق: ١].

تعظيم حرمات الله يعود على المسلم بالخير في الدنيا والآخرة: قال تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ﴾ [الحج: ٣٠].

الأسس والأركان التي يقوم عليها تعظيم حُرُمات الله تعالى:

لقد كثر في عصرنا الحاضر التجاوز على حرمات الله تعالى من الكفار والمنافقين، ومن بعض المنتسبين إلى الإسلام، لذا كان لزامًا علينا فهم

---

(١) رواه البخاري (٦٧، ١٠٥، ١٧٣٩، ١٧٤١، ١٧٤٢، ٤٤٠٢) ومسلم ١٦٧٩، والترمذي ٣٠٨٧، وابن ماجه ٣٠٥٥، وأحمد ٢٠٣٦.

المرتكزات والأسس التي يجب علينا الانطلاق منها في تعظيم هذه الحرمات. ويمكننا حصرها فيما يأتي:

١- أنّ تعظيم الله ﷻ الذي له الخَلْق والأمر، والمعبود بحقٍّ ولا معبود سواه، والمُطاع وحده لا شريك له، يقتضي ذلك أنّ تعظيم أحكامه وشرعه أمرًا ونهيًا؛ هو تعظيم وعبودية له سبحانه.

٢- عدم معارضة أمره ونهيه سبحانه، سواء أكان ذلك بما يناقضهما من أهواء وأحكام وموازين البشر، أو بالعدول عن منهجهما الوسطيّ إلى ترخُّص جافٍ، أو تشدُّد غالٍ، أو كان ذلك بتأويلٍ فاسد يخرج الأمر والنهي والأحكام عن مُرادها التي أرادها الله وأرادها رسوله ﷺ.

الأمور التي تساعد العبد على تعظيم حرمات الله تعالى:

هناك عدة أمور تساعد العبد إذا قام بها على تعظيم حرمات الله تعالى، نذكر منها:

١- العبودية الكاملة لله تعالى: فكلما تقرّب العبد إلى ربه بأداء العبادات، وأصناف القرُبات عظُمت في قلبه حرمات الله وأوامره. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكلّما ازداد العبد تحقيقًا للعبودية؛ ازداد كماله وعلت درجته»[1].

٢- التمسك بالقرآن الكريم قراءة وتدبرًا، واستشعار ما فيه من حِكم وأحكام؛ وبخاصة تدبر الآيات التي تتحدث عن عظمة خلق الله وبديع صنعه، والآيات التي تتحدث عن عقوبته وشديد بطشه، وآيات وعده ووعيده.

---

(١) العبودية، لابن تيمية، ص ٧٥.

٣- التفكر في عظيم خلق السماوات والأرض وما فيهنّ من بديع صنعها.

٤- التأمل في أحوال أممٍ سابقة لم تعظم حرمات الله تعالى.

٥- الدعاء: فهو أنفع الأدوية وأقوى الأسباب التي تعظم حرمات الله في النفس.

أسباب التعدي على حرمات الله وعدم تعظيمها:

تعظيم حرمات الله تعالى يحول بين العبد وبين الذنوب والمعاصي، والمتجرئون على عصيان الله تعالى لم يصلوا إلى تعظيم حرماته في قلوبهم، وهناك أسباب تجعل هؤلاء يعتدون على حرمات الله، ولا يعظموها في أنفسهم حقّ التعظيم، نذكر منها ما يأتي:

١-كثرة الذنوب والمعاصي: قال ابن القيم - رحمه الله -: «وكفى بالعاصي عقوبةً أن يضمحل من قلبه تعظيم الله ﷻ وتعظيم حرماته، ويهون عليه حقه، ومن بعض عقوبة هذا أن يرفع الله ﷻ مهابته من قلوب الخلق ويهون عليهم ويستخفُّون به كما هان عليه أمره واستخف به»[(١)].

٢- التقصير في تدبر القرآن حال قراءته، وعدم الوقوف عند وعده ووعيده.

٣- الغفلة عن ذكر الله.

٤- إطلاق النظر فيما حرّم الله تعالى: فالنظر الحرام يولد في القلب القسوة والجفاء، وهذا يتنافى مع التعظيم.

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، ص ٦٩.

صورٌ لتعظيم حرمات الله تعالى:

ذكرنا أن تعظيم حرمات الله تعالى وشعائره تقتضى إجلالها بالقلب، وإحلالها المكان الرفيع في النفس، ويستلزم من ذلك التعظيم تحققها في صورٍ متعددة منها ما يأتي:

١- تعظيم صفاته سبحانه كما يليق به من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

٢- تعظيم كلامه ﷻ، تلاوة وتدبرًا وعملًا، وتعظيم ما جاء فيه من أوامر وزواجر.

٣- تعظيم النبي ﷺ وتوقيره، وتعظيم سنته القولية والفعلية والتقريرية الثابتة، وحديثه: قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٨ - ٩].

٤- اجتناب ما حرّمه الله تعالى تعظيمًا لحدوده.

٥- تعظيم النصّ الشرعيّ (القرآن والسنة).

٦- تعظيم الأمكنة التي عظّمها الشرع كتعظيم المقدسات الإسلامية مثل: جبل عرفات، والحرم المكي والمدني وبيت المقدس.

٧- تعظيم الأزمنة التي عظّمها الشرع مثل: شهر رمضان، والثلث الأخير من الليل، والعشر من ذي الحجة، والأشهر الحُرُم.

٨- تعظيم المسلم لإخوانه المسلمين، وتنزيلهم منزلتهم، وصيانة حرماتهم، فلا يحقرهم ولا يخذلهم.

صور منافيةٌ لتعظيم حرمات الله:

كما أن هناك صورًا يتحقق بها تعظيم حرمات الله تعالى؛ فإنّ هناك صورًا

مقابلة قديمة ومعاصرة تُظهر انتهاكًا لحرمات الله تعالى، نذكر منها:

١- إبعاد الشريعة الإسلامية وأحكامها عن التطبيق في مجالات الحياة المختلفة.

٢- الطعن في ثوابت الأمة ومسلّماتها؛ كالطعن في السنة النبوية، والطعن في صحابة النبي ﷺ، وبث الشبهات حول الدين وأهله.

٣- فتح باب التأويل الفاسد لنصوص الكتاب والسُّنّة، والأحكام الشرعية، دون قواعد أو ضوابط.

٤- الحملات المتلاحقة على مظاهر التدين كالحجاب والعفاف واللحية وغيرها من المظاهر الإسلامية.

٥- وجود وسائل إعلام مختلفة، ومنابر ثقافية، ومؤسسات علمية مشبوهة تسعى لترويج أفكارٍ تصادم عقيدة الأمة ودينها (كالترويج للإلحاد والإباحية وغيرها).

٦- الترخص والمداهنات والتنازلات التي يقدمها علماء السوء لسلاطينهم.

أخي الداعية: تذكر دائمًا أنك مطالبٌ بالغضب لله إذا انتهكت محارمه وحرماته، وأن ذلك الغضب دليل صدق إيمانك بالله تعالى؛ قدوتك في ذلك نبينا ﷺ الذي لم يكن يغضب أو ينتقم لنفسه قطّ، وإنما كان يغضب لانتهاك محارم الله تعالى، غضبًا لا يُخرجه عن حدّ التوازن في التفكير، أوالتعدي بالقول، أو العمل.

ثمرات تعظيم الحُرُمات:

لتعظيم حُرُمات الله تعالى آثار تعود على الفرد والمجتمع، نذكر منها ما يأتي:

١. صيانة المجتمع عن مظاهر المفاسد والشرور.

٢. تعظيم حرمات الله يُبعد المرء عن المعاصي والآثام

٣. أنها سبب لنيل الدرجات العلى في الدنيا والآخرة.

أخي الحبيب: في ختام هذا الموضوع المهم نوصيك بتعظيم حرمات الله في نفسك وشؤون حياتك، وأن تتمثل صور هذا التعظيم في حياتك الدعوية والسياسية والعملية، فتجعل نصوص الشرع أمامك، فلا تقدم بين يديها تأويلًا متعسفًا، أو تحريفًا متكلفًا، أو تُفسّرها مجاراة لأهواء الناس، أو مداهنة لأهل العلمنة والتغريب وأعداء الدعوة والدين. وإن فقه هذه المسألة وإنزالها حقّ منزلتها، والتزامها في مناهج التربية والحركة والإصلاح؛ يثمر انضباطًا كبيرًا في خطط الدعوة والحركة والإصلاح. وسلوك الصراط المستقيم.

الخوف من الله تعالى

الخوف من الله تعالى من المقامات العليّة التي ينبغي للعبد أن يصل إليها في طريق سيره إليه ﷻ. وهو من لوازم الإيمان به سبحانه، ويدلّ على صفاء قلب العبد وطهارة نفسه. وقد أمر الله تعالى عباده بأن يخافوه ولا يخافوا أحدًا سواه؛ كي يصلوا إلى الأمن يوم القيامة، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ١٧٥﴾ [آل عمران: ١٧٥].

والخوف من الله سبحانه سبب للسّعادة في الدّار الدنيا والآخرة، وهو خير مُعين للانتصارعلى شهوات النّفس وملذّاتها، وفي هذه الصفحات الموجزة نتعرف على الخوف من الله تعالى، حقيقته وفضله وآثاره. رزقنا الله وإياكم الخوف منه سبحانه في السر والعلن.

معنى الخوف من الله تعالى وحقيقته:

أخي الداعية: العبد المطيع لربه يخاف من مولاه ﷻ أن يصيبه بمكروه عاجل، أو آجل، فيصيبه في الدنيا بما يشاء سبحانه من مصيبة، أو مرض، أو قتل، أو نحو ذلك بقدرته ومشيئته. ويتبع هذا الخوف الخوف مما توعد الله به العصاة في الآخرة، من النكال والعذاب، قال تعالى: ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ١٤﴾ [إبراهيم: ١٤]، وهذا الخوف من أعلى مراتب الإيمان؛ وإنما يكون محمودًا إذا لم يوقع صاحبه في القنوط أو اليأس من روح الله ﷻ ورحمته.

أخي الحبيب: إنّ كلمة الخوف يقاربها في المعنى مصطلحاتٌ أخرى نذكرها لك للفائدة؛ منها: الوجل والرّهبة والهيبة والخشية. فالوجل:

حالة خفقان القلب عند رؤية المخُوف أو تذكّره، والرّهبة ضدّ الرّغبة؛ وهي إمعان في الهرب من المكروه، والهيبة: خوفٌ يصاحبه التّعظيم مع المحبّة للمخُوف والمعرفة بجلاله. والخشية هي خوف يشوبه تعظيم مقرون بإجلال وهي أخصّ من الخوف، وأكثرما يكون ذلك عن علم بما خشى منه، ولذلك كان العلماء أشدّ النّاس خشية من الله تعالى بخلاف غيرهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨](١).

منزلة الخوف وأهميته:

الخوف من الله تعالى من أجلّ صفات أهل الإيمان، وخشيته ﷻ في السرّ والعلن من أعظم آيات الافتقار والفاقة إليه سبحانه، فمن عرف الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وأدرك عظمته وجبروته وسلطانه الذي لا يقهر، وقدَّره حق قدره؛ خاف منه حقّ الخوف. ويمكننا بيان أهمية الخوف من الله تعالى بما يأتي:

١- جعل الله تعالى الخوف منه شرطًا للإيمان به سبحانه، وأمر العباد بالخوف منه: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥] فالآية تفيد أنّ إيمان العبد يقتضي إيثار خوف خالقه على خوف غيره(٢).

---

(١) لمزيد من الفائدة انظر: المفردات للراغب الأصفهاني ص ٢٨٣، والصحاح للجوهري ج٦، ص ٢٣٢٧، ومعجم مقاييس اللغة ج٢، ص١٨٤، ولسان العرب ج ١٤، ص ٢٢٨، تهذيب مدارج السالكين ج١، ص ٤٣١، وبصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ج٢، ٥٤٤-٥٤٦.

(٢) تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ج ٢، ص ٥٠٢.

٢- أنّ الله ﷻ امتدح خوف النبي ﷺ من الله تعالى، وأن هذا الخوف قد صانه عن المحرمات والمحظورات؛ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٥ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ۝١٦﴾ [الأنعام: ١٥ - ١٦].

٣- الخوف من الله تعالى صفةُ عباده المؤمنين، وتشبّهٌ بالملائكة المقرّبين، والأنبياء المُرسلين: قال تعالى واصفًا الملائكة الكرام: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٥٠﴾ [النحل: ٥٠]، وامتدح رسله الأطهار بقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ۝٤٨ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٨ - ٤٩].

٤- أن الله تعالى امتدح الذين يخشونه من عباده: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ۝٦١﴾ [المؤمنون: ٥٧ - ٦١].

جاء في بيان هذه الآية أن عائشة رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: «لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم يخافون أن لا تقبل منهم ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ۝٦١﴾ [المؤمنون: ٦١][(١)].

٥- أنّ الخوف من الله تعالى يُبعد العبد عن الوقوع في الشّهوات واللّذات المُحرّمة: قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝٢٨﴾ [المعارج: ٢٧ - ٢٨].

---

(١) رواه الترمذي ٣١٧٥، وابن ماجه ٤١٩٨، وأحمد ٢٥٢٦٣.

أخي الحبيب: نوصيك بالخوف من الله سبحانه، فإنّ هذه العبادة القلبية تدفعك إلى الحرص على الطاعات، والجدية في أمور دعوتك، وحياتك، ولذلك فإنّ كلّ واحد إذا خفته هربت منه، إلا الله تعالى، فإنك إذا خفته هربت إليه؛ فالخائف هارب من ربه إلى ربه، والنبي ﷺ جعل الخوف من الله سبيل الوصول إلى الجنة فقال: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة»[1] و(الإدلاج: هو السير آخر الليل).

الوسائل التي تُعين العبد على الخوف من الله تعالى:

العبد الموفّق يسعى لتحصيل الخوف من الله تعالى، ويتلمّس الوسائل والطرق الموصلة لذلك، ومن هذه الوسائل نذكر منها ما يأتي:

١- استشعار جلال الله تعالى وعظمته وتعظيم حرماته وشعائره: قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩].

٢- قراءة القرآن وتدبره: فإنه ليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته؛ من تدبر القرآن، وإطالة التأمل في معانيه، وإذا تدبر المسلم كلام الله تعالى شهد قلبه أحوالًا من صفات الله وعقوباته وانتقامه، و كيف خافه الأنبياء والملائكة والصالحون، قال أحد العُبّاد: «والله لو أن مؤمنًا عاقلًا قرأ سورة الحديد وآخر سورة الحشر وآية الكرسي وسورة الإخلاص بتفكر وتدبر لتصدّع قلبه من خشية الله ومن عظمته سبحانه».

(١) رواه الترمذي ٢٤٥٠.

٣- إدراك فضل الخوف والخائفين من الله تعالى وفضل منزلتهم: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال: ٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم»[١].

٤- استشعار العبد لعظم ذنبه والخوف من مباغتة العقوبة، وعدم الإمهال والتمكن من التوبة: عن ابن مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال: «إنّ المؤمن يرى ذنوبه كأنَّه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإنّ الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفِهِ فقال به هكذا» - أشاح بيده -[٢].

٥- استحضار ذكر الموت وشدته، وما بعده من أهواله: قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨] فإن ذلك يرقّق القلب، ويُدْمِع العين ويُذّكِر بالآخرة.

٦- مجالسة الصالحين والعلماء المتّقين وسماع المواعظ والدروس والمحاضرات المؤثرة المرققة للقلب. قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ۝٢٨﴾ [الكهف: ٢٨].

(١) رواه الترمذي١٦٣٣، والنسائي ٣١٠٨، وأحمد ١٠٥٦٠.

(٢) رواه البخاري ٦٣٠٨ والترمذي ٢٤٩٧، وأحمد ٣٦٢٧.

ثمرات الخوف من الله وآثاره:

للخوف من الله تعالى ثمرات وآثار تعود على صاحبها في الدنيا والآخرة، نذكر منها ما يأتي:

١- الخوف من الله تعالى يبعث على العمل الصالح والإخلاص فيه: قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۝ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ۝﴾ [النور: ٣٦ - ٣٧].

٢- الخوف من الله سبب للتمكين في الأرض: قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ۝﴾ [إبراهيم: ١٣ - ١٤][1].

٣- الخائف من الله في ظل عرشه يوم القيامة: فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله»: وذكر منهم: «ورجلٌ طلبتهُ امرأة ذات منصبٍ وجمال، فقال: إنّي أخاف الله»[2].

٤- الخوف من الله طريقُ العبد إلى الجنة: قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝﴾ [الرحمن: ٤٦].

٥- دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام.

٦- يحمل المسلم على التّحلي بالأخلاق الحسنة وتجنّب الأخلاق السيئة.

---

(١) انظر هذا المعنى: تفسير التحرير والتنوير، ج ١٣، ص ٢٠٩.

(٢) رواه البخاري ٦٦٠، ١٤٢٣، ومسلم ١٠٣١، والترمذي ٢٣٩١، ومسند أحمد ٩٦٦٥.

٧- يورث في نفس المسلم الشّفقة على خلق الله.

أخي الداعية: ها أنت قد عرفت منزلة الخوف من الله تعالى وأهميته في تهذيب نفسك وترويضها على فعل الفضائل والإقلاع عن الرذائل. والمؤمّل منك بعد هذا أن تدرك أن الإسلام عالج ناحية الخوف من الناس في نفس الإنسان ليخلّصه من الجبن والضعف والخور، ويجعل منه شخصية قوية، لا تضعُف أمام الناس، ولا تنثني إزاء الصعاب. رزقنا الله واياك الخوف منه سبحانه في السر والعلن.

الرجاء

ذكرنا أن الخوف من الله يحمل المؤمن على الكفّ عن محارم الله وحدوده والحذر من الوقوع في أسباب سخطه وغضبه، وبيّنا أن الخوف هو السبيل والطريق الذي يمنع المؤمن من الشهوات خشية الوقوع في العقوبة. وفي هذه الصفحات نقف مع عبادة قلبيةٍ أخرى ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالخوف من الله تعالى، وهي عبادة الرجاء في ما عند الله سبحانه. وكما أن المؤمن صاحب القلب الحيّ يصيبه الخوف والخشية حينما يقرأ نصوص الوعيد والعذاب للكفرة والعصاة، فإنه يطير شوقًا وفرحًا لمصير المتقين والصالحين في جنات النعيم فيرجو الله أن يبلغ منزلتهم. وهكذا فالقلبُ في سَيره إلى الله عزّ وجلّ يكون الخوف والرجاء فيه كجناحي الطائر، إذا فقد أحدهما لم يستطع التحليق.

معنى الرجاء:

للرجاء تعريفات عدة عند العلماء تدور بمجموعها حول معانٍ محددة يمكن جمعها في التعريف الآتي: هو: النظر إلى سعة رحمة الله، واستشعار فضله وإحسانه، والثقة بجوده وكرمه، وتأمّل خيره سبحانه وقرب وقوعه. وهو بخلاف التمنّي؛ فإنّهما نقيضان؛ ذلك أن التمني يكون مع الكسل والغرور، وأمّا الرجاء فيكون مع بذل الجهد، وحُسْن التوكل، فدليلُ صحة الرجاء حُسْن الطاعة. ومن الناحية اللّغويّة فإنّ أداة الرّجاء: «لعلّ»، وأداة التّمنّي: «ليت». كما أنّ الرّجاء يفيد إمكان الوقوع بخلاف التّمنّي الّذي يفيد تعذّر الوقوع أو استحالته[1].

---

(١) انظر تهذيب مدارج السالكين، ج١، ص ٤٧٦.

أنواع الرجاء:

لمّا كان الرجاء عبادة قلبية، تتعلق بعمل العبد قربًا أو بعدًا من الله تعالى، كان هذا الرجاء على أنواعٍ ثلاثة هي:

١- عبدٌ عاملٌ بطاعة الله على بصيرةٍ ونورٍ من الله، يرجو ما عنده من ثواب.

٢- عبدٌ أذنب ذنوبًا ثمّ تاب منها؛ فهو يرجو مغفرة ربه ومولاه، وينشُدُ عفوه وإحسانه.

وهذان النوعان محمودان؛ لقوة أسباب الرجاء معهما، فالمحسن يطمع في ثواب إحسانه وطاعاته، والمذنب التائب يأمل في ربه مغفرته وعفوه، فرجاؤه مقترنٌ بذلة الذنب.

٣- عبدٌ مسرفٌ على نفسه بالذنوب والخطايا، يرجو رحمة الله بلا عمل أو طاعة، فهذا هو الغرور والتمني على الله بالأماني، فهو رجاء كاذب، لا ينفع صاحبه.

قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله-: «المقصود من الرّجاء أنّ من وقع منه تقصير فليحسن ظنّه بالله ويرجو أن يمحو عنه ذنبه، وكذا من وقع منه طاعة يرجو قبولها، وأمّا من انهمك على المعصية راجيا عدم المؤاخذة بغير ندم ولا إقلاع فهذا في غرور. فمن علامة السّعادة أن تطيع، وتخاف أن لا تقبل، ومن علامة الشّقاء أن تعصي، وترجو أن تنجو»[١].

فضل الرجاء وأهميّته:

جاءت نصوص كثيرة من القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ تحثّ على

(١) فتح الباري لابن حجر ج١١، ص٣٠١.

الرجاء فيما عند الله وترغب فيه، ومن هذه النصوص نذكر ما يأتي:

من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء: ٥٧].

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

من الأحاديث النبوية:

عن جابر رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول قبل موته بثلاث: «لا يموتنَّ أحدُكم إلا وهو يُحسِن الظنَّ بربه»[١].

والحديث فيه دلالة على أن يحسن العبد ظنه بربه، ويكون ذلك بأن يظن العبد أنّ الله سيرحمه ويغفر له ويعفو عنه[٢].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة»[٣].

---

(١) رواه مسلم ٢٨٧٧، وابو داود ٣١١٣، وابن ماجه ٤١٦٧، وأحمد ١٤١٢٥.

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم ج١٧، ص ٢١٠.

(٣) رواه الترمذي ٣٥٤٠.

ومن خلال هذه النصوص وغيرها الكثير يمكننا بيان أهمية عبادة الرجاء، والتي تظهر بما يأتي:

١- بالرجاء يظهر كمال عبوديّة المرء، والافتقار والانكسار والحاجة فيما يرجوه من ربّه.

٢- الرجاء يبرد حرارة الخوف التي قد تصل بصاحبها إلى اليأس والقنوط.

٣- الرجاء متعلقٌ بعباداتٍ أخرى تعلق العبد بخالقه، كالمحبة والشكر والرضا به وعنه سبحانه.

٤- بالرجاء يزداد العبد معرفة بالله تعالى وأسمائه وصفاته، والتعلق بها، والتعبد بها.

٥- الرّجاء مستلزم للخوف، والخوف مستلزم للرّجاء، فكلّ راج خائف، وكلّ خائف راج، ولأجل هذا حسن وقوع الرّجاء في موضع يحسن فيه وقوع الخوف.

٦- الرجاء يدفع العبد إلى العمل والبذل، وترك الكسل والدعة.

٧- الرجاء لازمٌ لكل عبد، مرافقٌ له في كلّ شؤونه، فإنه دائر بين ذنب يرجو غفرانه، وعيب يرجو إصلاحه، وعمل صالح يرجو قبوله، واستقامة يرجو حصولها ودوامها، وقرب من الله، ومنزلة عنده يرجو الوصول إليها، ولا ينفك أحد عن هذه الأمور أو بعضها.

الموازنة بين الخوف والرجاء:

خلق الله الخلق للعبادة، وهذه العبادة إِنَّما تبنى على ثلاثة أصول هي:

الخوف والرجاء والمحبة. وكلّ منهما فرض لازم، والجمع بينها حتم واجب، فلهذا كان السَّلف يذمون من تعبد بواحد منها وأهمل الآخرين؛ والفرق المنحرفة قد وقعت كلٌّ منها بشيء من ذلك.

والعبد المؤمن ينبغي أن يكون في سيره إلى الله بين مقام الخوف ومقام الرجاء، حتى يكون متوازنا في عبادته، فلا يُغَلِّب جانبًا على جانب، فإن دعته نفسه للمعصية تذكر الخوف وإن دعته نفسه لترك العمل ذكّرها بالرجاء. وهذا السير بين الخوف والرجاء هو سبيل الأنبياء، والصالحين من عباده، وهو منهج أهل السنة الذين يعبدون الله بالمحبة والخوف والرجاء، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠].

والمؤمن ينبغي له أن يُغلّب جانب الخوف وقت الصحة والغنى وإقبال الشهوات والدنيا عليه، ويُغلّب جانب الرجاء وقت المرض والخروج من الدنيا، فهو طبيب قلبه، يُلاحظ ما يطرأ عليه في حياته فيُغلّب الجانب الأصلح لحاله، فإن رأى أن نفسه تميل نحو الشهوات المحرمة؛ غلّب جانب الخوف فكفها وزجرها، وإنّ رأى أنّه مستغرق في الطاعة وأصابه الفتورأو الملل منها، غلّب جانب الرجاء؛ فحثها على ذلك. وضابط ذلك في قلب المؤمن هو أن تكون جوارحه قائمة على فعل الفرائض، والكفّ عن فعل المحرمات، والخلل في ترك أحدهما[1].

وسائل تعزيز الرجاء في النفس:

هناك وسائل يمكنها تعزيز الرجاء في قلب المؤمن، نذكر منها ما يأتي:

---

(١) انظر: شرح النووي على مسلم ج١٧، ص٧٣، مجموع رسائل ابن رجب ج٣، ص ٢٩٢، التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار ص ٢٤.

١- دوام تذكر العبد بما وعد الله تعالى عباده من جزيل الثواب، وعظيم الكرم لمن استقام على أمره: قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ١٢٢﴾ [النساء: ١٢٢].

٢- استشعار سَعة رحمة الله تعالى، وأنها تسبق غضبه سبحانه، قال تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢﴾ [الأنعام: ١٢].

٣- تلاوة وتدبر القرآن الكريم، حيث تكثر فيه صور فضل الله على عباده، وإحسانه إليهم.

ثمرات الرجاء وآثاره:

للرجاء آثار وثمرات تعود على الفرد، نذكر منها ما يأتي:

١- إظهار العبودية من قِبل العبد والحاجة والافتقار إلى الربّ سبحانه.

٢- أن الله يحب مِن عباده أن يسألوه ويرجوه، لأنّه أجود من سُئل، وأكرم من أعطى؛ فالرجاء يخلّص العبد من غضب الله.

٣- الرجاء من أسباب زيادة محبة الله ﷻ في قلب العبد، فكلّما اشتد رجاؤه وحصل له ما يرجوه، ازداد حبًّا لربه.

٤- الرجاء يبعث العبد على الاجتهاد في العبادة، ويذيقه حلاوة اللذّة بها.

المراقبة

من الأعمال القلبية الجليلة التي تنشأ عن اتصاف المؤمن بكمال الإيمان، مراقبة الله في السرّ والعلن، فكلما زاد إيمان العبد زادت مراقبته لله، وهذه العبادة القلبية ينفرد به خاصة أهل الإيمان الذين قدروا الله حقّ قدره، وعظموه حقّ التعظيم وشاهدوا بقلوبهم قدرة الله عليهم وإحاطته بهم، ورؤيته لهم، وعلمه بحالهم، وشدة عذابه ووعيده في الآخرة، فاستحضروا معية الله لهم في كل الأحوال. قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ④﴾ [الحديد: ٤].

معنى المراقبة وحقيقتها:

قال ابن القيّم: المراقبة دوام علم العبد وتيقّنه باطّلاع الحقّ سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه[(١)].

من خلال التعريف السابق نلحظ حقيقة المراقبة في معناها الاصطلاحي، بأن يتيقن العبد أنّ الله ينظر إليه، وأنه لا يخفى عليه شيء من أحواله، فهي: التعبد لله ﷻ باسمه الرقيب، وما يتعلق بهذا الاسم من أسمائه الأخرى سبحانه كالحفيظ والعليم والخبير والشهيد[(٢)].

أهمية المراقبة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ①﴾ [النساء: ١]. أي حفيظًا، مُحصيًا

---

(١) تهذيب مدارج السالكين، ج١، ص ٤٩٥.

(٢) انظر: إحياء علوم الدين ج٤، ص٣٩٧.

عليكم أعمالكم، وهو يعلمها ويعرفها[١]. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: ٦١].

في هذه الآية يخبر تعالى، عن عموم اطلاعه على جميع أحوال العباد في حركاتهم، وسكناتهم، والدعوة لمراقبته على الدوام، وعلى أي حال من أحوال العبد الدينية والدنيوية. ويطلب منهم أن يراقبوا الله في أعمالهم، وأن يجتهدوا فيها، ويحذرهم سبحانه ممّا يكرههُ ويُغضبه، فهو مطّلع عليهم، عالم بظواهرهم وبواطنهم[٢].

هذا ويمكننا إدراك أهمية المراقبة من خلال ما يأتي:

١- إنّ مراقبة الله في السرّ والعلن هي من أسمى مقامات الدين، وأعلى منازله لأنها التفسيرُ العمليّ لمعنى الإحسان الذي هو أعلى مقامات الدّين، وأعظم منازل العبودية؛«أن تعبد الله كأنك تراه».

٢- إنّ عدم مراقبة الله تعالى صفةٌ من صفات المنافقين، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾ [النساء: ١٠٧ - ١٠٨].

---

(١) انظر: تفسير الطبري ج ٧، ص ٥٢٣، تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) ج ٢، ص ٥.

(٢) انظر هذا المعنى في: فتح القدير للشوكاني ج٢، ص ٥١٩، تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن) ص ٣٦٧، والتحرير والتنوير ج ١١، ص ٢١٤.

فالمنافقون يستحيون من الناس خوفًا من اطلاعهم على أعمالهم السيئة، ولا يستحيون من الله تعالى الذي هو ﷻ مطلعٌ عليهم ومحيطٌ بجميع أقوالهم وأفعالهم، ولا يخفى عليه منها شيء[1].

٣- عدم المراقبة تُضيّعُ حسنات العبد: فعن ثَوْبَانَ رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أَنّه قال: «لأعلَمَنَّ أقوامًا من أمّتي يأتونَ يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تِهامَةَ بيضًا، فيَجْعلُها الله ﷻ هَباءً منْثورًا». قال ثوْبان: يا رسول الله صِفْهُم لنا، جَلِّهِمْ لَنَا؛ أنْ لا نكُونَ مِنهُم ونحن لا نعْلمُ. قال: «أما إنّهُم إخوانُكُم، ومن جلدتكُم، ويأخُذونَ من اللَّيل كما تأْخُذونَ، ولَكنَّهُم أقوامٌ إذا خلَوْا بِمحارِمِ الله انْتَهكُوها»[2].

٤- إنّ مراقبة الله في السرّ والعلن توصل العبد إلى إتقان العمل وإحسانه.

٥- إنّ استشعار مراقبة الله تعالى تدفع العبد إلى الجدّ والاجتهاد في الطاعات والقربات وصالح الأعمال، فلا يضيع الفرائض، ولا يترك الواجبات أو المندوبات، بل يسارع في فعل الخيرات.

٦- إنّ مراقبة الله تعالى تحفظ المجتمعات من ألوان الفساد الأخلاقي والسلوكي؛ كالمكر والتحايل في المعاملات والعقود، وكالغدر والخيانة في العلاقات.

مع اسم الله الرقيب:

من أسماء الله الحسنى: وهو على وزن فعيل: بمعنى فاعل، وهو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء، ويدل حفظه على إحاطة سمع الله بالمسموعات

---

(١) انظر هذا المعنى في: تفسير البغوي ج ٢، ص ٢٨٤ و تفسير القرطبي ج ٥، ص ٣٧٩.

(٢) رواه ابن ماجة ٤٢٤٥.

وبصره بالمبصرات، وعلمه بجميع المعلومات الجليّة والخفية، وهو الرقيب سبحانه على ما يدور في الخواطر، وما تحركت به اللواحظ، ومن باب أولى إحاطته بالأفعال الظاهرة. وقد يأتي هذا الاسم الجليل عامًّا كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ۝٥٢﴾ [الأحزاب: ٥٢].

أخي الداعية: عِشْ مع هذا الاسم في حياتك، وداوم على ملاحظته في نفسك، وانظر إلى مكانه في قلبك، فإنه متى راقبت الله في نفسك وقلبك فقد أغلقت على الشيطان منافذ الغفلة والمعصية، وكنت سعيدًا منشرح الصدر بطاعة الرقيب عليك.

الوسائل المعينة على المراقبة:

هناك وسائل تعين العبد على استحضار مراقبة الله في السر والعلن نذكر منها ما يأتي:

١- التعلق بأسماء الله الحسنى وصفاته، فإنّ ذلك يورث تعظيم الربّ سبحان في نفس العبد.

٢- تلاوة القرآن الكريم وتدبر آياته وبخاصّة الدالة على مراقبة الله لعبادة.

٣- دوام ذكر الله تعالى، فإنه يُشعر المؤمن بقربه من الله تعالى ومراقبته له.

٤- معرفة فضل وثواب مراقبة الله في الغيب والسر.

٥- استشعار رهبة الموت وما بعده من القبر والحساب، فإنه يوجب شدة المراقبة.

٦- القراءة في سيَر أهل المراقبة وأخبارهم من النبيين والصديقين والصالحين.

٧- استشعار شهادة أعضاء الإنسان عليه يوم القيامة: قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٠ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖۚ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢١ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٢٢﴾ [فصلت: ٢٠ - ٢٢].

٨- التقرب إلى الله بكثرة العبادة والنوافل: فإنها سبب حجب للعبد عن المنكرات.

آثار المراقبة:

للمراقبة آثار وثمرات يتحصل عليها العبد المتمثل لهذه العبادة، نذكر منها ما يأتي:

١- المراقبة تصل بالمسلم إلى درجة الإحسان، والتي هي أمارة كمال الإيمان.

٢- بالمراقبة ينقطع المؤمن بعبادته إلى الله تعالى، وينقطع أمله فيما سواه، لأنه يعلم أنّه لا مطّلع على سرّه ونجواه سواه سبحانه.

٣- المراقبة تورث صاحبها الطهارة والعفّة: ولا أدلّ على ذلك من قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز،

قال تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾ [يوسف: ٢٣].

٤- المراقبة تورث العبد صدق الفراسة: قال أحد الزهّاد: «من عمر

ظاهره باتباع السنّة وباطنه بدوام المراقبة، وكفّ نفسه عن الشهوات، وغضّ بصره عن المحارم، واعتاد أكل الحلال لم تخطئ له فراسة»[(١)]

٥- المراقبة تورث العبد انشراح الصدر، وهدوء الخاطر: فالعبد الذي يراقب الربّ سبحانه يكون قريبًا منه، وبقربه من ربه يحصل له الأنس واللذة بمناجاته.

٦- المراقبة تحول بين العبد وبين الوقوع في المعصية.

٧- تورث العبد الإخلاص في أقواله وأعماله.

٨- المراقبة من أعظم الأمور الباعثة على المسارعة إلى فعل الطاعات.

ختامًا أخي الداعية الموفق: ها أنت قد علمت حقيقة المراقبة وأهميتها وآثارها، والمؤمل منك أن تحيا بهذه العبادة العظيمة، وأن تحققها في نفسك أشدّ تحقيق، فالعبد قد يخلو أحيانًا بما لا يراه عليه أحد، فيتذكر رقابة الرقيب سبحانه فلا يجترح السيئات، ولا ينتهك الحُرمات.

ومع انفتاح العالم وشدة الغزو الثقافي وتنوع وسائل التواصل الاجتماعي، وتهديد عقيدة الشباب والفتيات وأخلاقهم، ينبغي الالتفات إلى أنه لا عاصم لهم من هذه الفتن إلا بمراقبة الله في السرّ والعلن، من خلال العناية بأعمال القلوب، وإيقاظه في نفوسهم.

وإذا خلوت بريبةٍ في ظلمة والنفس داعية إلى الطغيان
فاستح من نظر الإله وقل لها إن الذي خلق الظلام يراني

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ج١، ص ٤٨.

الخشوع في الصلاة

أمر الله عباده بالصلاة وافترضها عليهم، وأمرهم أن يقبلوا عليها بخشوع قلبٍ وخضوع، وبَيَّن الله تعالى لنا أن الصلاة شاقة على غير الخاشعين، وأنها سهلة هيّنة على الخاشعين قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٥ – ٤٦]. فالخشوع هو لبّ الصلاة وروحها، والصلاة بلا خشوع كالجسد بلا روح؛ وفي هذه الصفحات نتعرف على الخشوع في الصلاة، معناه وفضله وما السبيل لتحقيقه، سائلين الله تعالى أنْ نكون من الخاشعين له ﷻ في صلاتنا وكلّ شؤوننا.

معنى الخشوع في الصلاة وحقيقته:

جاء في تعريف الخشوع أقوالٌ عدّة للعلماء عباراتهم فيه متقاربة، نذكر منها ما قال الإمام ابن رجب – رحمه الله –: «الخشوع في الصلاة هو: خشوع القلب، وهو انكساره لله، وخضوعه وسكونه عن التفاته إلى غير من هو بين يديه، فإذا خشع القلب خشعت الجوارح كلها تبعا لخشوعه؛ ولهذا كان النبي ﷺ يقول في ركوعه: «خشع لك سمعي، وبصري، ومخي، وعظامي، وما استقل به قدمي». ومن جملة خشوع الجوارح خشوع البصر أن يلتفت عن يمينه أو يساره». وقال أيضًا: أصل الخشوع: هو لين القلب ورقته، وسكونه، وخضوعه، وانكساره، وحرقته، فإذا خشع القلب تبعه خشوع جميع الجوارح، والأعضاء؛ لأنها تابعة له»[1].

(١) انظر: فتح الباري لابن رجب ج ٦/ ٣٦٧، ومجموع رسائل ابن رجب ج١، ص ٢٩٠.

أهمية الخشوع في الصلاة وفضله:

هذا ويمكننا بيان أهمية الخشوع في الصلاة من خلال ما يأتي:

١- قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١ - ٢]. والملاحظ في هذه الآية الكريمة أنه قيّد الخشوع بالصلاة لأنّ الصّلاة أولى الحالات بإثارة الخشوعِ وقُوّته ولذلك قُدّمت على غيرها من الصفات، ولأنّ المصلي يكون بين يدي الله تعالى يُناجيه فيخشعُ له[١].

٢- أنّ من صلَّى صلاةً مكتوبةً فأحسن خشوعها كانت كفّارةً وسببًا لمغفرة الذنوب: لحديث عثمان ﷺ، قال ﷺ: «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة، فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها، إلّا كانت كفّارة لما قبلها من الذّنوب، ما لم يؤت كبيرة. وذلك الدّهر كلّه»[٢].

٣- أن الخشوع في الصلاة سببٌ للفوز والنجاح والفلاح في الدنيا والآخرة.

٤- أنّ الخشوع في الصلاة هو روحها، والمقصود منها، ونصيب العبد من صلاته هو بمقدار ما يعقل منها، وثوابه على حسب خشوعه فيها.

٥- أن حضور القلب وفراغه من شواغل الدنيا في الصلاة يعيد المرء كيوم ولدته أمه: لحديث قصة إسلام عمرو بن عبسة السُّلمي ﷺ، وفيه أن النبي ﷺ قال بعد أن ذكر له فضائل الوضوء: فإنْ هو قام فصلَّى، فحمدَ الله وأثنى عليه، ومجّدهُ بالّذي هو له أهْلٌ، وفرَّغ قلبه لله إلاّ انصرفَ منْ خطيئتهِ

(١) انظر: تفسير ابن كثير ج ٥، ص٤٦١، والتحرير والتنوير ج ١٨، ص٩.
(٢) رواه مسلم ٢٢٨.

كهيئته يوم ولدته أمّهُ»[١].

بين خشوع الإيمان وخشوع النفاق:

أورد الإمام ابن القيم – رحمه الله – مبحثًا لطيفًا عنونه بهذا العنوان، وخلاصة كلامه رحمه الله أنّه إذا ظهرت آثار الخشوع على الجوارح، ولم يكن في القلب شيء منه، فهذا خشوع النفاق؛ ولهذا قال حذيفة – رضي الله عنه –: «إياكم وخشوع النفاق، فقيل له: وما خشوع النفاق؟ قال: أن ترى الجسد خاشعًا، والقلب ليس بخاشع»[٢].

والفرق بين خشوع الإيمان وخشوع النفاق، أنّ خشوع الإيمان هو خشوع القلب لله بالتعظيم، والإجلال، والوقار، والمهابة، والحياء، فينكسر القلب لله انكسارًا، فإذا خشع القلب في هذه الحالة تبعه خشوع الجوارح. وأما خشوع النفاق، فإنّه يظهر على الجوارح تصنُّعًا وتكلُّفًا، والقلب ليس بخاشع. وقد فطن سلف الأمّة من الجيل الأول لهذه الحقيقة وهذا المعنى، فاعتبروا حُسْنَ أدب الظاهر عنوان أدب الباطن. ورأى عمر بن الخطاب ﷺ رجلًا طأطأ رقبته في الصلاة فقال: «يا صاحب الرقبة، ارفع رقبتك، ليس الخشوع في الرقاب، إنما الخشوع في القلوب»[٣]. وقال حذيفة ﷺ: «أول ما تفقدون من دينكم الخشوع، وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة، ورُبَّ مُصَلٍّ لا خير فيه، ويوشك أن تدخل مسجد الجماعة، فلا ترى فيهم خاشعًا»[٤].

---

(١) رواه مسلم ٨٣٢.

(٢) الخشوع في الصلاة، لابن رجب ص ١٣.

(٣) إحياء علوم الدين ج٣، ص ٢٩٦.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة، ج ٧، ص ١٤٠، برقم ٣٤٨٠٨، وحلية الأولياء، ج ١، ص ٢٨١.

وسائل تحصيل الخشوع في الصلاة:

هناك وسائل تعين المرء على التحلّي بالخشوع في صلاته وهي كما يأتي:

١- إستشعار عظمة الله تعالى عند الوقوف بين يديه في الصلاة: وفي الحديث الطويل عن جابر ﷺ أنّ النبي ﷺ قال: «أيُكم يحبُّ أن يُعْرِضَ الله عنه؟» قلنا: لا أيُّنا، يا رسول الله قال: «فإنّ أحدكم إذا قام يُصلّي، فإنّ الله تبارك وتعالى قِبَلَ وجهِه»[1].

٢- الإخلاص لله في أداء العبادة: فإنّ توجه القلب لله، وتخلصه من حظوظ الدنيا واستحضار الثواب يورث خشوع القلب. قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة: ٥].

٣- تدبُّر معاني أفعال وأذكار الصلاة، وفهمُها: فإذا انتصب العبد قائمًا لله في صلاته بين يديه سبحانه فليشاهد بقلبه قيُّوميته تعالى، فإذا قال الله أكبر استشعر بقلبه أن الله أكبر من كلِّ ما يخطر بباله، وكذلك يتدبر ويتأمل في سائر حركات وأذكار الصلاة، من ركوعٍ وسجود وتسبيحٍ.

٤- تفريغ القلب والبدن من كل ما يشغلهما عن الخشوع من أمور الدنيا كالطعام، أو التجارة وغيرها.

٥- التأدب بآداب ما قبل الصلاة: من حُسن الوضوء، والحضور إلى المسجد بسكينة ووقار، وصلاة تحية المسجد، والدعاء ما بين الصلاة والإقامة، فإنّها كلها مظنّة تحقق الخشوع في الصلاة.

٦- عدم الالتفات في الصلاة: فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: سألت

---

(١) رواه مسلم ٣٠٠٨ واللفظ له، وأبو داود ٤٨٥.

رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة، فقال: «هو اختلاسٌ يختلِسُه الشيطانُ من صلاةِ أحدِكم»[١].

٧- الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم: فعن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أنه أتى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله إنّ الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يُلَبِّسُها عليّ، فقال رسول الله ﷺ: «ذاك شيطان يقال له: خَنْزَبٌ فإذا أَحْسَسْتَه فتعوذْ بالله منه، واتفلْ عن يسارك ثلاثًا». قال: ففعلت ذلك فأذهبه الله عني[٢].

٨- مجاهدة النفس حال الصلاة: في حضور القلب، والتأثر والتفاعل بأحوال الصلاة المتنوعة والمصابرة في هذا المقام العظيم وعدم الاقتصار على فعل الحركات الظاهرة فإنّ من داوم على المجاهدة وبذل وسعه على ذلك فتح الله عليه. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩].

آثار الخشوع على المسلم:

للخشوع في الصلاة آثار عديدة تعود بالخير على العبد، نذكر منها ما يأتي:

١- أنّه يُحقق إقامة ذكر الله تعالى في الأرض: وهذا من أعظم مقاصد الصلاة، وأبرز حِكَمِها. قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

(١) رواه البخاري ٧٥١ واللفظ له، وأبو داود ٩١٠، والترمذي ٥٩٠، والنسائي (١١٩٦، ١١٩٩).

(٢) رواه مسلم ٢٢٠٣.

٢- أنّ الخشوع يُيسر ويُسهل الصلاة على العبد: قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [البقرة: ٤٥ - ٤٦].

٣- إحياء القلب بمعاني الخوف والرجاء من الله تعالى: فشعور المصلي بأنّه واقف بين يدي الله سبحانه مع تذكر عظمته، يزيد من إحساسه بخشية الله سبحانه.

٤- الخشوع في الصلاة يُهذّب سلوك المسلم في الحياة: فمتى حضر العبد الصلاة خمس مرات في اليوم والليلة بقلبه وخشوعه؛ كان ذلك سبيلًا إلى استقامته على أوامر الله تعالى، وتركه لما نهى عنه.

٥- الخشوع الصادق يورث البكاء من خشية الله تعالى والذي هو مظنة دخول الجنّة: عن ابن عباس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله»[1].

٦- الخشوع في الصلاة يورث العبد لذة المناجاة مع الله: فكلما كانت الرغبة في المحبوب والشوق إليه أقوى كانت اللّذّة بالوصول إليه أتمّ.

٧- الخشوع في الصلاة يورث انشراح الصدر، وسكينة النفس.

٨- الخشوع في الصلاة يرفع صاحبه يوم القيامة.

٩- الخشوع في الصلاة يزيل قسوة القلب.

أخي الحبيب: ها نحن قد بينّا لك حقيقة الخشوع في الصلاة، ووسائل

---

(١) رواه الترمذي ١٦٣٩.

تحصيله، وما نود منك علمه هو أنّ هناك أمرين يحولان بين المؤمن وبين الخشوع في الصلاة وهما خطيران على صلاة العبد:

الأول: حبّ الدنيا والافتتان بها، بحيث تستولي على قلب المؤمن فينشغل بها وفي جمعها وتحصيلها مغرورًا بإقبالها عليه.

الثاني: قسوة القلب وكثرة الذنوب فإن العبد إذا أدمن على الذنوب، وأدمن قلبه الشهوات، قسا قلبه وصار في معزل وحاجز عن الانتفاع بمعاني القرآن وأذكار الصلاة.

والمؤمن الصادق إذا خلت صلاته من الخشوع والتأثر حزن وأسف وندم على تفريطه وغفلته، وسعى في إصلاح قلبه، وأيقظ فيه شعور التوبة والإنابة والرجوع إلى الله ومحاسبة النفس ومجاهدتها على الخشوع والسكينة. فاحرص على الخشوع في صلاتك، وعضّ عليه بنواجذك ولا تفرط فيه، حتى تقبل صلاتك وتنتفع بأجرها عند الله تعالى.

قيام الليل

من أهم العبادات التي حثّ عليها الاسلام لتزكية النفوس المؤمنة؛ قيام الليل، وصلاة العبد في جوف الليل والناس هُجّع. ومن رحمةِ اللهِ تعالى بنا أنْ شرعَ لنا النوافل لتُكمِّلَ ما في الفرائض من نقص، ولتزيد في الموازين من الحسنات، فجعل الله للفرائض من جنسها نوافلَ تجبر نقصها، فالصلاةُ جعل الله لها نوافل تكمِّلها، وأفضل هذه الصلوات بعد المكتوبة قيام اللَّيل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أفضل الصلاة بعد الصلاة المكتوبة الصلاة في جوف الليل، وأفضل الصيام بعد شهر رمضان صيام شهر الله المحرم»[1]. وحينما يقومُ المرءُ المسلمُ بهذا العملِ ويستحضرُ الجزاءَ العظيم فإنّه لا يجدُ تعبًا ولا كللًا، بل يجد اللَّذةَ التي تحلِّقُ به في جوِّ السماءِ ليعيشَ في السعادةِ التي لا ينالها إلا أصحابُ الليالي الساهرةِ في عبادةِ اللهِ، الذين سمت أرواحهم في مدرسة الليل، فكانوا رهبانًا في الليل فرسانًا في النّهار. وإنّها لوصية الإمام الشهيد حسن البنا - رحمه الله - لك أخي الداعية بأن تحرص على الحياة في مدرسة الليل حيث يقول لك: «دقائق الليل غالية فلا ترخصوها بالغفلة». وفي هذه الصفحات نتعرف على هذه العبادة الجليلة، وفضلها وأثرها على الداعية المسلم.

معنى قيام الليل:

قيام الليل صلاةٌ قد يطلق عليها صلاة التهجد أو صلاة القيام، فهما اسمان

---

(١) رواه مسلم ١١٦٣ واللفظ له، أبو داود ٢٤٢٩، والنسائي ١٦١٤، وأحمد ٨٥٠٧.

لصلاة واحدة وهي صلاة النافلة التي تُصلى في وقت الليل، وقد فرّق بعض العلماء بين الصلاة قبل النوم والصلاة بعد النوم، فعدّوا الصلاة قبل النوم صلاة قيام، واعتبروا الصلاة بعد النوم تهجدًا.

فقيام الليل يمكن تعريفه بأنّه: اسم جامع لكل صلاة في الليل، وقد يكون القيام لكلّ الليل وقد يكون لبعضه. وأمّا التهجد فهو من ألفاظ الأضداد، فيقال: هَجَدَ الرجل: أي سَهِرَ أو نام بالليل، وهجد: إذا صلّى بالليل. وأمّا المُتهجِّد فهو القائم إلى الصلاة من النوم. ومنه قيل لصلاة الليل: التَهَجُّدُ.

قال تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: ١٧ - ١٨][1].

فضل صلاة قيام الليل:

جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تحثّ على قيام الليل، وتبين فضله، وتمتدح فاعليه، نذكر منها ما يأتي:

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء: ٧٩].

وقال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السجدة: ١٦].

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك

(١) انظر: الصحاح ج ٢، ص ٥٥٥، مقاييس اللغة ج ٦، ص٣٤، لسان العرب ج ٣، ص ٤٣٢.

ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أحبّ أن أكون عبدا شكورًا[1].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَال: قَال لي رسول الله ﷺ: «يا عبد الله لا تكُن مثل فلان كان يقوم الليل، فترك قيام الليل»[2].

أهمية قيام الليل في حياة الداعية:

قيام الليل هو شرف المؤمن كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ: «واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل وعزّه استغناؤه عن الناس»[3]. وأهميّة قيام الليل بالنسبة للداعية مختلفة عنها في عموم الناس؛ لأنّ شرف رسالته وسموّ مهمّته تُميّزُه عن بقية الناس، وتظهر أهمية قيام الليل في حياة الداعية من خلال ما يأتي:

١- استشعار معيّة الله تعالى: فيشعر الداعية أنّه في رعاية قويٍّ عزيز، لا يخذل من التجأ إليه ولاذ به. وهذا الشعور يُكسب الداعية طاقةً روحيّة ونفسية يتزود منها في طريقه.

٢- قيام الليل يربي في الداعية الإخلاص لله تعالى: ويُجرّد قلبه ويخلّصه من الرياء.

٣- قيام الليل يُدرّب الداعية على مجاهدة نفسه، ويُعودّها على تحمل الصعاب ومشقة الطريق.

---

(١) رواه البخاري ٤٨٣٧ واللفظ له، ومسلم ٢٨٢٠، وأحمد ٢٤٨٤٤.

(٢) رواه البخاري ١١٥٢ واللفظ له، ومسلم ١١٥٩، والنسائي ١٧٦٣، وابن ماجه ١٣٣١، وأحمد ١٣٣١.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك ٧٩٢١. قال عنه الذهبي حديثٌ صحيح.

٤- محافظة الداعية على قيام الليل يجعله مقتديًا بالداعية الأول ﷺ الذي كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه.

٥- قيام الليل يجعل الداعية يلجأ إلى الله تعالى فيما يصعب عليه في دعوته، ويستعين به سبحانه على خصوم دعوته من شياطين الإنس والجن، الذين يقفون في طريق دعوته.

٦- قيام الليل يُحقّق القدوة العملية في الداعية بما يدعو الناس إليه من تزكيةٍ وتربية. ذلك أنّ فاقد الشيء لا يعطيه.

الوسائل المُعينة على قيام الليل:

قيامُ الليل له أسبابٌ تُعين عليه، نذكر منها على وجه الاختصار ما يأتي:

١- استعانة العبد بالله تعالى.

٢- استحضار فضل قيام الليل، ومنزلة أهله عند الله تعالى، وما لهم من السعادة في الدنيا والآخرة.

٣- استحضار عظمة الله تعالى والخوف منه سبحانه: فالخوفُ منه سبحانه هو الذي حمَلَ العبّاد والزهّاد للقيام له ﷻ. قال طاووس بن كيسان (من خيار التابعين ت١٠٦ هـ): «إنّ ذكر جهنم طيّر نوم العابدين».

٤- استشعارُ العبدِ إستجابة الله لصلاتِه، وسماعَه لتلاوته، وقبول إنابته وشكواه: فعن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «ينزلُ اللهُ تبارك وتعالى إلى السماء الدُّنيا كلَّ ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول: أنا الملك أنا الملك، من ذا الذي يدعوني فأستجيبَ له، من ذا الذي يسألني فأُعطيَه، من ذا الذي يستغفرني فأغفرَ له، فلا يَزالُ كذلك حتَّى يُضيءَ

الفجر»[١].

٥- الإقلال من الأكل والشرب والخلطة دون حاجة: لأنّ هذه الأمور تورثُ قسوة القلب. كان أحد السلف يقول: «لا تأكلوا كثيرًا فتشربوا كثيرًا فتناموا كثيرًا، فتخسروا كثيرًا»[٢].

٦- سلامة الصدر لإخوانه المسلمين: فيبيتُ وقد أحلّهم، وتصدق بعرضه عليهم، فإنّ من تصدَّقَ بمظلمتِه على المسلمين تصدّقَ اللهُ عليه بأفضل ممّا تصدّقَ به ورحمه وغفر له.

٧- أن يحرص العبد على النوم مبكرًا؛ ليستعين بذلك على قيام الليل بقوة ونشاط. عن أبي برزة ﵁ أنّ رسول الله ﷺ كان يكره النوم قبل العشاء، والحديث بعدها[٣].

٨- الاستعانة بالوسائل التي تُعينه على الاستيقاظ: كوضعِ منبّه الساعة، أو الطلب من أهله أو إخوانه بإيقاظه.

أسباب التقصير في قيام الليل:

كما أنّ هناك وسائل تُعين العبد على قيام الليل؛ فإنّ هناك أسبابًا تصرفه عن هذه العبادة منها:

١- كثرةُ الذنوب والمعاصي التي تورث قسوة القلوب.

٢- الغفلة عن الله وعن سخطه وعقابه، فلا يحرص على اليقظة، ولا يحتسب الأجر في مشقة القيام.

---

(١) رواه مسلم ٧٥٨، الترمذي ٤٤٦، أحمد ٧٧٩٢.

(٢) انظر: مختصر منهاج القاصدين ص ٦٧.

(٣) رواه البخاري ٥٦٨، ٥٩٩.

٣- كثرةُ الطعام والشراب وفضول الاختلاط: فكثرة الأكل والشرب يُكثرُ النومَ ويزيدُه.

٤- طول السهر والنوم المتأخر: فهو من أكثر ما يُعيق عن القيامِ لأنَّ العبدَ إذا لم يكتفِ جسدُه من النومِ فإنَّه يصعبُ عليه القيامُ ويثقل نومُه.

٥- التعبُ والإرهاق في النهارِ بأعمالٍ لا طائلة منها، مما يجعل العبد لا يستطيع القيامَ بالليل.

مراتب قيام الليل:

ينعقد قيام الليل ولو بركعتين، ووقته من بعد صلاة العشاء وحتى طلوع الفجر، فمن صلّى ركعتين أو أكثر بعد العشاء فقد بات لله ساجدا أو قائما، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان: ٦٤]. وتصلّى صلاة الليل مثنى مثنى لحديث ابن عمر ﵄ أنّ رجلًا سأل رسول الله ﷺ عن صلاة اللّيل، فقال رسول اللّه: «صلاةُ اللّيل مثْنى مثْنى، فإذا خشيَ أحدُكُم الصّبح صلّى ركعة واحدة تُوتِرُ له ما قد صلّى»[1]

واعتبر العلماء أن لقيام الليل مراتب، منها: قيامُ الليل كلّه، أو قيامُ نصف الليل، أو قيامُ ثُلث الليل وهو أفضلها كما جاء في بعض الأحاديث، أو صلاة ركعتين من الليل. ويمكنك أخي الحبيب أن تختار مِن هذه المراتب ما يُناسب حالَك وظروفَك، وبالقَدْرالذي يغلب على ظنِّك أنَّك تُداوم عليه؛ فإنَّ الناس تَختلف أحوالهم في ذلك.

---

(١) رواه البخاري (٤٧٢، ٤٧٣، ٩٩٠، ٩٩٣، ٩٩٥، ١١٣٧) واللفظ له، ومسلم ٧٤٩، وأبو داود ١٣٢٦، والترمذي ٤٣٧، والنسائي١٦٦٧، وابن ماجه١٣٢٠، وأحمد٤٤٩٢.

آثار قيام الليل

لقيام الليل آثار وفوائد تعود على العبد في دنياه وآخرته، نذكر منها ما يأتي:

١- قيام الليل يُوثق الصلة بالله تعالى: فمحافظة المسلم على قيام الليل تجيب دعاءه وتحقق طلبه من ربه.

٢- رُقيّ الروح، وتزكية النفس من شوائبها.

٣- قيامِ الليلِ يُكسب العبد كلّ خيرٍ في دنياه، فإنّ في الليل ساعة لا يوافقها عبد يسأل الله تعالى خيرًا من أمر دنياه وآخرته إلا أعطاه إيّاه، فعن جابرٍ رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ من الليل ساعة لا يوافقها عبدٌ مسلم يسأل الله خيرًا إلا أعطاه إيّاه، وذلك كلّ ليلة»[١].

٤- قيام الليل يُكسب صاحبه نورًا في الوجه: قيل للحسنِ البصريّ - رحمه اللهُ-: ما بالُ المتهجِّدين من أحسن النَّاس وجوهًا؟ قال: لأنَّهم خَلوا بالرّحمن فألبسهم نورًا من نوره.

خاتمة:

أخي الداعية الحبيب: نحن عبيدٌ ضعفاء، مفتقرون إلى عفو ربنا وثوابه، فهلّا سارعنا إلى القيام بين يديه، متبتلين متذللين، نطلبه أن يُعيننا ويثبتنا على هذا الطريق. يقول الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - مُذكّرًا الدعاة بهذا الزاد: «وإنّ قيام الليل والناس نيام، والانقطاع عن غبش الحياة اليومية وسفسافها؛ والاتصال بالله، وتلقي سكينته ونوره، والأنس بالوحدة

---

(١) رواه مسلم ٧٥٧.

معه والخلوة إليه، وترتيل القرآن والكون ساكن، وكأنما هو يتنزل من الله، وتتجاوب به أرجاء الوجود في لحظة الترتيل.. وتُستقبَل إشعاعاتُه وإيحاءاتُه وإيقاعاته في الليل الساجي، إنّ هذا كله هو الزاد لاحتمال القول الثقيل، والعبء الشاق والجهد المرير الذي ينتظر الرسول وينتظر من يدعو بهذه الدعوة في كل جيل! ويُنير القلب في الطريق الطويل، ويعصمه من وسوسة الشيطان، ومن التيه في الظلمات الحافة بهذا الطريق المنير»[1].

---

(١) في ظلال القرآن الكريم ج ٦، ص ٣٧٤٥.

صوم التطوع

من وسائل التزكية المهمّة لروح الداعية ونفسه، والتي ربّى عليها نبينا ﷺ أصحابه؛ صوم التطوع. فصيام التطوع من أهمّ العبادات التي يقوم بها المسلم بهدف التقرب إلى الله ﷻ، وليكون فرصة له في تكميل النقص أو جبر الخلل الذي أصاب صيامه للفريضة.

وفي هذا الموضوع سنتعرف على هذه النافلة العظيمة، معناها وحكمها وآثارها على الداعية المسلم.

معنى صوم التطوع:

الصوم: هو إمساكٌ مخصوصٌ عن الأكل والشرب والجماع، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس[١].

وصوم التطوع: هو كلّ صيام يصومه العبد سوى الفريضة يبتغي بذلك وجه الله تعالى.

أهمية صوم التطوع وفضله:

يمكننا بيان أهميّة صيام التطوع وفضله بما يأتي:

١- أنّ صوم التطوع يقي صاحبه من النار: عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول ﷺ يقول: «الصيام جُنّة من النار كجُنّة أحدكم من القتال»[٢].

---

(١) انظر: المجموع شرح المهذب للنووي ج ٦، ص ٢٤٧، نيل الأوطار ج ٤، ص ٢٢١، سبل السلام ج ١، ص ٥٥٦.

(٢) رواه أحمد في مسنده ١٦٢٧٨.

٢- الصوم من أعظم الأعمال: عن أبي أمامه ﵁ قال: «قلت: يا رسول الله مُرني بأمر ينفعني الله به» وفي لفظ: «أي العمل أفضل»؟ قال: «عليك بالصوم فإنه لا مِثلَ له»، وفي لفظ: «عليك بالصوم فإنّه لا عِدل له»[١].

٣- صيام التطوع سببٌ في تكفير ذنوب العبد؛ فعن حذيفة ﵁عن النبي ﷺ» فتنة الرجل في أهله، وماله، وولده، وجاره، تكفرها: الصلاة، والصوم، والصدقة، والأمر، والنهي»[٢].

٤- صوم التطوع وسيلة كسب العبد لتقوى الله: فالنفس إذا انقادت للامتناع عن الحلال رغبةً في رضا الله تعالى، وخشية عقابه، كان ذلك أدعى لتركها الحرام، وهذه هي التقوى.

٥- صيام التطوع يعوّد المسلم على الصبر والتحمّل: فهو يحمله على ترك ملذاته وشهواته، وهذا فيه مشقة عظيمة على النفس، لذا كان الصوم من أعظم ما يُربي على الصبر. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: ١٠].

أقسام صوم التطوع:

صوم التطوع له قسمان جاءت النصوص الشرعية ببيانهما وهما:

أولًا: صوم التطوع المطلق: وهو الصوم الذي لم تذكر له النصوص وقتًا مقيدًا، أو زمنًا معينًا. ومثال هذا القسم: ما جاء في حديث أنس بن مالك

---

(١) رواه أحمد (٢٢١٤٩، ٢٢٢٧٦) واللفظ له، والنسائي (٢٢٢٢، ٢٢٢٣)، وابن حبّان ٣٤٢٦.

(٢) رواه البخاري (٥٢٥، ١٤٣٥، ١٨٩٥، ٣٥٨٦، ٧٠٩٦) واللفظ له، ومسلم ١٤٤، والترمذي ٢٢٥٨، وابن ماجه ٣٩٥٥، وأحمد ٢٣٢٨٠.

رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يفطر من الشهر حتى نظن أن لا يصوم منه، ويصوم حتى نظن أن لا يفطر منه شيئًا»[١].

ثانيًا: صوم التطوع المعيَّن: وهو ما جاءت النصوص مقيدةً له بزمن معيّن أو وقت معيّن. والأمثلة على هذا القسم كثيرة نذكر منها:

١- صيام الاثنين والخميس: فهما من الأيام الفاضلة التي واظب النبي ﷺ على صيامهما، لحديث عائشة رضي الله عنها، قالت: كان النبي ﷺ يتحرَّى صوم الاثنين والخميس»[٢].

٢- صيام ثلاثة أيام من كل شهر: فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «أوصاني حبيبي ﷺ بثلاث لن أدعهنّ ما عشت: بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، وبأن لا أنام حتى أوتر»[٣].

٣- صيام شهر الله المحرّم: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرّم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل»[٤].

٤- صيام يوم عاشوراء: فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كانت قُريشٌ تصوم عاشوراء في الجاهلية، وكان رسول الله ﷺ يصومه في الجاهلية، فلمّا هاجر إلى المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما فُرِضَ شهر رمضان، قال: «من

---

(١) رواه البخاري (١١٤١، ١٩٧٢)، ومسلم ١١٥٨، والترمذي ٧٦٩.

(٢) رواه الترمذي ٧٤٥ واللفظ له، والنسائي ٢٣٦٣، وابن ماجه ١٧٣٩، وأحمد ٢٤٧٤٨.

(٣) رواه مسلم ٧٢٢ واللفظ له، والنسائي ٢٤٠٤.

(٤) رواه مسلم ١١٦٣ واللفظ له، وابو داود ٢٤٢٩، والترمذي ٤٣٨، والنسائي ١٦١٣، وأحمد ٨٥٣٤.

شاء صامه، ومن شاء تركه»[1]

٥- الإكثار من الصيام في شهر شعبان: فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول: لا يفطر، ويفطر حتى نقول: لا يصوم، وما رأيت النبي ﷺ استكمل صيام شهرٍ إلا رمضان، وما رأيته أكثر صيامًا منه في شعبان»[2].

٦- صوم الستّ من شوال: فعن أبي أيوب الأنصاري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من صام رمضان ثمّ أتبعه ستًّا من شوال كان كصيام الدهر»[3].

٧- صيام التسع من ذي الحجّة: فعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما العملُ في أيّامٍ أفضلَ منها في هذه؟» قالوا: ولا الجهاد؟ قال: «ولا الجهاد، إلّا رجلٌ خرج يُخَاطِرُ بنفسه وماله، فلم يرجع بشيء»[4].

٨- صوم يوم عرفة: فعن أبي قتادة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يُكفِّر السنة التي قبله والسنة التي بعده»[5].

أخي الداعية: اجعل لك سهمًا ونصيبًا في هذه الأيام والمواسم، ولا تفرطنّ فيها؛ فإنّها تُزكّي روحك، وترقى بك نحو مدارج الكمال، لتصل إلى رضا الله سبحانه وتعالى.

---

(١) رواه البخاري ٢٠٠٢ واللفظ له، ومسلم ١١٢٥، وابو داود ٢٤٤٢، الترمذي ٧٥٣،، وأحمد ٢٤٠١١.

(٢) رواه البخاري ١٩٧٠ واللفظ له، ومسلم ١١٥٦، وابو داود ٢٤٣٤، والترمذي ٧٣٧، والنسائي ٢١٧٩، وابن ماجه ١٧١٠.

(٣) رواه مسلم ١١٦٤واللفظ له، وابو داود ٢٤٣٣، والترمذي ٧٥٩، وابن ماجه ١٧١٦، واحمد ٢٣٥٣٣.

(٤) رواه البخاري ٩٦٩، وابو داود ٢٤٣٨، والترمذي ٧٥٧، وابن ماجه ١٧٢٧، وأحمد ١٩٦٨.

(٥) رواه مسلم ١١٦٢ واللفظ له، الترمذي ٧٤٩، ابن ماجه ١٧٣٠، احمد ٢٢٥١٧.

الوسائل المعينة على صيام التطوع:

هناك وسائل وأمور عديدة تعين العبد على صيام التطوع، نذكر منها ما يأتي:

١- استشعار تقوى الله تعالى، ومراقبته للعبد.

٢- التوبة والإقلاع عن الذنوب والمعاصي، فإنها تحجب العبد عن الطاعات.

٣- استشعار الأجور العظيمة لصيام التطوع، وافتقار العبد لربه في ذلك.

٤- أن يحرص العبد على استغلال مواسم الطاعات والخيرات، وعدم التفريط بها.

٥- الاستعانة بالصحبة الصالحة، والتواصي معها على صيام التطوع.

٦- أن يدرك العبد أن صوم التطوع دأب الأنبياء والصالحين، فيقتدي بهم.

آثار صوم التطوع:

لصوم التطوع آثار وفوائد عديدة، تظهر على العبد، نذكر منها ما يأتي:

١- صوم التطوع يورث الصائم الإخلاص لله، وحُسن مراقبته لأنه سرٌّ بين العبد وربه.

٢- صوم التطوع يعين العبد في التغلُّب على نفسه وشهواته؛ فهو يكسر الشهوة، ويضعف سلطانها.

٣- صوم التطوع يُربّي العبد على الصبر، والذي هو من لوازم طريق طريق الدعوة إلى الله.

٤- صوم التطوع يسمو بالروح، وبه يصفو القلب، وتزول عنه الغشاوة.

٥- صوم التطوع يذكر العبد بنعم الله عليه؛ فالجوع والعطش، يجعله مدركًا للنعم التي يتقلب فيها، فيزداد شكره لربِّه سبحانه.

٦- صيام التطوع يعين العبد على الطاعات الأخرى، وهذا من دلائل قبول العمل، فالصائم يتلو القرآن ويقوم الليل ويكثر من الدعاء والذكر، فيجد اللذة والأنس بالله تعالى في ذلك.

خاتمة:

أخي الداعية الحبيب:

إنك وأنت تراغم أولياء الشيطان اليوم، وتُكابد المشاقّ لإعلاء كلمة الله تعالى، حريٌّ بك أن لا تغفل عن روحك ونفسك التي بين جنبيك، فتتعاهدها بالتزكية، وتأخذها بالعزم على النوافل، حتى تنجو من فتن الدنيا والآخرة. صُمْ يومًا شديد الحرّ تَقِ به نفسك يوم النشور، واستعلي على شهواتك وملذاتك، فإنّ النعم لا تدوم.

الأخوّة

من أهمّ مقومات المجتمع المسلم، والجماعة المسلمة التي تلتقي على شعائر الإسلام، والتي تجعل منها قوة صامدة قادرة على القيام بالدور العظيم الذي أُنيط بها في الحياة الإنسانية؛ هو أن تقوم فيها الأُخوّة في الله. فهي نعمة إلهيّة يورثها الله قلوب الأصفياء من عباده، والأتقياء من خلقه. وهذه الأُخوّة التي رفعت من رابطة العقيدة على حساب رابطة النسب والدم هي التي كانت الركيزة الأساسيّة في إقامة النبي ﷺ لدولته الأولى في المدينة المنورة، واعتمد على تلك الآصرة بعد بناء العقيدة في إقامة مجتمعٍ عالميٍّ، ودولةٍ عالميّة فريدة من خلال المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار. وهذه الأهميّة للأُخوّة في الله هي التي دفعت الإمام الشهيد حسن البنّا - رحمه الله - لأنْ يجعلها أحد أركان بيعة الأخ المسلم، فرَسَمَ للدعاة طريقها فقال: «وأُريدُ بالأُخوّة أن ترتبط القلوب والأرواح برباط العقيدة، والعقيدة أوثق الروابط وأغلاها، والأُخوّة أُخت الإيمان، والتّفرق أخو الكفر، وأوّلُ القوة قوّة الوحدة»[1]. وفي هذه الصفحات نتناول الحديث عن هذه الأُخوّة وفضلها وأهميتها.

معنى الأُخوّة في الله وحقيقتها

يمكن القول بأنّها: عقدٌ صادقٌ، وعلاقةٌ نبيلة قائمةٌ على تقوى الله ﷻ والإيمان به. فهي رابطة ربانيّة شرعيّة، وعروة وثقى لا تنفصم، وعقدٌ

(١) مجموعة الرسائل ص ٢٨٣.

مبنيٌّ على المشاركة في الدِّين، أطرافه كلّ مسلمٍ يشهد لله بالوحدانية ولنبيّه ﷺ بالرسالة، ويلتزم تعاليم الإسلام في نفسه وحياته، فتتخطى بذلك الحدود المصطنعة، ينتظم تحتها كافّة المسلمين على وجه الأرض.

فضل الأُخوّة في الله وأهميّتها

يمكننا بيان أهمية الأُخوّة في الله من خلال ما يأتي:

١- الأُخوّة في الله وسيلة مُثلى لاستئناف الحياة الإسلامية، وإقامة حكم الله في الأرض. يقول المودودي - رحمه الله -: «لا توجد نظرية توحد الإنسانية وتصلح أساسًا للدولة العالمية إلاّ نظرية الإسلام والإسلام فقط، فهي الفكرة الإنسانية الوحيدة التي تجمع بين النّاس وتجعل منهم عائلة واحدة، ولا يمكن للإنسان أن يلتقي مع أخيه على صعيد واحد وينشئ معه علاقات أخوية إلاّ حينما يشعر في قرارة نفسه أن الله الواحد هو الذي خلقه وأنّه مسؤول أمامه»[1].

٢- الأُخوّة في الله من مستلزمات الإيمان: قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

٣- الأُخوّة في الله سبيل التواصي على مشقة الطريق: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣].

يقول الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - مبيّنًا هذا المعنى الجميل للتواصي: «والتواصي بالحق ضرورة. فالنهوض بالحق عسير، والمعوقات عن الحق

(١) رسالة كيف السبيل إلى وحدة الأمم الإسلامية ص١٩.

كثيرة: هوى النفس، ومنطق المصلحة، وتصورات البيئة، وطغيان الطغاة، وظلم الظلمة، وجور الجائرين. والتواصي تذكير وتشجيع... وهذا الدين، وهو الحق، لا يقوم إلا في حراسة جماعة متعاونة متواصية متكافلة متضامنة»(١).

٤- الأُخوّة طريق لمحبة الله تعالى: فمحبة المؤمنين وموالاتهم على أساس هذه الدين من لوازم حصول محبة الله تعالى للعبد، فإنّ من أحبّ الله ووالاه لابدّ له أن يحبّ من يحبهم الله تعالى. قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١].

الأُخوّة في الله حقوق وواجبات

الأُخوّة في الله مسؤولية مشتركة وتضحية حقيقية، تستوجب معرفة كلّ طرفٍ فيها ما لأخيه من حقوق، وما عليه من واجبات، ومن هذه الحقوق والواجبات نذكر ما يأتي:

١- أن يكون الحبّ في الله تعالى: فعن أبي أُمامة رضي الله عنه، عن رسول اللّه ﷺ أنّه قال: «من أحبّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله فقد استكمل الإيمان»(٢).

٢- النصرة والإعانة: فعن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا»، قلنا: يا رسول الله، نصرته مظلوما فكيف أنصره ظالما؟ قال: «تحجُزُهُ، أو تمنَعُهُ، من الظلمِ فإنّ ذلك نَصرُهُ»(٣).

٣- التناصح بينهما: فينصح المسلم أخاه المسلم في أمر دينه ودنياه،

---

(١) في ظلال القرآن ج ١٥، ص ٤٦٧.
(٢) رواه أبو داود ٤٦٨١.
(٣) رواه البخاري (٢٤٤٣، ٢٤٤٤، ٦٩٥٢) واللفظ له، والترمذي ٢٢٥٥، وأحمد ١١٩٤٩.

فعن جرير بن عبد الله ﵁ قال: «بايعتُ رسول الله ﷺ على إقام الصّلاة، وإيتاء الزّكاة، والنّصْح لكُلّ مسلم»[(١)].

٤- التراحم بينهما والتوادّ والتعاطف: فعن النعمان بن بشير ﵁ أن النبي ﷺ قال: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[(٢)].

٥- اجتناب الظلم بأيّ لون من ألوانه: فعن عبد الله بن عمر ﵄، أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسْلمُه»[(٣)].

٦- بذل المال والمواساة بحسب الاستطاعة: فتتمة الحديث السابق عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة».

يقول الإمام الشهيد حسن البنّا - رحمه الله -: «وأقلّ الحب سلامة الصدر، وأعلاه الإيثار»[(٤)].

ليس أخي من ودّني بلسانه	ولكن أخي من ودّني في النوائب
ومَنْ مالُهُ مالي إذا كنتُ مُعدمًا	ومالي له إن عضّ دهرٌ بغارب

---

(١) رواه البخاري (٥٧، ٥٨، ٥٢٤، ٢١٥٧، ٢٧١٤، ٢٧١٥، ٧٢٠٤) واللفظ له، ومسلم ٥٦، والترمذي ١٩٢٥، والنسائي (٤١٧٤، ٤١٧٥، ٤١٨٩)، وأحمد ١٩١٩١.

(٢) رواه مسلم ٢٥٨٦ واللفظ له، وأحمد ١٨٣٧٣.

(٣) رواه البخاري (٢٤٤٢، ٦٩٥١) واللفظ له، ومسلم (٢٥٦٤، ٢٥٨٠)، وأبو داود ٤٨٩٦، والترمذي ١٤٢، وأحمد ٥٦٤٦.

(٤) مجموعة الرسائل ص ٢٨٣.

٧- ردّ السلام عليه، وإجابة دعوته، وتشميته إذا عطس، وزيارته عند المرض، واتباع جنازته. عن أبي هريرةﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «حَقُّ المسلم على المسلم خمسٌ: ردُّ السّلام، وعيادة المريض، واتّباع الجنائز، وإجابة الدّعوة، وتشميت العاطس»(١). وفي رواية مسلم: حقّ المسلم على المسلم ست، ذكر منها (وإذا استنصحك فانصح له).

٨- العفو عن الزلاّت وإقالة العثرات: وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ۝٢٢﴾ [النور: ٢٢]، وقد نزلت في أبي بكر رضي الله عنه حينما امتنع أن يتصدق على مسطح عندما تجرأ مسطح على الطعن في سيدة نساء العالمين عائشة رضي الله عنها.

آفات الأُخوّة في الله

الأُخوّة في الله تعالى والمحبة فيه سبحانه ليست قضية سلوكية، أو قضية من قضايا الآداب والأخلاق فحسب، بل هي أوثق عرى الإيمان، والأُخوّة بين المؤمنين، والولاء والتناصر على أساس هذا الدين، وعلى أساس هذا الإيمان، هي أمرٌ أبعد من أن تكون مجرد خُلق من الأخلاق، لأنها قضية مرتبطة بالعقيدة؛ لذا كان على المتآخين في الله أن يتعاهدوا هذه القضية المهمة، فينظروا في لوازمها وحقوقها وآدابها فيفوا بها، ويبحثوا عن آفاتها، والثغرات فيها فيسدوها لصيانة هذه الأُخوّة، ومن هذه الآفات التي ينبغي صيانة أُخوَّتنا عنها ما يأتي:

---

(١) رواه البخاري ١٢٤٠ واللفظ له، ومسلم ٢١٦٢، وابو داود ٥٠٣٠، وابن ماجه ١٤٣٥، وأحمد ٨٣٩٧.

١- الأثرة وحبّ الذات: الأصل في الأُخوّة أن يكون الإيثار ركنها والظاهر فيها، فإذا ظهرت الأنانيّة، وعمَّ منطق (الأنا)؛ كان ذلك هدمًا في جدار الأُخوّة المتين.

٢- النظرة المثالية بين الأُخوّة: يظن البعض حين يسمع عن حقوق الأُخوّة في الله، وعن ثمراتها في الدنيا، أنه سيكون مع إخوة لا يمكن أن يسمع من أحدهم كلمة جارحة، أو يرى من أحدهم زلة، فيُصدم عند وقوع ذلك من أحدهم، ولو كان واقعيًا لعلم أنّ البشر يبقون بشرًا ولو بلغوا من الإيمان والتقوى ما بلغوا، وأنّ الأُخوّة وإن كانت في الله ولأجله سبحانه، فهي عمل وجهد بشريّ لا تخلو من قصور البشر، لذا ينبغي علينا أن لا نُفْرِط بالمثالية في أُخوتنا.

٣- تتبع الزلاّت وتصيُّد العثرات: البحث عن الزلات وتتبع الأخطاء صفةٌ ذميمة من صفات المنافقين، يقول ابن المبارك: المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العثرات.

٤- كثرة العِتاب: المباشرة في المعاتبة والإكثار منها، مجلبةٌ لقلّة الإخوان، فالعاقل هو الفَطِن المتغافل، ومَنْ أكثرَ من معاتبة إخوانه وأعظَمَ من لومهم لم تطُل مودته، ولن تدوم صحبته لهم.

ومن جميل ما قيل في ذلك، قول بشار بن برد[1]:

إذا كنتَ في كلِّ الأمور معاتبًا صديقَك، لم تلقَ الذي لا تعاتبُهْ

فعِشْ واحدًا، أو صِلْ أخاك فإنّهُ مُقارفُ ذنبٍ مَرَّةً ومجانبُـهْ

(١) ديوان المعاني، لأبي هلال العسكري ج ٢ ص ١٩٦.

٥- كثرة المخالطة: قال ابن القيّم - رحمه الله -: «فضول المخالطة هي الداء العضال الجالب لكل شرّ، وكم سلبت المخالطة والمعاشرة من نعمة، وكم زرعت من عداوة، وكم غرست في القلب من حزازات تزول الجبال الراسيات وهي في القلوب لا تزول، ففضول المخالطة فيه خسارة الدنيا والآخرة، وإنّما ينبغي للعبد أن يأخذ من المخالطة بمقدار الحاجة»[١].

وهناك آفاتٌ أخرى كثيرة لا يتّسع المجال لتفصيلها نُشير إليها على سبيل الذكر والتحذير من الوقوع فيها، منها: «الغيبة والنميمة، واللمز والهمز، الحسد، والتشهير والتّعيير، والاعتداد بالرأي، والقسوة في التعامل، وكثرة النقد، والتعصب بكلّ صوره، وسوء الفهم، وتهميش الأخ لأخيه، والعُجْب والكِبْر والغرور». عافنا الله وإياكم من هذه الآفات المهلكات.

ثمرات الأُخوّة في الله:

للأُخوّة في الله آثار إيجابيّة عديدة تعود على الفرد والمجتمع نذكُرُ منها ما يأتي:

١- تحقيق وحدة المسلمين واجتماع كلمتهم: عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضًا» وشبك بين أصابعه[٢].

٢- الأُخوّة في الله تُسهم في التطور الحضاري من خلال وحدة الفكر والمصير لأفرادها، واجتماعهم على البِرّ والمعروف.

---

(١) بدائع الفوائد ج ٢ ص ٢٧٣ - ٢٧٤.

(٢) رواه البخاري (٤٨١، ٢٤٤٦، ٦٠٢٦) واللفظ له، ومسلم ٢٥٨٥، والترمذي ١٩٢٨، والنسائي ٢٥٦٠، وأحمد ١٩٦٢٤.

٣- الأُخوّة في الله وسيلةٌ لحماية المجتمع الإسلاميّ من أشكال الانحراف، ومن أمراض الضّعف المجتمعي.

٤- الأُخوّة طريقٌ لتحقيق التّكافل الاجتماعيّ، وتحقيق العدل في المجتمع المسلم؛ لأنّها تُقيم المجتمع على أساس علاقةٍ اجتماعيّة سليمة.

٥- الأُخوّة طريقٌ لتحقيق التوازن الاجتماعي: وذلك من خلال إزالة الفوارق بين المسلم وأخيه المسلم.

خاتمة:

ها نحن أخي قد بينّا لك شيئًا عن هذه الرابطة المُقدّسة، رابطة الأُخوّة في الله، والمأمولُ منكَ أن تتمثّل هذه الرابطة في نفسك، فتعيش حقيقة الأُخوّة وفضلها ومعانيها مع إخوانك، عسى الله أنْ يكلأنا بعنايته، وأنْ يُقوّي هذه الرابطة في نفوسنا فيجمعنا عنده إخوانًا على سرر متقابلين في جنات النعيم.

فضل الصدقة

من رحمة الله وكرمه على خلقه أن جعل لهم أبوابًا للتقرّب إليه، ومن أعظم هذه الأبواب (باب الصّدقة)؛ والتى جعلها في صنوفٍ وأنوع عدة، فالمرء يختار منها ما يناسبه ويقدر عليه، فرُبّ فقير؛ لا يملك المال فيتصدّق بالكلمة الطيبة، وبالأمر بالمعروف والنّهى عن المنكر، ورُبَّ غنيٍّ يتصدّق بماله، ورُبَّ صاحب علم يتصدّق بعلمه. عن أبى هريرة ﵁ أنّ النبى ﷺ قال: «كلُّ سُلامَى من الناس عليه صدقةٌ، كلُّ يوم تطلُعُ فيه الشمسُ يعدلُ بينَ الاثنين صدقةٌ، ويعينُ الرجلَ على دابتِه فيحملُ عليها، أو يرفعُ عليها متاعَه صدقةٌ، والكلمةُ الطيبةُ صدقةٌ، وكلُّ خطوةٍ يخطوها إلى الصلاةِ صدقةٌ، ويميطُ الأذَى عن الطريقِ صدقةٌ»[(١)].

تعريف الصدقة:

هي ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة كالزّكاة، لكن الصدّقة في الأصل تقال للمتطوّع به، والزّكاة للواجب، وقد تطلق على أوجه غير المال كالصدقة بالوقت، والجاه، والعلم وغيرها[(٢)].

فضل الصدقة:

فضل الصدقة عظيم، يعود على المتصدق، وعلى المجتمع، بالخير العميم في الدنيا والآخرة، من هذا الفضل ما يأتي:

---

(١) رواه البخاري (٢٧٠٧، ٢٨٩١، ٢٩٨٩)، ومسلم (٧٢٠، ١٠٠٩)، وأبو داود (١٢٨٥، ١٢٨٦، ٥٢٤٣)، وأحمد (٨١٨٣، ٨٣٥٤، ٢١٤٧٥، ٢١٥٤٨).

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٤٨٠.

١- أنّ أجرها عظيم، وثوابها مضاعف: فبهذا تواترت النصوص وعليه تظافرت؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١٨].

قال سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنّ المتصدقين والمتصدقات لا يتفضلون على آخذي الصدقات، ولا يتعاملون في هذا مع الناس، إنما هم يقرضون الله ويتعاملون مباشرة معه، فأيّ حافز للصدقة أوقع وأعمق من شعور المعطي بأنه يقرض الغني الحميد، وأنه يتعامل مع مالك الوجود؟ وأن ما ينفقه مُخْلَف عليه مضاعفا، وأن له بعد ذلك كله أجرًا كريمًا؟»[١].

٢- الصدقة دليل صدق الإيمان، وقوة اليقين، وهي من أفضل الأعمال وأحبها إلى الله ﷻ. قال ﷺ: «إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالًا وعلمًا فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعمل فيه حقًا فهذا بأفضل المنازل»[٢].

٣- أنها تقي صاحبها من الكُرَب والبلايا: فصاحب الصدقة والمعروف لا يقع، فإذا وقع أصاب متكأً[٣]، إذ أنَّ البلاء لا يقاوم الصدقة؛ فهي تدفع المصائب، وترفع البلايا والأمراض الحالَّة، وتحفظ البدن.

أخي الحبيب: ألم تحدثك نفسك مرارًا بالغزو والجهاد في سبيل الله؟ أليست الظروف المحيطة بك تحول دون رغبتك؟ ألا ترغب أن تكتب عند الله غازيًا، وأنت في بيتك وبين أهلك؟ إذا كنت كذلك فبادر بالتبرع

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج ٦، ص ٣٤٩٠.

(٢) رواه الترمذي ٢٣٢٥، وأحمد ١٨٠٣١.

(٣) انظر: الآداب الشرعية، لابن مفلح ج١، ص ٣١٠.

لإخوانك المجاهدين في فلسطين وغيرها من ساحات الجهاد، لعلك بما تتبرع به تُكتب عند الله مجاهدًا غازيًا، فالجهاد كما يحتاج للرجال فإنّه يحتاجُ للمال أيضًا. واعلم أنّ الله تعالى قد اشترى الأموال والأنفس لمن بذلها في سبيله بالجنة، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١].

ولقد أوضح لنا الإمام المؤسس حسن البنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ طريقًا بيّنًا واضحا في البذل والإنفاق فقال: «وأريد بالتضحية بذل النفس والمال والوقت والحياة وكلّ شيء في سبيل الغاية، وليس في الدنيا جهادٌ إلاّ وتضحيةٌ معه، ولا تضيع في سبيل فكرتنا تضحية، وإنّما هو الأجر الجزيل والثواب الجميل، ومن قعد عن التضحية معنا فهو آثم»[1].

٤- أنّها تُنمّي المال وتُكثّره، وتزيد من بركته، ولا تنقص منه شيئًا فما نقص مال من صدقة: الصدقة تحفظ المال من الآفات والمفاسد، وتحل فيه البركة، وتكون سببًا في إخلاف الله على صاحبها بما هو أنفع له وأكثر وأطيب، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

٥- أنّها تطهر النفس وتزكيها: فالصدقة تطهر النفس من الرذائل وتنقيها من الآفات، وتقيها من كثير من دواعي الشيطان ورجسه، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

أفضل الصدقات:

بيّنت النصوص الشرعية للمسلم ما ينبغي عليه أن يتصدّق به، وبيّنت له

---

(١) رسالة التعاليم، ص ٢٨١.

أفضل الصدقات، وتركت له اختيار أيٍّ منها، وفيما يأتي بيانٌ لأفضل هذه الصدقات:

١- صدقة السرّ: فإنّها أدعى لحصول الإخلاص أكثر من الصدقة المُعلنة. قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ البقرة: ٢٧١

٢- الصدقة حال القوة والصحة أفضّل من الصدقة وقت المرض: فعن أبي هريرة ﵁ قال: جاء رجل إلى النَّبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله، أيّ الصّدقة أعظم أجرًا؟ قال: «أن تصدَّقَ وأنت صحيح حريص، تأملُ الغنى،وتخشى الفقر، ولا تُمهِل حتى إذا بلغت الحلقوم،قلت: لفلان كذا،ولفلان كذا،وقد كان لفلان»[١].

٣- الصدقة على سُبل الجهاد في سبيل الله.

٤- النفقة على الزوجة والأولاد، والصدقة على القريب وذي الرحم: فعن أبى مسعود البدريّ ﵁ قال: قال ﷺ: «نفقة الرجل على أهله صدقَة»[٢]. وعند أحمد: أنّ رجلا سأل رسول الله ﷺ عن الصدقات، أيها أفضل؟ قال: «على ذي الرحم الكاشح»[٣]. أي الرحم القاطع لك، المُعرِضْ عنكَ. وقيل هو: العدو الذي يُضمرُ عداوته ويطوي عليها كشحه، ولا يألفك باطنه. والكشح: هو الخصر[٤].

(١) رواه البخاري ١٤١٩، ومسلم ١٠٣٢، والنسائي (٢٥٤٢، ٣٦١١)، وابن ماجه ٢٧٠٦.
(٢) رواه البخاري ٤٠٠٦.
(٣) رواه الترمذي ٦٥٨، والنسائي ٢٥٨٢، وأحمد (١٥٣٢٠، ١٦٢٢٧، ١٦٢٣٢، ١٦٢٣٥).
(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٤، ص ١٧٥.

الصدقة الجارية:

الصدقة الجارية هي: ما يبقى بعد موت العبد، ويستمر أجره عليه؛ من وجوه الخير المختلفة، لقوله ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[١].

والقاعدة العامة في الصدقة الجارية: أنّها كلُّ عمل صالح يستمرُّ للإنسان بعد موْته، وجميع ما يبقى نفعه للمسلم، كلّه يسمى صدقة جارية؛ فتكون هذه الصدقة باقية ما دام النفع، وما دام الانتفاع حاصلًا»[٢].

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «إنّ مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علمًا علّمه ونشره، وولدًا صالحًا تركه، ومصحفًا ورَّثَه، أو مسجدًا بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناه، أو نهرًا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه بعد موته»[٣].

ومن الصدقات الجارية التي حثّ عليها ديننا ما يأتي:

١- نشر العلم الشرعيّ: وذلك عن طريق توزيع المصاحف، أو الكتب، أو المطويات، أو أسطوانات الحاسب الآلي، أو تخريج طلبة العلم، والمشاريع الدعوية المختلفة. وكلُّ من ساهم في إخراج هذا العلم النافع يحصُل على هذا الثواب العظيم؛ سواء أكان مؤلفًا له، أو مُعلّمًا، أو ناشرًا له

(١) رواه مسلم ١٦٣١، وابو داود ٢٨٨٠، والترمذي ١٣٧٦، والنسائي ٣٦٥١ و أحمد ٨٨٤٤.

(٢) شرح رياض الصالحين، للعثيمين، ج٢، ص ١٤٨٣.

(٣) رواه ابن ماجه، ٢٤٢.

بين الناس، كلٌّ بحسب جهده ومشاركته في ذلك.

٢- كفالة الأيتام، وأسر الشهداء: عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من جهّز غازيًا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازيًا في أهله فقد غزا»[١].

٣- بناء المساجد: ويدخل فيها بناء المراكز الشرعية، والمعاهد العلمية، ونحو ذلك.

كما في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «من بنى مسجدًا يبتغي به وجه الله، بنى الله له بيتًا في الجنة»[٢].

٤- الوقف: وهو حبس العين على حكم ملك الله تعالى، أو التصدق بالمنفعة[٣].

جوانبَ خير تُستحبُّ فيها الصدقة:

جعل الله لنا أبوابًا للصدقات كثيرة ومختلفة؛ منها ما يكون بالقول، ومنها ما يكون بالعمل، ومنها ما يكون بمجرد النية، وهذا ما دلّ عليه حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كل معروفٍ صدقة»[٤].

---

(١) رواه البخاري ٢٨٤٣، ومسلم ١٨٩٥، وابو داود ٢٥٠٩، والترمذي (١٦٢٨، ١٦٢٩، ١٦٣١)، والنسائي(٣١٨٠، ٣١٨١)، وابن ماجه ٢٧٥٨، وأحمد (١٧٠٣٩، ١٧٠٤٥، ١٧٠٥٦، ٢٨٦٨١).

(٢) رواه البخاري ٤٥٠، ومسلم ٥٣٣، والنسائي ٦٨٨، وابن ماجه ٧٣٥، وأحمد ٤٣٤.

(٣) الإسعاف في أحكام الأوقاف، ص ٣.

(٤) رواه البخاري ٦٠٢١ ،ومسلم ١٠٠٥، وابو داود ٤٩٤٧، والترمذي ١٩٧٠.

والصدقة بغير المال نوعان:

النوع الأول: ما كان خيره متعديًا إلى الغير: ويدخل فيه كلّ ما جلب نفعاَ، أو دفع ضرًا عن الناس؛ كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإزالة الأذى عن الطريق، والإصلاح بينهم، وغير ذلك الكثير.

النوع الثاني: ما كان نفعه مقتصرًا على فاعله: كالأذكار، والخطى إلى المساجد، والمشى إلى حضور الاجتماعات الدعوية، والأنشطة التى تقيمها الجماعة، ومجالس الخير، ودروس العلم، وغيرها[١]. ولهذا فإنّ من الخطأ أن يحصر الناس مفهوم (الصدقة) في مجرد بذل الأموال وإخراجها من النقود للفقراء والمساكين، أو صرفها في أوجه الخير المتعددة، فقد جاءت تعاليم الدين الحنيف وتوجيهاته لتوضح لنا أنّ هناك أوجهًا كثيرةً لبذل الصدقات، وأنواعًا متعددةً لفعل الخير بنية الصدقة؛ نذكرُ منها على سبيل الإيجاز ما يأتي:

١- الدعوة إلى الله تعالى: فعن أبى هريرة ﵁ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَن دعا إلى هدىً، كان له من الأجر مثل أجور من تَبعه، لا يَنْقُصُ ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تَبعه، لا يَنْقُصُ ذلك من آثامهم شيئًا»[٢]. فانظر يا رعاك الله كم هى الأجور التي تجنيها بدعوة غيرك إلى دروب الهداية، ومواطن العمل لدين الله؟!

٢- طلاقة الوجه بالبشاشة والابتسام: فعن أبى ذر ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «تبسُمُكَ في وجه أخيك لك صدقة، وأمرُكَ بالمعروف

---

(١) انظر للمزيد في ذلك: جامع العلوم والحكم، ج٢، ص٦٦.

(٢) رواه مسلم ٢٦٧٤، وابو داود ٤٦٠٩، والترمذي ٢٦٧٤،، وابن ماجه ٢٠٦.

ونهيُكَ عن المنكر صدقة، وإرشادِك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وبصرُكَ للرجل الرديء البصر لك صدقة، وإماطتُك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغُك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة»[1].

٣- تربية الأولاد تربية شرعيةً صالحة: وذلك يُكسبهُ أجورهم، ويضمن له دعاءهم. فعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الرجل لتُرفَعُ درجته في الجنة فيقول: أنَّى لي هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك»[2].

خاتمة:

أخي الحبيب: هنيئًا لمن قدّم لنفسه عملًا صالحًا في حياته، واستمر له أجر ذلك بعد موته، وهنيئًا ثم هنيئًا لمن أسهم في جميع تلك الأعمال الخيرية النافعة، مُبْتغيا بذلك وجه الله تعالى.

فاحرص أخي على أعمال البر التي تَبْقى آثارُها بعد موتك، فإن كنتَ عالِمًا فابذل عِلْمك بين الأنام، وقُمْ بالدعوة إلى الله على الوجه المطلوب شرعًا، وإن كنت أبًا فاحرص على تربية أولادك تربية حسنة؛ حتى يدعوا لك بعد موتك، وإن لم تكن من هؤلاء جميعا، فلتكن لك نيّة حسنة، فإنك تؤْجر عليها.

---

(١) رواه الترمذي ١٩٥٦.

(٢) رواه ابن ماجه ٣٦٦٠.

حفظ الفرج

حرص الإسلام على طهارة الفرد والمجتمع ونظافته، وحذر من كل ما يخدش هذه الطهارة، أو يذهب بحيائها. وحرص كذلك على سدّ المنافذ الموصلة إلى اختراق حصون الفضيلة في المجتمعات، فحرّم إطلاق النظر كما ذكرنا سابقًا، وأمر بغضّ البصر، ونهى عن التّبرّج والسفور، وغلّظ عقوبة الزّنا، كلّ ذلك في سبيل أن يصل الأفراد إلى حفظ فروجهم فلا ينزلقوا في مهاوي الفواحش والرذائل.

معنى حفظ الفرج:

قال البغويّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٥].

الفرج: اسم يجمع سوأة الرّجل والمرأة، وحفظ الفرج التّعفّف عن الحرام[١].

وقال أبو البقاء الحنفي: «كل آيَة ذكر فِيهَا حفظ الْفروج فَهُوَ من الزِّنَا إِلَّا فِي قوله تعالى: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡ﴾ [النور: ٣٠] فَإِن الْمُرَاد الاستتار»[٢].

وبهذا التعريف يمكننا تقسيم حفظ الفرج إلى قسمين اثنين: الأول الحفظ من النظر، فلا ينظر إليه أحد.

---

(١) تفسير البغوي، ج ٥، ص ٤١٠.

(٢) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الحنفي أيوب بن موسى الكفوي، الكلّيّات، ص ٣٥٩.

والثاني: الحفظ من الوقوع في الحرام. ولهذا امتدح الله ﷿ عباده المؤمنين بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٥] فهذا الأصل في حفظ الفروج، ثم استثنى بقوله: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: ٦] أي: أنّ الرجل يحفظ فرجه إلا من زوجته، أو ما ملكت يمينه.

واليوم في زماننا هذا لا يوجد إماء، وعليه فيجب على الرجل حفظ فرجه إلاّ من زوجته فقط، والمرأة كذلك مع زوجها.

أهمية حفظ الفرج:

حثّ الإسلام على العفة، ودعا إليها، وجعل من أعظم سُبلها حفظ الفروج، وما يستلزمه من غضّ البصر والعفّة عن المحارم، ممّا يؤدّي إلى تماسك بنيان المجتمع وسلامته من هتك الأعراض والأمراض الاجتماعيّة الفتّاكة كاختلاط الأنساب، والأمراض الصّحّيّة المهلكة كمرض الإيدز الّذي انتشر في المجتمعات الفاجرة الماجنة بصورة تؤدّي إلى الخراب والدّمار، وغيره من الأمراض السارية. والأدلة على حفظ الفرج كثيرة نذكر منها ما يأتي:

من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ [النور٣٠] قال ابن القيم رحمه الله: «ولمّا كان مبدأ ذلك من قبل البصر؛ جعل الأمر بغضّ البصر مقدّما على حفظ الفرج، فإنّ الحوادث مبدؤها من النّظر»[١].

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، ص ٢٣٢.

الأحاديث النبوية الدّالة على حفظ الفرج:

عن عبد الرّحمن بن عوف ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" «إذا صلّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنّة من أيّ أبواب الجنّة شئت»[١].

مقصد الإسلام من حفظ الفرج:

يهدف الإسلام إلى نظافة الأفراد والمجتمعات من مظاهر الفساد الأخلاقي، وحماية الأعراض والأنساب من الدنس. ومن تمام حفظ الفروج، حفظها من الفواحش التي تؤدي إلى الانحراف الأخلاقي؛ كالزنا واللواط والسُّحاق ، وغير ذلك من الأمور التي تأنفها الفطر السويّة، والأخلاق المستقيمة. وتجنب كلّ ما يدعو إلى ذلك كالنظر واللمس ونحوهما.

التحذير من الزنا:

جريمة الزنا فاحشة كبرى، وفعلة شنعاء تأنفها النفوس الأبيّة، وتنفر منها الطباع السليمة السويّة، لما فيها من انتهاك الحرمات، وإفساد الفراش واختلاط الأنساب، وتفكك الأسر. ولا جرم أنْ كانت عقوبة الزنا في هذه الشريعة أعظم من غيرها، فقد شرع الإسلام رجم الزاني أو الزانية مع الإحصان بالحجارة حتى الموت؛ ليتم الزجر والقمع لتلك النفوس المريضة بالشهوة البهيمية، وما ذلك إلاّ لأنّ المحصن أو المحصنة عَدَلاَ عن الحلال إلى الحرام. وأما غير المحصن فإنّ الشارع الحكيم قد جعل

---

(١) رواه أحمد في مسنده ١٦٦١ .

عقوبته الجلد والتغريب. وقد جاءت النصوص من القرآن والسنة وأقوال أهل العلم تحذر من هذه الفاحشة، وتتوعد صاحبها بسوء المصير، ومن هذه النصوص:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ۝﴾ [الإسراء: ٣٢]

وقال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢ - ٣].

عن أنس رضي الله عنه أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ من أشراط السّاعة أن يرفع العلم، ويثبت الجهل، ويشرب الخمر، ويظهر الزّنا»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه،قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن»[(٢)].

ومن أجمع أقوال أهل العلم في هذه الجريمة ما قاله ابن القيم رحمه الله قال: «ولمّا كانت مفْسدةُ الزّنا من أعظمِ المفاسد وهي مُنافية لمصلحة نظامِ العالمِ في حِفْظ الأَنساب، وحماية الفروجِ، وصيانة الحرمات، وتوقِّي ما يُوقع أعظم العداوة والبغضاء بين النَّاس، مِنْ إفساد كُلٍّ منهم امرأةَ صاحبِهِ وبِنته وأُختهِ وأُمِّهِ، وفي ذلك خرابُ العالمِ، كانت تلي مفسدةَ القتل في الكِبَرِ، ولهذا قرنَها الله سبحانه بها في كتابه، ورسوله ﷺ في سُنَّته. ولو بَلَغَ

(١) رواه البخاري (٨٠، ٨١، ٥٢٣١، ٥٥٧٧، ٦٨٠٨)، ومسلم ٢٦٧١، والترمذي ٢٢٠٥، وابن ماجه ٤٠٤٥، وأحمد ٢٨٠٦.

(٢) رواه البخاري(٢٤٧٥، ٥٥٧٨،٦٧٧٢، ٦٧٨٢، ٦٨١٠)، ومسلم ٥٧، وابو داود ٤٦٨٩، والترمذي ٢٦٢٥، والنسائي ٤٨٧٠، وابن ماجه ٣٩٣٦، وأحمد ٨٨٩٥.

العبد أنّ امرأته قُتِلت، كان أسهل عليه من أن يبلغه أنها زنت، قال الإمام أحمد: ولا أعلمُ بعد قتْلِ النَّفس شيئًا أعظم من الزِّنا»[١].

آثار الزنا ومضارّه:

للزنا آثارٌ مدمّرة على الفرد والمجتمع نذكر منها ما يأتي:

١- الزّنا جامعٌ لصفات الشرّ والسوء كلّها: حيث ضعف الدّين، وذهاب الورع، وفساد المروءة، وقلة الحياء، وهو مظنة الفقر، وملازمته تجلب غضب الرّبّ تبارك وتعالى.

٢- الزّنا يسلب الزّاني أوصاف الطهارة، كالعفّة، والحياء، والأمانة، ويُلبسُه أضدادها كالفجور والفسق والزّنى والخيانة.

٣- من آثار الزّنا على المجتمعات؛ اختلاط الأنساب، وضيق في الأرزاق، وخراب في الدّيار، وإيقاع الوحشة بين أبناء المجتمع.

٤- أنه سبب لظهور الأمراض السارية والمعدية، كمرض فقد المناعة (الإيدز) الّذي ينتشر في مجتمعات الفجور.

وسائل حفظ الفرج:

أمرت الشريعة بحفظ الفرج من الزنا ونحوه، وأوضحت السُبُل والوسائل الكفيلة لحماية الفرد والمجتمع من خطر الانزلاق في الحرام – عياذًا بالله –، ومن هذه الوسائل ما يأتي:

١– أمرت بالعفة والحياء، وحثّت عليهما، وأوجبت غضّ البصر، وحذرت من إطلاقه، وجعلته بريد الزنا.

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، ص ١٥٠.

٢- أوجبت الحجاب والتستر، وحرّمت التبرج والسفور.

٣- غلَّظت عقوبة الزنا، بحقّ المحصن والأعزب.

٤- حثّت على الإسراع في الزواج للقادر عليه، ورغّبت بالصيام لغير القادر.

الزواج أهم أسباب حفظ الفرج:

اعتبر الإسلام تكثير النّسل وبقاء نوعه المقصد الأساسيّ للزّواج، وجعل حفظ الفرج وكسر الشّهوة المقصد الثاني له، فبالزواج تُحفظ المجتمعات والأفراد، وتتقي طُرق الانحراف، ومقتضيات الرغبات والنزوات الطائشة. ولقد حثّ القرآن الكريم على الزّواج في مواطن عديدة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]

وعدّه ﷺ من سنّته، كما في ردّه ﷺ على الّذين تقالّوا عبادته بأنّه: «يتزوّج النّساء»، وقال معقبًا عليهم: «فمن رغب عن سنّتي فليس منّي»(١).

ومن أعظم محاسن الزواج أنّه يُحصّن الفرج، ويصُونهُ عن الحرام، فإذا ما وقعت عين المرء على ما يُسخط الربّ سبحانه، وزيّنت له نفسه بسوء، تذكر أنّ عنده من الحلال ما يجعله يستغني به عن الحرام، ومن هنا نلحظ عظمة التوجيه النبويّ الكريم للرجال بقوله ﷺ: «إذا أحدكم أعجبته المرأة فوقعت في قلبه، فليعمد إلى امرأته فليُواقعها؛ فإنّ ذلك يردّ ما في نفسه»(٢).

---

(١) رواه البخاري ٥٠٦٣، ومسلم ١٤٠١، والنسائي ٣٢١٧، وأحمد (١٣٧٢٧،١٣٥٣٤).
(٢) رواه مسلم ١٤٠٣، وأحمد (١٤٦٧٢، ١٤٧٤٤).

ثمرات حفظ الفرج وفوائده:

لحفظ الفرج وصيانته من الوقوع في الحرام ثمراتٍ جليلة، وفوائد عظيمة، نذكرها فيما يأتي:

١. حفظ الفرج من أسباب إجابة الدعاء: كما في قصة سارة زوجة إبراهيم عليه السلام مع الحاكم الظالم وخلاصتها: «أنّه أُرسل بها إليه فقام إليها، فقامت تتوضأ وتصلي فقالت: اللهم إن كنتُ آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلط عليَّ الكافر. فغُط حتى ركض برجله». وتكرر الأمر ثلاث مرات، في كل مرة تتوسل إلى الله بإيمانها وحفظ فرجها وفي كل مرة يدفع الله عنها هذا الجبار. فانظر كيف أجاب الله دعوتها حين توسلت إليه بالإيمان وحفظ الفرج!

٢. حفظ الفرج سبب المغفرة والأجر العظيم: قال تعالى:﴿ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ الأحزاب: ٣٥

٣. حفظ القلب من التعلق بالمحرمات.

الكسب الحلال

فطر الله تعالى الخلق على حب المال، ورَكَّب في الطباع الحرص على طلبه وتحصيله؛ لأنّ به قوام حياة الناس وانتظام أمر معايشهم وتمام مصالحهم، وحثّ الشرع الحنيف على السعي في تحصيل المال واكتسابه، وجعله وسيلة لغايات محمودة ومقاصد مشروعة، ورتّب للحصول عليه ضوابط وقواعد واضحة المعالم، لا يجوز تجاوزها ولا التعدي لحدودها، كي تتحقق منه المصالح للفرد وللجماعة. وقد أوجب الإسلام على المسلم أنّ يطلب المال، ويسعى في أسباب تحصيله، مما أذن الله به وشرعه من طرق الكسب الحلال والعمل المباح، حتى يستغني المرء به عن ذل السؤال والحاجة للخلق، فطلب الرزق وتحصيله شرفٌ للمؤمن وعزّة للمسلم، به تُصان الأعراض وتُحفظ الكرامة، وبه يُستعان على كثيرٍ من أعمال البر والخير والطاعة، فنعم المال الصالح للمرء الصالح.

معنى الكسب الحلال:

الكسب لغةً: أصله يدل على الابتغاء والطلب والإصابة، ويطلق على طلب الرزق وتحصيله[1].

الكسب شرعًا واصطلاحًا: هو طلب الرزق وتحصيل الأموال من الطرق المشروعة الحلال.[2]

---

(١) انظر: مقاييس اللغة ج ٥، ص ١٧٩، لسان العرب ج ١، ص ٧١٦.

(٢) انظر: الكسب، محمد بن الحسن الشيباني، ص٣٢.

فضل الكسب وأهميته:

كسب الحلال من أعظم أنواع العبادات، دلّ على ذلك نصوص الكتاب والسنة، فالعمل والكسب ليس عملًا دنيويًا بحتًا، بل هو عملٌ جليل يُؤجر عليه صاحبه متى ما كان فيه متّبعا للشرع، ناويًا من ورائه كل قصدٍ شريف. ويظهر فضل الكسب وأهميته من خلال ما يأتي:

١- عدّ الإسلام الكسب الحلال كالجهاد في سبيل الله: قال تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠]. قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: «سوّى الله تعالى في هذه الآية بين درجة المجاهدين والمكتسبين المال الحلال للنفقة على نفسه وعياله، والإحسان والإفضال، فكان هذا دليلا على أن كسب المال بمنزلة الجهاد؛ لأنه جمعه مع الجهاد في سبيل الله»[١].

٢- حثّ الإسلام على طلب الرزق الحلال عقب الفراغ من العبادة: قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة: ١٠].

٣- إنّ طلب الرزق، والانتفاع بالطيبات من سنن المرسلين والصالحين؛ لذا كان الحثّ عليه وإباحته للعباد. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١].

فعن المقدامِ بن معدي كرب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «ما أكلَ أحدٌ طعاما قطّ خيرا من أن يأْكل من عمل يده، وإنّ نبيّ الله داود عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يأْكل

(١) تفسير القرطبي ج ١٩، ص ٥٥.

من عمل يده»[١].

والحديث يرشدنا إلى فضل العمل باليد، وأنّ داود عليه السلام وهو نبي الله كان يحرص على أفضل الكسب وهو كسب يده، لذلك خصّه الله بالذكر من سائر الأنبياء. ومعلومٌ أنّ الأنبياء عليهم السلام كانوا أصحاب حِرَفٍ ومهن، فكان آدمُ حرّاثًا، وكان نوحٌ نجّارًا، وكان إدريسُ خيّاطًا، وكان موسى ونبينا محمد ﷺ رُعاةً[٢].

٤- الكسب الحلال يصون كرامة الإنسان عن ذلّ السؤال، ويعلّق القلب بالله وحده، فالبركة هي في أكل المال الحلال.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يَحتطِبَ أحدُكُم حُزمَةً على ظهره، خير له من أن يسألَ أحدًا، فيُعْطِيَه أو يمنعَهُ»[٣].

أبرز مجالات الكسب الحلال:

أوجب الإسلام على العباد تنويع المكاسب، بحيث تشمل كل الحاجات البشرية، وذلك وفق قاعدة الشرع: (كل ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)، ويترتب على هذه القاعدة أنّ كلّ ما يحتاجه الناس من النشاط الاقتصادي أو الزراعي أو التجاري، يصبح شرعًا «فرضًا» على الكافة القيام به. وعدّها الإسلام من مجالات الكسب المشروعة التي أمر بها، ونذكر هنا أبرزها:

---

(١) رواه البخاري ٢٠٧٢.

(٢) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطّال ج ٦، ص ٢١٠، وفتح الباري لابن حجر، ج ٤، ص ٣٠٦.

(٣) رواه البخاري (٢٠٧٤، ٢٣٧٤)، ومسلم ١٠٤٢، والنسائي ٢٥٨٤، وأحمد ٩٨٦٨.

١- النشاط التجاري: فأحلّ الإسلام البيع وندب إليه، وجعله من أعظم أبواب الكسب المشروع، قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وجعل النبي ﷺ منزلة التاجر الصدوق من أعلى المنازل يوم القيامة، قال ﷺ: «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء»[١].

٢- النشاط الزراعي: فحثّ الإسلام على زراعة الأرض، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩]، ورغَّب في إحيائها، فعن عائشة رضي الله عنها، عن النّبيّ ﷺ قال: «من أعْمَرَ أَرضًا ليست لأحد فهو أحقّ»[٢]، وعن أنسِ بنِ مالكٍ، رضي الله عنه، قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إن قامتْ على أحدِكُم القِيامةُ، وفي يَدِه فَسِيلةٌ فلْيَغْرِسْها»[٣]. وعن جابر بن عبد الله، رضي الله عنهما، قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَن كانت له فَضلُ أَرضٍ فلْيَزْرعْها، أو لِيَمنَحْها أَخاهُ»[٤].

٣- النشاط الصناعي: فامتدح المهن والحرف وأصحابها، ورغّب في الصناعات المختلفة، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ

---

(١) رواه الترمذي ١٢٠٩، وابن ماجه ٢١٣٩.

(٢) رواه البخاري ٢٣٣٥، وأحمد ٢٨٨٣. ورواه بلفظ: من أحيا أرضًا.. أبو داود ٣٠٧٣، والترمذي ١٣٧٨، وأحمد ١٤٢٧١.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢٠/ (١٢٩٠٢) بإسناد صحيح.

(٤) أخرجه مسلم (١٥٣٦).

كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣]، وقال سبحانه: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ [الكهف: ٩٥ - ٩٦].

الوسائل المعينة على الكسب الحلال:

وضع الإسلام مجموعة من الوسائل التي تُعين المرء في حياته على كسب الحلال، والقناعة به، ومن هذه الوسائل ما يأتي:

١- اليقين بأنّ الله قد تكفل بأرزاق العباد، وفاضل بينهم في الأرزاق، قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]. وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ﴾[النحل: ٧١]

٢- أن يدرك العبد أنّه مسؤول عن ماله يوم القيامة: فعن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس، عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما علم»(١).

٣- أن يدرك المرء بأنّ الفقر ليس عيبًا، وأنّه ليس بملام في ذلك: فقد أخرج الجوع أكرم ثلاثة على الله من بيوتهم، فعن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ذات ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر، فقال: «ما أخرجكما من بيوتكما هذه السّاعة؟» قالا: الجوع يا رسول الله. قال: «وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الّذي أخرجكما»(٢).

---

(١) رواه الترمذي ٢٤١٦.

(٢) رواه مسلم ٢٠٣٨، والترمذي ٢٣٦٩، وأحمد ١٠٦٧٩.

آثار الكسب الحلال:

للكسب الحلال والحرص عليه ثمراتٌ وآثار تعود على الفرد والمجتمع، نذكر منها ما يأتي:

١- الكسب الحلال مظنة قبول الأعمال ونمائها: فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ " أيها الناس، إنّ الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإنّ الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١ ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال: ﴿ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ [البقرة: ٥٧]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، ثم يمد يده إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنّى يُستجاب لذلك»[1].

قال ابن رجب رحمه الله: «في الحديث إشارةٌ إلى أنَّه لا يَقبل العمل ولا يزْكو إلَا بأكل الحلال، وإنّ أكل الحرام، يُفسدُ العمل، ويمنع قبوله»[2].

٢- الكسب الحلال مظنة إجابة الدعاء: كما في حديث إنّ الله طيب لا يقبل إلّا طيبًا.

٣- الكسب الحلال طريقٌ للنفع العام في المجتمعات: فالزراعة مثلًا كسب طيب، لأنّ فيها تقديم الغذاء والكساء مما تخرج الأرض من زروع وثمار.

٤- الكسب الحلال طريق مبارك للتعفف والاستغناء عن الناس؛ فعن

---

(١) رواه مسلم ١٠١٥، والترمذي ٢٧٩٩، وأحمد ٨٣٤٨.

(٢) جامع العلوم والحكم، ج ١، ص ٢٦٠.

عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن النبي ﷺ: «إنّ أطيب ما أكلتم من كسبكم، وإنّ أولادكم من كسبكم»[1].

خطر الكسب الحرام:

كما أنَّ الإسلام أمر بالكسب الحلال الطَّيِّب وحثَّ عليه، فإنّه نهى عن الكسب الحرام الخبيث، وحذَّر منه وتوعَّد عليه. وإنّ مما يؤسف له عظيم الأسف أنّ في الناس اليوم من لا يتورع عن اكتساب المال الحرام وتحصيله من أي طريق وعبر أية وسيلة، فليس لهم همٌّ إلا تكديس الأموال وتضخيم الثروات، فالحلال في عرفهم ما قدروا عليه، والحرام ما تعذر وصولهم إليه، يسلكون في طلبه مسالك معوجَّة، وطرقًا مظلمة، وسبلًا مشبوهة، بل قد لا يكترثون بالمجاهرة بالمكاسب الخبيثة، والاستيلاء على الأموال المحرمة التي لا شك في تحريمها، حتى أصبح هذا المسلك المشين لشيوعه وانتشاره ظاهرة مألوفة بين الأفراد والدول.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]

وحرّم الإسلام كلّ صنوف الكسب غير المشروع، وتوعد فاعله بالعذاب في الدنيا والآخرة، ومن صور الكسب الحرام التي حرمها الإسلام نذكر لكم ما يأتي:

---

(١) رواه ابو داود ٣٥٣٠، والترمذي ١٣٥٨، والنسائي ٤٤٥٠، وابن ماجه ٢٢٩٠، وأحمد ٢٤١٣٥.

١- الربا: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩]

٢- حرّم السرقة: قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٣٨]

٣- حرّم الغشّ بكل صوره: قال ﷺ: «من غشّ فليس منّا»[١].

٤- حرّم الرشوة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي في الحكم»[٢].

وحرّم الإسلام كذلك، تطفيف المكاييل والموازين، والخداع في البيوع والمعاملات، وإنفاق السلع بالأيمان الفاجرة، وأكل أموال اليتامى والقاصرين، والاستيلاء على الحقوق والممتلكات، واختلاس الأموال الخاصة والعامة، بأساليب مختلفة وسُبلٍ متنوعة، بلا خوفٍ ولا وجل من الله، ولا حياءٍ من عباده، وعدّها كلّها من الكسب المحرّم.

آثار الكسب المحرّم:

للكسب المحرّم بكل أشكاله، وكافة صوره، آثار سيئة على المجتمعات والأفراد، نذكر منها ما يأتي:

١- الكسب الحرام يُردي صاحبه في الدُّنيا والآخرة، ويمحق بركة رزقه.

---

(١) رواه مسلم بلفظ (من غشّ فليس منّي) ١٠٢، وأبو داود ٣٤٥٢، والترمذي ١٣١٥، وابن ماجه ٢٢٢٤، وأحمد ٢٩٩٢.

(٢) رواه ابو داود ٣٥٨٠، والترمذي ١٣٣٦، وابن ماجه ٢٣١٣، وأحمد ٩٠٢٣.

٢- تتحلل به المجتمعات والأفراد من المروءة ومكارم الأخلاق، وتحصل الأزمات المالية المستحكِمة في المجتمعات والدول.

أخي الداعية: أيًا كان عملك، وأيًا كان موقعك، موظفًا، أوعاملًا، أوتاجرًا، أوصانعًا، حقٌّ عليك أن تتحرى الحلال، في كسبك ومطعمك، وأن تبتعد عن المشتبه به. احفظ حقوق الناس، وأنجز أعمالهم، وأوفِ بالعقود والعهود، واجتنب الغش والتدليس، والرشاوى، والمماطلة والتأخير، واتقِ الله في ذلك كلّه، فإنّ الحلال كما درستَ هنيءٌ مريءٌ، يُنير القلوب، ويُصلح الأحوال. والحرام مؤذنٌ بخراب الديار، وذهاب أهله وآكليه.

الإحسان

من المقامات الرفيعة والمنازل الجليلة في هذا الدين؛ منزلة الإحسان. فهي لُبّ الإيمان وحقيقته، وروحه وكماله، ذلك أنّها جامعةٌ لمقامات الدين المختلفة من مراقبةٍ لله تعالى، ومحبته وخشيته والإخلاص إليه. والإسلام يهدف إلى أن تُطبَع شؤون الأمّة، وحياة أفرادها بطابع الإحسان الشامل بكلّ أنواعه وآفاقه ومستوياته الفردية والجماعية. ويهدف كذلك إلى أن يكون هذا الإحسان منهج حياة للأفراد والجماعات في الأعمال والأقوال والتصرفات، بدءًا من العلاقة مع الله الخالق ﷻ، إلى علاقة الدولة بأفرادها، وعلاقة الفرد بأسرته ومجتمعه.

معنى الإحسان:

الإحسان لغة: ضدّ الإساءة، يُقال: رجل محسن. والمحاسن في الأعمال: ضدّ المساوئ. قال تعالى: ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ [الرعد: ٢٢]، أي يدفعون بالكلام الحسن ما ورد عليهم من سيّء غيرهم.

الإحسان اصطلاحا:

معنى الإحسان اصطلاحا يختلف باختلاف السّياق الذي يرد فيه، فإذا اقترن بالإيمان والإسلام كان المراد به: الإشارة إلى مراقبة الله تعالى وحُسن طاعته، وقد فسّره النّبيّ ﷺ بذلك عندما سأله جبريل عليه السلام: ما الإحسان؟ فقال: "الإحسان أن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك".[1]

---

(١) رواه البخاري (٥٠، ٤٧٧٧) واللفظ له، ومسلم ٨، وأبو داود ٤٦٩٥، والترمذي ٢٦١٠، والنسائي ٤٩٩٠، وابن ماجه ٦٣، وأحمد ٣٦٧.

وهذا الإحسان بهذا المعنى هو: أن يعبد العبد ربه عبادة من يراه رأي العين، عبادة يستحضر فيها قربه ووقوفه الحقيقي بين يديه، ممّا يوجب خشيته وتعظيمه سبحانه.

وعليه فإنّ الإحسان يشملُ الأمور الآتية:

١- عبادةُ الله تعالى عبادةَ من يتقين بأنّه سبحانه يراه.

٢- الإحسان إلى الخَلْق: وهو بذل جميع المنافع، لكلّ مخلوق.

٣- إحسان المرء في عمله وإتقانه وتجويده.

الإحسانُ صفةُ الربّ ﷻ:

الله ﷻ متّصفٌ بالإحسان، فهو محسنٌ في تكوين خلْقه وابداعهم، ومحسنٌ إلى مخلوقاته، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ﴾ [السجدة: ٦ - ٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢ – ١٤].

ومن إحسانه سبحانه أنّه يحبّ المحسنين من عباده، قال تعالى: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٩٥﴾ [البقرة: ١٩٥].

وأمر عباده بالإحسان، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

وهو سبحانه المحسن إلى عباده بالنعم؛ فقد أنعم عليهم وأحسن بنعم لا تعدّ ولا تحصى، ومن أعظم إحسانه سبحانه؛ إحسانه إلى المُسيء، وعفوه عمن ظلم، ومغفرته لمن أذنب، وتوبته على من تاب إليه، وقَبُول من أقبل إليه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥].

ومن إحسانه سبحانه أنّه خَلقَ الإنسانَ في أحسن تقويم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، وصوّره فأحسن صورته، قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التغابن ٣].

وإحسانُ الله تعالى للإنسان مرافقٌ له عبر مراحل خلقه كلّها؛ فقد أحسن إليه وهو في بطن أمّه، ثمّ عَمَّه بإحسانه طفلًا فأنبته نباتًا حسنًا، وأحسن إليه شابًا عاقلًا، إلى أن صار شيخًا مسنًا.

ومن إحسانه سبحانه أنّه قد انتدب عباده إلى هذا الخُلُق الفاضل، وطلب منهم الإحسان لأنّه أحسن إليهم، قال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

صور الإحسان:

الإحسان له صور متعددة، فهو يشتمل على كل خير من المشاعر والأقوال والأفعال، فهو حبٌّ ونصيحة، وبرٌّ ورحمة، وكلمة طيبة، ومدّ يد العون، وقضاء الحوائج ودفع النوائب. ومن هذه الصور نذكر ما يأتي:

الإحسان في العبادة:

أعظم ما يُحسنه العبد ويتقنه؛ عبادتُه لربه ﷻ، وهذا ما أرشدنا إليه

المصطفى ﷺ بقوله: " أن تعبد الله كأنك تراه"، أي أن تُحسن العمل الذي أمر به سبحانه، كأنك تراه؛ فتكون حاضر القلب، كما لو كنت تشاهد ربك سبحانه، فتستحضر عظمته، وجلاله، وتستشعر أنك في حاجة إلى رحمته ومغفرته، "فإن لم تكن تراه فإنه يراك": وهذا يعني أنّك إن لم تستطع أن تراه، فاعبده وأنت متيقّنٌ باطلاعه عليك، ورؤيته لك.

ومن إحسان العبادة أن تكون خالصة لله تعالى، وعلى هدي النبي ﷺ دون زيادة ولا نقصان. ومن إحسانها كذلك أن يُتقن العبد صلاته وزكاته وصيامه وحجّه، فيؤديها تامّة كاملة بأركانها وواجباتها وسننها، وأن يؤدّيها في أوقاتها المحددة، وأن ينوي بأدائها صيانة قلبه وتزكية نفسه.

الإحسان إلى العباد:

جعل الله نفع الناس والإحسانَ إليهم عبادة عظيمة؛ وقد جبلت القلوب على حبّ من أحسن إليها، وأخبرنا سبحانه أنّه يحبُّ المُحسنين، وأنَّه مع المُحسنين، وأنّه يَجزي المُحسن بالإحسان. والإحسان إلى الغير، ونفع الناس والسَّعي في كشف كروبِهم من صفات الأنبياء والرُّسل؛ وفي مقدمتهم إمامُهم ﷺ فكان كما وصفته أُمُّنا خديجة - رضي الله عنها - "إنَّك لتَصِل الرَّحِم، وتحمل الكلّ، وتَكْسِبُ المعدوم، وتَقْري الضيف، وتُعين على نوائب الحقِّ"(١).

ويكون الإحسان إلى الخلق بالشفاعات، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم العلم النافع، وقضاء حوائج الناس، وعيادة مرضاهم،

(١) رواه البخاري ٣، ٤٩٥٣، ٦٩٨٢، ومسلم ٢٥٢.

وتشييع جنائزهم، وإرشاد ضالهم، وإعانتهم في أعمالهم، والعمل لمن لا يحسن العمل منهم.

ومن الإحسان الذي أمر الله به معاملةُ النَّاس بمقتضى أحكام الشرع وآدابه، فيعاملهم بالوفاء والصِّدق والعدل والرَّحمة والتواضع والصَّبر والاحتمال، ويعاملَهم بما يحبُّ أن يعاملوه به.

أَحسن إلى النّاس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسانُ

قِيل لبعض الحكماء: أيُّ شيءٍ من أفعال النّاس يُشبهُ أفعال الإله؟ قال: الإِحسانُ إلى النّاس(١).

إحسان الموظف في عمله:

من الأمور التي أوجب الله تعالى الإحسان فيها: العمل؛ سواء كان هذا العمل في أمور الدين أم في أمور الدنيا.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ [المؤمنون: ٥١].

والإسلام يَدعو إلى إتقان العمل والإحسان فيه، ويعدُّ ذلك أمانة ومسؤوليّة، فليس المطلوب في الإسلام مجرَّدَ القيام بالعمل، بل لا بُدَّ من الإحسان فيه وتجويده، وأدائه بمهارة وإتقان. والقرآن الكريم يقرن بين الإيمان والعمل في آياتٍ كثيرة، للدلالة على أثر الإيمان في توجيه الأعمال؛ لتحقيق النفع منها والإتقان فيها.

وممَّا يُعِين العامل والأجير على إتقان العمل وإحسانه ما يأتي:

---

(١) أدب الدنيا والدين ص ٣٣٦ .

١- استحضار العبد مراقبة الله ﷻ. فيوقن أنّ الله رقيبٌ عليه. قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ۝٥٢﴾ [الأحزاب: ٥٢].

٢- استشعار أنّ العمل مسؤولية وأمانة: فيحافظ على هذه الأمانة، ويرعاها حقّ رعايتها، دون تفريق بين العمل في القطاع العام أو القطاع الخاصّ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

٣- الإخلاص في العمل، وعدم التهاوُن فيه: فهو الباعث الذي يحفِّز العامل على إتقان العمل، ويدفعه إلى إجادَتِه، وحُبّه، وتحمل المصاعب فيه.

٤- تجنب الغش والخديعة فيه: فلا إهمال ولا تقصير؛ بل هو مسؤولية وأمانة، وقد توعد الله من يطفف على الناس حقوقهم بالعذاب الشديد، ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ١ – ٦].

آثار الإحسان وثمراته:

للإحسان آثار عديدة تعود على الفرد والمجتمع نذكر منها ما يأتي:

١ – الإحسان سبب لدخول الجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ۝١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ۝١٦﴾ [الذاريات: ١٥ – ١٦]. فكرامة دخولهم الجنة سببها أنهم كانوا محسنين في أعمالهم، في الدنيا فاستحقوا هذا النعيم المقيم(١).

---

(١) انظر: تفسير البغوي ج ٧، ص٣٧٢، تفسير القرطبي ج ١٧، ص٣٥

٢- ثبوت معيّة الله ﷻ لأهل الإحسان، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

٣- أهل الإحسان يتنعمون بلذة النظر إلى وجه الله ﷻ في الآخرة، والظفر بمحبته، قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦].

فالحُسنى هي الجنّة، والزيادة هي: النظر إلى وجه الله تعالى[١]. عن صهيب رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: "إذا دخل أهل الجنة الجنة قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيّض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أُعطوا شيئًا أحبّ إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ ثمّ تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ [يونس: ٢٦][٢].

٤- تماسك بنيان المجتمع وحمايته من الخراب، ووقايته من الآفات الاجتماعية.

٥- شيوع المحبة والتراحم والتناصر في المجتمع: فالمجتمع الذي ينشأ أبناؤه على الإحسان مع الخالق ومع الخلق هو أسعد المجتمعات.

٦- التمكين في الأرض لأهل الإحسان من الدعاة والمصلحين وغيرهم. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٦].

---

(١) انظر: تفسير الطبري ج ١٥، ص ٦٢، تفسير ابن عطية ج ٣، ص ١١٥

(٢) رواه مسلم ١٨١ واللفظ له، والترمذي ٢٥٥٢، وابن ماجه ١٨٧، وأحمد ١٨٩٣٥.

خاتمة:

أخي الداعية الحبيب: إنّ المأمول منك بعد أن تعرفت على الإحسان وصوره وفضله؛ أن تكون مُحسنًا في عباداتك ومُعاملاتك، وجميع أمورك الخاصّة والعامّة، وأن تبذُل الإحسان لكلّ أحد، فهو طريق نجاتك، وتحقيق سعادتك، ومحل كدّك ونصبك، وتذكر دومًا أنّ أول من ينعم بخير هذا الإحسان هو أنت، فلا تبخل على نفسك، وقدّم لها ما يسرّك. واعلم أُخيّ أنّ سفرنا طويل، وزادنا قليل، والميزان دقيق، والصراط منصوب على متن جهنم، ونحن سائرون عليه، فإمّا ناج أو هالك، فأحسن يُحسنِ الله إليك، فالجزاء من جنس العمل.

أحوال القلوب

القلب ملكٌ والأعضاء جنوده فإذا صلَح الملك صلَحت جنوده، وإذا فسد الملك فسدت جنوده. وهذا القلب تدور عليه سعادة المرء في الدنيا والآخرة، كما أنّ الشقاء والتعاسة، والقلق والهموم التى تعيشها البشرية اليوم إنما مردّها إلى مرض هذا القلب وفساده وضيقه. والقلب هو محل الإيمان والتصديق، واليقين والتعظيم لربّ العالمين، فهو المشتمل على أعظم ما يُتَعبّد الله به ألا وهو أعمال القلوب، كالتوكل والخوف والرجاء وغيرها؛ لأجل ذلك كان القلب محل نظر الله من العبد، فعن أبى هريرةﷺ أنّ النبى ﷺ قال: "إنّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم".[١]

والواجب على الداعية المسلم أن يتعاهد قلبه، بتصّفيته من أمراضه المختلفة كالنفاق والحسد والكِبْر، وأن يُصلح قلبه ويرممه من القسوة والفساد، لينعم بالهناء والراحة في الدنيا والآخرة. وفي هذه الصفحات نتعرف على هذا القلب، ووظيفته، وأقسامه، وأسباب مرضه، ووسائل شفائه.

معنى القلب:

لفظ القلب في الشرع والاصطلاح على معنيين اثنين:

١- اللحم الصنوبريّ الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر.

---

(١) رواه مسلم ٢٥٦٤ واللفظ له، وأحمد٧٨٢٧

٢- لطيفة ربانيّة روحانيّة، لها تعلقٌ بهذا الجسم[1].

وهذا المعنى الثاني هو محور حديثنا في هذه الصفحات.

وقد ورد لفظ القلب في القرآن الكريم على معانٍ ثلاثة:

الأول: بمعنى العقْل، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧][2].

الثاني: الرأي والتدبير، قال تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤][3].

الثالث: حقيقة القلب (القطعة اللحمية التي فيها دم) والتي هي في الصَّدر. قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦][4].

وظيفة القلب:

القلب سيّد الأعضاء ورأسها، وهو أساس صلاح الأعضاء، فعن النعمان ابن بشير رضي الله عنه، أنّ النبي ﷺ قال: "ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صَلَحت صَلَح الجسد كلّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلّه ألا وهي القلب" [5].

وقد نسب الله تعالى للقلب في أكثر من موضع أنّه محلُّ التعقّل والتدبر

(١) انظر: إحياء علوم الدين ج ٣،ص ٣،مجموع الفتاوى لابن تيميّة ج ٩، ص ٣٠٣، التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص ٤١٤.

(٢) انظر: تفسير الطبري ج ٢٢،ص ٣٧٢، تفسير الماوردي (النكت والعيون) ج ٥، ص ٣٥٥.

(٣) انظر: تفسير البغوي ج ٨، ص ٨١، تفسير ابن كثير ج ٨،ص ٧٥ .

(٤) انظر: القرآن وإعرابه للزجاج ج ٣، ص ٤٣٢، التحرير والتنوير ج١٧، ص ٢٩٠.

(٥) رواه البخاري ٥٢ واللفظ له، ومسلم ١٥٩٩، وأحمد ١٨٣٧٤.

والاعتبار، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، وجعل الله سبحانه القلب موضع التمييز والاختيار، ومكان استحقاق الجزاء، قال تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٥].

وحيثما ذكر القلب في القُرآن الكريم فهو إشارة إلى التعقُّل والتعلُّم، وحيثما ذكر الصَّدر فإشارة إلى الشهوات والهوى والغضب ونحوها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ [الأعراف: ١٧٩].(١)

أنواع القلوب في القرآن الكريم:

لمّا كان القلب يوصف بالحياة وضدّها، انقسم بحسب ذلك إلى أنواعٍ ثلاثة، ذكرها لنا القرآن الكريم، وهي كالآتي:

١- القلب السليم.

٢- القلب المريض.

٣- القلب الميت.

النوع الأول: القلب السليم:

أمّا القلب السليم، فقد قال تبارك وتعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٧ – ٨٩].

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين ج ٣، ص٣، مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ٩، ص ٣٠٣، التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص ٤١٤.

فالقلب السليم هو: القلب الخالي من الآفات الظاهرة والباطنة. والسليم هو السالم، فسليم القلب هو من صارت السلامة صفة ثابتة له [١].

وسلامة القلب هي سلامته من الاعتقادات الفاسدة، والإرادات الفاسدة[٢].

والقلب السليم هو الذي أخلص العبوديّة لله تعالى؛ إرادةً ومحبةً، وتوكلا، وإنابة، وإخباتا، وخوفًا، ورجاءًا، فهذه حقيقة سلامة القلب التي تضمن للعبد النجاة والسعادة بإذن مولاه[٣].

العلامات الدالّة على سلامة القلب:

للقلب السليم علاماتٌ كثيرة تميّزه عن غيره من القلوب، نذكر منها ما يأتي:

١- أنّه قلبٌ تائبٌ آيبٌ إلى الله تعالى. دائمُ الرضا بالله وعن الله؛ فإنّ من رضي بالله ربًّا رضي عنه في كل ما يُشرّع وما يقضي وما يفعل.

٢- أنّه قلبٌ معلّقٌ بالآخرة.

٣- أنّه قلبٌ خالٍ من الأمراض القلبية، كالحسد، والحقد، والغلّ، والرياء، وغيرها من الآفات القلبية.

٤- القلب السليم يكون في سعادة وسرور وهناء؛ إذا كان عامرًا بذكر الله وتلاوة أوراده من القرآن الكريم والأذكار في يومه وليلته.

---

(١) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ج ٥، ص ١٩٥٢، المفردات في غريب القرآن ص٤٢١، لسان العرب ج ١٢، ص ٢٩١ .

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيميّة ج ١٠، ص٣٣٧.

(٣) انظر: العبودية لابن تيمية ص ١٣٣، الفتاوى الكبرى لابن تيمية ج ٥، ص ٢٠٨، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيّم ج١، ص ٨ .

الوسائل المُعينة على سلامة القلب:

أمّا الوسائل المعينة على تحقيق سلامة القلب فنذكر منها ما يلي:

١- الإخلاص لله تعالى في الأقوال والأفعال، والرضا والتسليم لقضائه وأقداره.

٢- الإقبال على القرآن الكريم قراءة وتدبرًا.

٣- الاستعانة بالدعاء أن يرزقه الله تعالى قلبًا سليمًا مؤمنًا به.

٤- التحلّي بالأخلاق الإسلامية، كالصدق والوفاء، والاستقامة، وحُسن الظن بالآخرين، والتماس العذر لأخطائهم، والسعي في نصحهم وإصلاحهم.

٥- ذكر الموت واليوم الآخر؛ فإنّه من أعظم الوسائل لرقّة القلب.

النوع الثاني: القلب المريض:

أمّا النوع الثاني فهو القلب الذي غزته الشبهات والشهوات حتى شغلته عن الطاعات، فأصبح معتلًا فاسدًا. وأمراض القلوب على نوعين:

١- أمراض شبهات: وهذه أشدّ أنواع الأمراض وأخطرها، وقد بيّن العلماء العلامات التي تدلّ على مرض القلب فذكروا منها: اتباع المتشابه من القران، وإظهار الإيمان باللسان دون مواطأة القلب، والتمرد على أحكام الله ورسوله، والمسارعة في موالاة الكافرين، وغيرها.

وفي عصرنا الحاضر، نشأت شبهات كثيرة كالتياراتٍ الفكريّةٍ الضالّة؛ كالعلمانيّة والإلحاد، والتشكيك في السنّة النبويّة.

٢- أمراض الشهوات: وأمّا أمراض الشهوات فيدخل تحتها كل مشتهىً، سواء أكان مباحًا أم محرّمًا.

والذي يفسد القلب ويمرضه هو الشهوات المحرمة، كالزنا وبواعثه من اختلاطٍ محرم أو نظرة محرمة، وكأكل الحرام، والغش، والرياء والسمعة وحبّ الظهور، والحسد، والغلّ، والحقد، والكبر، والغرور، وغيرها من الأمراض الكثيرة، عافانا الله جميعاً منها[١].

علامات مرض القلب:

مرض القلب له علامات كثيرة تدل عليه، نذكر منها ما يأتي:

١- التهاون في طاعة الله ورسوله.

٢- التهاون في قبول الحق بعد معرفته.

٣- الغفلة: قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [الكهف: ٢٨].

٤- التفريط في العبادات، والإخلال بالسنن والنوافل والأوراد.

أسباب أمراض القلوب:

هناك كثير من الأسباب التي تؤدي إلى فساد القلب وقسوته وغلظته نذكر منها:

١- كثرة الذنوب والمعاصي: فالذنوب للقلب بمنزلة السموم؛ إن لم تهلكه أضعفته ولا بدّ، وإذا ضعفت قوته لم يقدر على مقاومة الأمراض. ومن أدمن على الذنوب واستسهلها بلغ به الحال إلى مرض القلب وتبلده. قال ثابت بن قرّة: راحة الجسم في قلة الطعام، وراحة الروح في قلة الآثام، وراحة اللسان في قلة الكلام.

---

١ انظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية ج ٣، ص ١٢٤، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ج ١، ص ١٠.

وقال عبد الله بن المبارك:

رأيت الذنوب تُميت القلوب وقد يورث الذُّل إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب وخيرٌ لنفسك عصيانها

٢- الغفلة عن ذكر الله وتدبر القرآن: فلقد أخبر ربنا سبحانه أن الانتفاع بالقرآن والإنذار به إنّما يحصل لمن هو حيّ القلب، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧﴾ [ق: ٣٧]. أي حاضر القلب ليس بغافلٍ ولا ساهٍ[1].

٣- الانغماس بالدنيا والانهماك في طلبها، وكثرة الأماني وطول الأمل: قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧ – ٣٩].

٤- الإسراف في المباحات، وفضول المخالطة: كالأكل والشرب والنوم والكلام وكثرة مخالطة الناس لغير فائدة، وفضول النظر؛ فإنّ تجاوز المرء حاجته منها له أثر على قلبه. قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

٥- تشرُّب النفس للأخلاق الذميمة: كالكِبر، والحسد، والضغينة، فإنّها وغيرها من الأخلاق المذمومة سبب في مرض القلب – عياذاً بالله –.

وسائل شفاء القلوب المريضة:

علاج القلوب، وعلاج الشبهات، وعلاج الجهل بالله ﷻ، وعلاج الغفلة عن الدار الآخرة، وما يعتري الناس من ظلمات الضلال والكفر والإلحاد، والشك والزيغ والعناد؛ كلّ هذا لا يعالجه علماء الطب، ولا علماء النفس،

---

١ انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج ٥، ص ٤٨، تفسير البغوي، ج ٧، ص ٣٦٤ .

ولا علماء الاجتماع، إنما يعالجه الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، بما أنزل الله تعالى عليهم من رسالات. خالق الإنسان الذي يعلم – سبحانه – مايصلح القلب وما يفسده ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤].

وعلاجها بأن تكون القلوب عارفة بربها وفاطرها، وبأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وأحكامه، وأن تكون مؤثرة لمرضاته ومحابّه، متجنبة لمناهيه ومساخطه، ولا صحة لها ولا حياة إلا بذلك.

النوع الثالث: القلب الميت:

وأمّا النوع الثالث فهو: القلب الميت – نسألُ الله العافية–: وهو القلب الذى لا حياة فيه، فهو لا يعرف ربه، ولا يعبده بأمره وبما يحبه ويرضاه[١]. وكلّما ازدادت أمراض القلب وتمكَّنت منه مات القلب.

العلامات الدالّة على موت القلب:

للقلب علاماتٌ يعرف بها، نذكر منها ما يأتي:

١- الغفلة عن ذكر الله تعالى: فعن أبي موسى رضي الله عنه، قال النبي صلى الله عليه وسلم "مثل الَّذي يذكرُ ربّه، والّذي لا يذكرُ ربّه، مثل الحيّ والميّت"[٢].

٢- ترك التمسك بالقرآن والسنّة: قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الأنعام: ٢٥].

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله في بيان معنى هذه الآية: "والأكنّة: الأغلفة التي تحول دون أن تتفتح هذه القلوب فتفقه، والوقر: الصمم الذي يحول دون هذه الآذان أن تؤدي وظيفتها فتسمع، وهذه النماذج البشرية

---

١ انظر: إغاثة اللهفان ج١، ص ٧ .

٢ رواه البخاري ٦٤٠٧ واللفظ له، وعند مسلم بلفظ: مثل البيت ٧٧٩ .

التي تستمع ولكنها لا تفقه، كأن ليس لها قلوب تدرك وكأن ليس لها آذان تسمع؛ نماذج مكرورة في البشرية في كل جيل وفي كل قبيل، في كل زمان وفي كل مكان"[١].

صاحب القلب الميّت يأمرِ بالمنكر وينهي عن المعروف، قال الله تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧].

هذا وقد جمع الله سبحانه بين هذه القلوب الثلاثة في قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٢ - ٥٤]. **فجعل الله ﷻ** القلوب في هذه الآيات ثلاثة: قلبين مفتونين، وقلبًا ناجيا، فالمفتونان: القلب الذي فيه مرض، والقلب القاسي. والناجي: القلب المؤمن المخبت إلى ربه. وهو المطمئن إليه الخاضع له، المستسلم المنقاد[٢].

خاتمة:

أخي الداعية الحبيب: المأمول منك بعد قراءة هذه الصفحات أن تتعاهد قلبك وتُصْلِحَهُ، وأن تسلُك السُبُل التي تُطهّره وتزكيه، حتى تنجو بإذن الله في يومٍ لا ينفع العبد إلّا سلامة قلبه وصلاحه.

---

١ في ظلال القرآن ج ٤، ص ٢٨٢ .

٢ انظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ج ١،ص ١٠ .

محاسبة النفس

الداعية الحازم المؤمن بالله وباليوم الآخر لا يغفل عن محاسبة نفسه، والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها، وخطراتها، فكل نَفَسٍ من أنفاس العمر لا يُعوّض، وإضاعة هذه الأنفاس ممّا يجلب هلاك صاحبها.

والمحاسبة التي نريدها هي أن ينظر الداعية في رأس ماله (أعماله)، وفي الربح وفي الخسران؛ ليتبين له الزيادة من النقصان؛ فرأس المال في دينه الفرائض، وربحه النوافل والفضائل، وخسرانه المعاصي. وقد فطن الإمام المؤسس (حسن البنّا) إلى هذا المعنى فجعل للمحاسبة وردًا فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "استعراض أعمال اليوم ساعة النوم، فإن وجد الأخ خيرًا فليحمد الله، وإن وجد غير ذلك فليستغفر، وليسأل ربه، ثمّ يُجدّد التوبة وينام على أفضل العزائم" [1]. ولقد جعل رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الورد علاجًا لما يُلاقي الدّاعية خلال ممارسته العمل الدعويّ من أمراضٍ قلبية، كالعُجْب والرياء والتطلع إلى الرياسة، والكبر عن أخذ النصيحة وما شابه كل ذلك. فكان من أوجب واجبات الأخ الداعية أن يُراجع نفسه ويُصفّيها ممّا علق بها من شوائب، ويعزمَ على صقلها وتنظيفها.

معنى محاسبة النّفس:

يدور معنى كلمة المحاسبة في معاجم اللغة على أنّها مصدر يدلّ على العدّ والحساب. والمحاسبة: عدّك الشّيء، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ

---

١ انظر: مجموعة الرسائل، ص٢٢٥.

﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء١٤]، أي كفى بك لنفسك محاسبا[١].

محاسبة النّفس اصطلاحا:

قال الإمام الماورديّ: محاسبة النّفس: أن يتصفّح الإنسان ما صدر من أفعاله في ليله ونهاره، فإن كان محمودًا أمضاه وأتبعه بما شاكله وضاهاه، وإن كان مذموما استدركه إن أمكن، وانتهى عن مثله في المستقبل[٢].

وقال ابن القيم: محاسبةُ النّفس، أن تَعْرِفَ ما لها وما عليها. ولا يدعُها تسترسلُ في ملذاتها وشهواتها استرسالًا، فيُضيِّعُها ويفتنها[٣].

أهميّة محاسبة النّفس:

طبيعة النّفس أنّها كثيرة التقلّب والتلوّن، تعصف بها الأهواء وتؤثر فيها المؤثّرات، فتجنح لها وتنقاد إليها، وهي في أصلها تأمر العبد بالسوء كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣].

فالخطر كلّ الخطر على المرء إذا لم يستوقف نفسه عند حدّها ويلجمها بلجام التقوى والخــوف من الله، ويأطرها على الحقّ أطرًا.

وتظهر أهميّة محاسبة النّفس من خلال ما يأتي:

١- أنّ الله تعالى أمر الإنسان بمحاسبة نفسه فقال: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧ – ١٠].

---

١ انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ج١، ص ١١٠، مقاييس اللغة ج٢، ص ٥٩، لسان العرب ج١، ص ٣١٣.

٢ أدب الدنيا والدين، بتصرف ص ٣٥٦.

٣ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، بتصرف، ج ٢، ٤٧٧.

٢- تُذكّر العبد بحقّ الله تعالى عليه وعظيم فضله.

٣- تعريف النّفس بمكانتها الحقيقية، من خلال معرفة عيوبها ومثالبها.

٤- تقويم سلوك العبد وصقل شخصيته وتهذيبها.

أقسام محاسبة النّفس:

تقسم عملية محاسبة النفس إلى قسمين:

القسم الأول: محاسبة النّفس قبل العمل: وذلك بالنظر إلى هذا الفعل: هل هو موافق للكتاب والسنّة فيعملَه، أو غير موافقٍ فيتركَه؟ ثم ينظر في مقصده من هذا العمل، هل يريد به وجه الله تعالى فيمضيه؟ أم يريد به غير ذلك فيُنشئ له نيّة صالحة.

القسم الثاني: محاسبة النّفس بعد العمل: وهو أمران:

الأمر الأول: محاسبة النّفس على طاعاتٍ قصَّر العبد فيها؛ كنقص الإخلاصِ في العمل، أو تقصيرٍ في أداء المطلوب، كتركه للورد اليومي من التلاوة والأذكار، والسنن الرواتب، أو صلاة الجماعة، ليستدرك هذه الطاعات.

الأمر الثاني: محاسبة النّفس على كلِّ عملٍ كانَ ترْكُهُ خيرًا من فعله؛ واجتنابه خيرًا من إتيانه، كالمباحات وفضول الأشياء. أو مخالفات شرعية لا يجوز له إتيانها فيعاهد نفسه على اجتنابها.

مجاهدة النّفس ومشارطتها:

هناك مقامات أخرى تُهذّب النّفس، وتحملها على الفضائل واجتناب الرذائل، منها: المجاهدة والمشارطة.

فالمجاهدة هي: حمل النّفس على أداء الواجبات، والتزام المكارم والمروءات، وترك المحرمات والترفع عن السفاسف والمكروهات.

وأشدّ شيء على النّفس مجاهدتها، وهذه المجاهدة لا بدّ لها من صبر وثبات أمام طغيان هذه النّفس وتفلّتها.

وامّا المشـارطة: فهي مشارطة النّفس بفرض الشروطِ الصالحة عليها وإرشادِها إلى طريقِ الفلاح، والتضييقِ عليها في مسالك الشرّ. ومثل ذلك كمثل التاجر يستعينُ بشريكهِ في التجارةِ طلبًا للربح، ويشارطهُ ويحاسبه، كذلك النّفس تحتاج إلى تلك المشارطة، فيقولُ المرء لنفسه: يا نفس، اجتهدي اليومَ في أن تعمُري حياتك بطاعة الله، ولا تدعيها فارغة، ولا تَميلى إلى الكسل والدَعَةِ والراحة فيفوتكِ من الدرجاتِ الكثير الكثير. ثمّ لا يغفل العبد عن مراقبتها، فإنّه لا يأمن من تفريطها وتضييعها لرأس المال، ثم بعد الفراغ يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما اشترط عليها، فتدقيق الحساب مع النّفس أهم من تدقيقه لكثير من أرباح الدنيا. قال ميمون بن مهران: لا يكون العبد تقيًا حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه، ولهذا قيل: النّفس كالشريك الخوّان، إن لم تحاسبه ذهب بمالك. وقال أيضا: إنّ التقى أشدُّ محاسبة لنفسه من سلطانٍ عاصٍ، ومن شريك شحيح[1].

الأسباب المعينة على محاسبة المسلم لنفسه:

هناك أمور تساعد على محاسبةِ المسلم لنفسهِ وتُسهِّلُ عليهِ ذلك، منها ما يأتي:

١. معرفة فضل المحاسبة وأهميتها، والأجر المترتب عليها.

---

١ انظر: إغاثة اللهفان ج١، ص ٨٠، مختصر منهاج القاصدين ص: ٣٧٠ بتصرف.

٢. التأمل والنظرُ في أخبارِ أهل المحاسبةِ والمراقبة، من سلفِ الأمة الصالح.

٣. صحبةُ الأخيار الذينَ يُحاسبونَ أنفسَهُم، ويُطلِعونَ المرء على عيوبه.

٤. حضورُ مجالس العلمِ والذكر فإنها تُرغّب في محاسبة النّفس.

٥. اللجوء إلى الله تعالى بالدعاء أن يجعلنا من أهل محاسبة النّفس، وأن يوفقنا لذلك.

آثار وفوائد محاسبة النّفس:

هناك آثار تعود على المسلم من خلال محاسبته لنفسه، نذكر منها ما يأتي:

١- استشعار معرفةُ حقّ اللهِ تعالى.

٢- انكسارُ العبد وتذلُّلُه بين يدي ربه تبارك وتعالى.

٣- تزكي النّفس وتطهرها وتلزمها أَمْر ربها.

٤- تُسهمُ في بناء الأمة القائمة بواجباتها الحريصة على حقوقها، العاملة بما ينفعها.

خاتمة:

أخي الداعية الحبيب: في زحمة الحياة وغرورها، ومطالب النّفس وتطلعاتها، وتسابق النّاس على الشرف والمال و الجاه والرئاسة، في ظلّ هذا كلّه قد تغيب أو تضعف معاني المحاسبة في نفس الداعية، وعلى قدر الإيمان واليقين بالآخرة تكون المحاسبة، فاجلس أخى مع نفسك وحاسبها، فإنّ الوقت قد يفوتك فلا تتأخر، والعمر أنفاسٌ لا تعود.

نسير إلى الآجال في كلّ لحظة وأعمارنا تطوى وهنَّ مراحل ترحّل من الدنيا بزادٍ من التقّى فعمرك أيام وهنّ قلائـل.

الزهد

من المعلوم لكلّ عاقلٍ أنّ حقيقة هذه الحياة الدنيا تتمثل في أنّها دار ابتلاءٍ واختبار، وأنّها سريعة الفَناء والانقضاء، تفتن المغترين بها، وتهلكهم في شعابها، فهي لا وزن لها ولا قيمة عند الله، وهي دار لعب ولهو وتكاثر، فلا تصفو لأحد، وحقائقها هذه واضحة لذوي الألباب، لذا فإنّ من طلب الدار الآخرة والجنّة، حريٌّ أن لا يُعلّق قلبه ونفسه بشيء من الدنيا إلا فيما نفع، وأن يزهد فيها، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

معنى الزهد وحقيقته:

الزهد لغة:

تدلّ مادّة «زهد» في معاجم اللغة على القلّة في كلّ شيء، والزّهيد: الشّيء القليل، والزّاهد في الشّيء: الرّاغب عنه [١].

الزهد اصطلاحًا:

الزهد في حقيقته: تعلُّق القلب بالله دون سواه، فلا تشغله الدنيا عن الآخِرة، ولا يهتمُّ لأمر الدنيا، سواء أقبلتْ عليه أم أدبرَتْ عنه، فإذا أُعطي شكَر، وإذا مُنِع صبر.

---

١ انظر: الصحاح ج٢، ص ٤٨١، مقاييس اللغة ج٣، ص ٣٠، لسان العرب ج٣، ص ١٩٦.

والمتأمل في واقِع حياة الأنبياء ﷺ وبخاصَّة حياة سيِّدهم وخاتمهم محمد ﷺ، ثمّ ما كان عليه خيارُ الصحابة كالعَشرة المبشَّرين بالجنَّة، والسابقين الأوَّلين من المهاجرين والأنصار، ومَن سلك سبيلَهم مِن بقية الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى يومِنا هذا، يجد أنّهم كانوا مثالًا للزُّهد، فهم لم يتركوا الدنيا ومتاعها، ولم يعيشوا بمعزلٍ عن المجتمع، بل كانوا يخالطون النّاسَ ويُصلُّون معهم، مع الاكتسابِ والبذل في سبيلِ الله، حتى إنّ بعضَهم كان مِن كبار الأثرياء وكان في الوقت نفسه من أئمة الزهد كعثمان بن عفّان رضي الله عنه الذي جهز جيش العسرة، وأنفق عليه من ماله، وذلك لأنّه لا تلازم بين الزهد والفقر، فقد يكون الغنيُّ زاهدًا، كما قال مالك بن دينار: "يقول الناس: مالك بن دينار زاهد، إنّما الزاهدُ عمر بن عبدالعزيز؛ الذي أتتْه الدنيا فتركها".

فضل الزهد وأهمّيته:

أقام الإسلام منهجه في تربية أفراده على الزهد من خلال بيان حقيقة الدنيا وقيمتها عند الله تعالى، وقد جاءت النصوص القرآنية الكثيرة التي بينت هذه الحقيقة، كقوله تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠].

يقول الأستاذ سيد قطب في تفسير هذه الآية: "والحياة الدنيا حين تقاس بمقاييسها هي وتوزن بموازينها تبدو في العين وفي الحسّ أمرًا عظيما هائلا. ولكنها حين تقاس بمقاييس الوجود وتوزن بميزان الآخرة تبدو شيئا

زهيدًا تافها. وهي هنا في هذا التصوير تبدو لعبة أطفال بالقياس إلى ما في الآخرة من جدّ تنتهي إليه مصائر أهلها بعد لعبة الحياة! لعب، ولهو، وزينة، وتفاخر، وتكاثر، هذه هي الحقيقة وراء كل ما يبدو فيها من جدّ حافل، واهتمام شاغل"[١].

وقد حفلت السنّة النبويّة بالكثير من الأحاديث الدالّة على فضل الزهد وأهميته منها: ما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كن في الدّنيا كأنّك غريب أو عابر سبيل». وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصّباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحّتك لمرضك، ومن حياتك لموتك»[٢].

والحديث يُشير إلى إيثار الزهد والكفاف من الدنيا، والقناعة فيها، مثل المسافر الذي لا يحتاج في سفره أكثر مما يبلغه إلى غايته، فالحديث يحثّ على أن لايركن المرء إلى الدنيا ولا يتخذها وطنًا، مثل عابر السبيل الذي يطلب وطنه الأصليّ[٣].

وعليه فالزهد في الدنيا ليس بقلّة المال، كما أنّ التعلق فيها ليس بكثرته، إنّما الزهد الحقيقيّ بأن تكون الدنيا في يد العبد لا في قلبه، فإن كان غنيًا أنفق من ماله بيمينه ما لا تعلم شماله، وقد كان النبي ﷺ سيّد الزاهدين وإمامهم، فقد لقي ربّه ولم يترك خلفه شيئًا من متاع الدنيا. عن عمرو بن الحارث خَتَن رسول الله ﷺ أخي جويرية بنت الحارث قال:" ما ترك رسول الله ﷺ عند موته درهمًا، ولا دينارًا، ولا عبدًا، ولا أمةً، ولا

---

١ في ظلال القرآن ج ٦، ص ٣٤٩١ .

٢ رواه البخاري ٦٤١٦.

٣ انظر: فتح الباري لابن حجر،ج١١، ص ٢٣٤.

شيئًا، إلاّ بغلته البيضاء، وسلاحه وأرضًا جعلها صدقة"[١].

درجات الزهد:

واعلم أيها الأخ الداعية أنّ الزهد درجات ومنازل نذكر منها ما يلي:[٢]

أولها وأدناها الزهد بترك الشبهات: وهو تَرْكُ مَا يُشْتَبَهُ عَلَى الْعَبْدِ أهوَ من الحلال، أم من الحَرَام؟ فيزهد فيه بتركه؛ حذرًا من عتب الله تعالى، وخشية السقوط من عينه سبحانه، وكراهة مشاركة الفسّاق في إتيانهم لهذه الشبهات. وهذا ما عناه عمر بن عبد العزيز ﵁ بقوله: "إن استطعت أن تدع مما أحلّ الله لك ما يكون حاجزًا بينك وبين ما حرّم الله عليك فافعل، فإنّه من استوعب الحلال كلّه تاقت نفسه إلى الحرام "[٣].

والدرجة الثانية وأعلاها الزُّهْدُ في الفُضُول: والْفُضُولُ هو: مَا يَفْضُلُ عَنْ قَدرِ الحَاجَةِ. فيُمسك العبد عمّا يزيد عن حاجته من مطعمٍ ومشرب وملبس، ويكتفي بما يُبلّغه في سفر حياته، ليتفرغ قلبه إلى قرب الله وما يعمر أوقاته بذكره سبحانه. وأمّا التوسع في النّعم ومجاوزة الحد في الاعتدال، والإغراق والاسترسال في التنعم؛ حتى يصبح كل همّ المرء وغايته التوسع في المباهج والزينة، والتفاخر والمباهاة في الملذات والكماليات في المأكولات والملبوسات وزينة البيوت وأثاثها، وملاحقة الموضات والماركات، فهذا كلّه يتنافى مع الزهد الذي حثّنا عليه ديننا. قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨].

---

١ رواه البخاري ٢٧٣٩

٢ انظر: تهذيب مدارج السالكين ج ١، ص ٤٥٦

٣ البيان والتبيين ٤٩٦

من صور للزهد:

للزهد صور كثيرة نذكر منها ما يلي:

١- الزهد في المناصب والسلطة:

ليس الزّهد الذي ندب إليه الإسلام هو فقط بالمأكل والمشرب والملبس والمسكن، إنّ هذا الزهد في شهوات الجوارح واللذّات هو أحد أنواع الزهد وليس كلّها، فهناك ما هو أعظم منها، ألا وهو الزهد في الجاه والرئاسة، والصيت والشهرة. يقول الإمام ابن شهاب الزهريّ:"ما رأينا الزهد في شيء أقلّ منه في الرياسة، ترى الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال، فإذا نوزع في الرياسة حامى إليها وعادى".

وهذا ما دفع الأتقياء من الأئمة والفقهاء في عهود السَّلَف والخلَف إلى رفض الوظائف والولايات العامة التى تُعرض عليهم، وقد يتعرّض بعضهم إلى السجن والتعذيب لأنهم أبَوْا أن يتولّوها.

فاحذر أخى الداعية أن تكون طامعًا في المناصب والمراكز والأضواء مُستشرفًا لها؛ فإنّ من طلب هذه الأمور أُوكلَ إليها، ولم يُعنْهُ الله عليها، أمّا إذا تعيّن إجابة الطلب إليها وشعر الداعية بلزوم هذه الوظيفة لما فيها من جلب نفع أو دفع ضررٍ فتكون الإجابة عندها ممّا لا يُخرج صاحبها من دائرة الزهد، وضابطُ ذلك أنّه إذا حُرم منها أو فاته طلبها فإنّه لا يأسَفُ عليها.

٢- الزهد في عطايا ذوي الجاه والسلطان: لقد أوجب الله تعالى على العلماء والدعاة أن يقولوا الحق ولا يخافوا في الله لومة لائم، ولذلك كانت لذوي الجاه والسلطان وسائلهم عبر التاريخ في استدراج العلماء والدعاة، وإغرائهم ليتنازلوا عن مبادئهم، ويتهاونوا في إنكار المنكر وكشف حقائقهم. وقد تكون وسيلتُهم في ذلك هي الإغراء بالمناصب الرفيعة،

والأُعطيات الماليّة التي يسيل لها اللعاب. ومن أبرز الأمثلة على زهد هؤلاء العلماء والدعاة ما حصل مع الشيخ الأزهري سعيد الحلبي، الذي حاول إبراهيم باشا أن يشتريه بالمال، فقال الشيخ جملته المشهورة: " قل لإبراهيم إنّ الذي يمدُّ رجله لا يمد يده"[1].

٣- الزهد في المباحات من طعامٍ وشرابٍ ولباس: ذلك أنّ الإسراف في هذه المباحات والاقبال عليها بنهم وشغف يتنافى مع الزهد، فإنّ الزهد يعني الأخذ من المباح بقدر الحاجة ولا يشغل ذلك عن الآخرة والسعي لها. والعبد الزاهد يقلل من الطعام والشراب، بل يصوم ويدرب نفسه على الإكثار من الصيام.

الوسائل المعينة على الزهد:

هناك وسائل عدّة تعين العبد على الزهد في الدنيا منها ما يلي:

١- النظر في حقارة الدنيا وسرعة زوالها وفنائها، وما في المزاحمة عليها من الغصص والحسرات.

٢- النظر في أمر الآخرة وأنّها دار البقاء والحيوان.

٣- الإكثار من ذكر الموت.

٤- البذل والإنفاق وكثرة الصدقات.

٥- مطالعة أخبار الزاهدين وبخاصة سيرة النبي ﷺ وأصحابه الكرام.

خاتمة:

أخي الداعية الحبيب: الزهد في الدنيا ليس بشظف الطعام، ولا خشن

(١) انظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. محمد أبو فارس ص٧٩.

الثياب، ولا بترك زينة الحياة الدنيا، فقد قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

كلاّ؛ فهذا المعنى السلبيّ للزهد يرفضه ديننا، ويحذرنا منه، والمعنى الإيجابيّ للزهد هو أن تُطعم الفقراء، وتؤوي المشردين، وتنفق المال في خدمة دينك ودعوتك، فإذا زهدت بمالك الحلال الذي يمكن أن يكون ذُخرًا لك في الآخرة فأنت لست بزاهد!!، وإذا زهدت بعمل أو دعوةٍ يتعدى نفعها إلى كثير من الناس، وإذا زهدت بأن تُحقّ الحقّ، وتُبطل الباطل، فأنت لست بزاهد!!، إنّ الزهد الحقيقى هو: أن يكون هذا كلّه في يديك لا في قلبك. جعلنا الله وإياك من الزاهدين.

الورع

الورع من الأخلاق العظيمة التي حثّ عليها ديننا الحنيف، وعدّها سمة من سمات العُبّاد، وصفة من صفات أهل الفضل والشرف، وبها يطيب المطعم والمشرب، وفيها استبراءٌ للدّين والعرض.

ففي الورع أداءٌ للواجبات، وتركٌ للمحرمات، وبُعدٌ عن الشبهات؛ خوفًا وتعبدًا لرب الأرض والسماوات، الذي أثنى على صنف من عباده، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧ – ٦١].

معنى الورع وحقيقته:

الورع لغة:

هو التّحرّج من فعل بعض الأمور والعفّة عنها[١].

معنى الورع اصطلاحًا:

هو صيانة النفس عن الوقوع في الشبهات، وعن مقارفة المحرمات. وقد جمع النّبيّ ﷺ الورعَ كلّهُ في حديثٍ واحد؛ فقال: "مِنْ حُسْنِ إسلام المرءِ تَرْكُهُ ما لا يَعْنِيه"[٢]. فهذا يَعُمُّ التّركَ لِمَا لا يَعْني مِنَ الكلام، والنّظر، والاستماع، والبطْشِ، والمشي، والفكر، وسائر الحركات الظّاهرة والباطنة؛

---

١ انظر: الصحاح ج٣، ص، ١٢٩٦، مقاييس اللغة ج٦، ص١٠٠، لسان العرب ج ٨، ص ٣٨٨.

٢ الحديث أخرجه: الترمذي ٢٥١٨، والنسائي ٥٧١١. والحديث صحيح.

فهذه الكلمة كافيةٌ شافيةٌ في الورع[١].

أخي الداعية الحبيب: من هذا التعريف يتبين لنا حقيقة الورع، فمعلومٌ أنّ الشّريعة مبناها على تحصيل المصالح وجلبها، واجتناب المفاسد ودفعها، فمن لم يوازن ما في الفعل والتّرك من المصلحة الشّرعيّة، والمفسدة الشّرعيّة فقد يدع الواجبات ويفعل المحرّمات، وقد يرى ذلك من الورع، كمن يدع الجهاد مع الظّلمة ويرى ذلك ورعًا، أو يدع الجمعة والجماعة خلف أئمة الجور والفجور ويرى ذلك من الورع، لذا عدّ شيخ الإسلام ابن تيميّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّ تمام الورع أن يعلم الإنسان خير الخيرين وشرّ الشّرّين، وأنّ الورع يكون بالبعد عن الحرام والمكروهات، لا عن الواجبات والمستحبات[٢].

أهميّة الورع وفضله:

الورع من المقامات الإيمانية العالية، وهو أفضل درجات الإحسان، به تُستجلب محبة الله ومحبة خَلقِه، وبه تطمئن نفس العبد، ذلك أنّه يكفّ عن الحرام، ويبتعد عمّا لا ينبغي فعله.

وقد أشارت النصوص النبويّة لفضله والحثّ عليه، ومنها: عن النّعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحلال بيّن، والحرام بيّن، وبينهما مشبّهات لا يعلمها كثير من النّاس، فمن اتّقى المشبّهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشّبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا وإنّ لكلّ ملك حمى، ألا إنّ حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كلّه، وإذا

---

١ انظر: الفروق، ج ٤، ص٢١٠، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج٢، ص ٢٣، التعريفات للجرجاني، ص، ٢٥٢، الكليّات للكفوي، ص ٩٤٤.

٢ انظر: الفتاوى ج١٠، ص ٥١١- ٥١٢.

فسدت فسد الجسد كلّه، ألا وهي القلب»[1].

وقد أجمع أهل العلم على أنّ هذا الحديث أصلٌ في الورع وفيما يلزم الإنسان اجتنابه من الشبهة والريبة، وأنّه أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام؛ فقال جماعة هو ثلث الإسلام، وإنّ الإسلام يدور عليه وعلى حديث "الأعمال بالنية"، وحديث "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه".[2]

درجات الورع:

للورع درجاتٌ متعددة، جمعها الهروي رحمه الله في ثلاث درجات هي كما يأتي:

الدرجة الأولى: تجنب القبائح لصون النفس، وتوفير الحسنات وصيانة الإيمان. فالورع يصَوْنُ النّفس، ويحفظها عمّا يُشينها، ويعيبها ويُزري بها عند الله ﷻ وملائكته، وعباده المؤمنين وسائر خَلْقه. فإنّ من كرُمَت عليه نفسهُ وكبُرَت عنده صانها وحماها، وزكّاها، ومَن هانت عليه نفسه وصغُرَت عندهُ ألقاها في الرذائل ودسّاها، ولم يصُنْها عن القبيح.

الدرجة الثانية: الالتزام بالوقوف عند حدود الشرع: فإنّ حفظ هذه الحدود ورعايتها يحقق التقوى في نفس العبد ويحمله على صيانة نفسه بمنعها عن اقتحام هذه الحدود.

---

١ رواه: البخاري (٥٢، ٢٠٥١) واللفظ له. مسلم ١٥٩٩، الترمذي ١٢٠٥، أبو داود ٣٣٢٩، النسائي ٥٢٠٠، أحمد ١٨٣٦٨.

٢ انظر: معالم السنن ج٣، ص ٥٦، شرح النووي على مسلم ج١١، ص٢٧، فتح الباري لابن رجب، ج ١، ص ٢٢٤، فتح الباري لابن حجر ج٤، ص ٢٩١ .

الدرجة الثالثة: التنزه عن كلّ ما يدعو إلى ضياع الأوقات، والوقوع في مهاوي الفراغ، والتعلق بالدناءات[١].

أحوال أهل الورع:

يحتاج الداعية إلى نماذج يقتدي بها في طريق سيره إلى الله تعالى، فلمّا كان الورع شاقًّا على النفوس؛ كان لا بدّ من ذكر نماذج لأهل الورع وأحوالهم، ليُستضاء بهم في وحشة هذا الطريق.

لقد كان رسولنا وسيدنا محمد ﷺ القدوة في الورع، فكانت حياته مدرسة في الورع، وقد ضرب لنا أروع الأمثلة في ذلك؛ فهذا خادمه أنس رضي الله عنه يروي لنا مشهدًا بليغًا من مشاهد ورعه ﷺ فيقول: "مرّ النبي ﷺ بتمرة مسقوطةٍ -أي: ساقطة على الأرض-، فقال: لولا أن تكون صدقة لأكلتها"[٢]. فهو ﷺ لم يمتنع من أكلها إلا تورُّعًا؛ لخشية أن تكون من الصدقة التي حُرِّمت عليه، وإلاّ فهذه التمرة لا تُحرّم بمجرد الاحتمال.

وهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه تُخبرُنا ابنته عائشة رضي الله عنها، عن صورةٍ من ورع أبيها فتقول:" كان لأبي بكرٍ الصديق رضي الله عنه غلام يُخرجُ لهُ الخرج أي: - يأخذ من غلّته -، وكان أبو بكرٍ يأكلُ من خراجه، فجاء يومًا بشيءٍ، فأكل منه أبو بكرٍ، فقال له الغلامُ: تدري ما هذا؟ فقال أبو بكرٍ؟ وما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسانٍ في الجاهلية وما أحسنُ الكهانةَ، إلاّ أنّي خدعتهُ، فلقيني فأعطاني بذلك هذا الذي أكلتَ منهُ، فأدخل أبو بكرٍ يده

---

١ انظر تهذيب مدارج السالكين لابن القيم، ج ١، ص٤٦٦ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٢٨).

٢ رواه البخاري ٢٠٥٥ واللفظ له، ومسلم ١٠٧١، وأبو داود ١٦٥٢، وأحمد ١٢١٩٠.

فقاء كلَّ شيءٍ في بطنهِ"[1].

ومن النماذج المعاصرة لأهل الورع نذكر الإمام الشهيد حسن البنّا رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وورعه في المال، فقد جاء مبعوث من السفارة الإنجليزية إلى دار المركز العام وقابل الإمام الشهيد وقال له:إنّ الإمبراطورية من خططها مساعدة الجمعيات الدينية و الاجتماعية، وهي تقدر جهودكم ونفقاتكم؛ لذلك فهي تعرض عليكم خدماتها بدون مقابل وقد قدمنا مساعدات لجمعية كذا وكذا، ولفلان وفلان، وهذا شيك بعشرة آلاف جينيه معاونة للجماعة. فتبسم الإمام الشهيد وقال: إنّكم في حالة حرب وأنتم أكثر احتياجًا إلى هذه الآلاف. فأخذ المبعوث يزيد في المبلغ و الإمام الشهيد يرفض، وكان بعض الإخوة يتعجبون ويتهامسون لِمَ لا نأخذ المال ونستعين به عليهم؟ فكان جواب الإمام الشهيد: "إنّ اليد التي تمتد لا تستطيع أن ترتد، واليد التي تأخذ العطاء لا تستطيع أن تضرب، إنّنا مجاهدون بأموالنا لا بأموال غيرنا وبأنفسنا لا بأرواح غيرنا".

ومن النماذج المعاصرة الرائعة للورع نذكر موقف الشهيد الحي بإذن الله: سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حينما عرض عليه سفير دولةٍ خليجيّة حقيبة مليئة بالأوراق المالية، يرجوه أن يقبلها كهديّةٍ من دولته، عرفانًا بمنزلته ومسؤولياته، وكان الأستاذ سيّد وقتها مريضًا محتاجًا للمال والدواء، لكنّه رفض هدية الرجل بحزمٍ قائلًا له: "أنا لا أبيعُ نفسي وفكري بأموال الدنيا، فأعد أموالك إلى حقيبتك"[2].

---

١ رواه البخاري ٣٨٤٢.

٢ انظر القصة كاملةً في كتاب: سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، الدكتور صلاح الخالدي، ص ٤٩٤-٤٩٥.

ولم يكن الورع مقتصرًا على جانب الرجال، بل كانت نساء السلف يتورعن عن الحرام وأكله، **وكانت الواحدةُ منهنّ إذا أراد زوجها أن يخرج طالبًا الرزقَ؛ تعلّقتْ بثيابه تقول له**: اتّق الله فينا ولا تُطعمنا إلّا مِنَ الحلال الصّرْف؛ فإنّنا نحثو التّراب - نَسْتَفُّهُ - ولا نأكُلُ ممّا فيه شبهة، فضلا عن أن يكونَ من حرام.

الوسائل المُعِينة على الورع:

هناك مجموعة من الوسائل التي تُعين العبد على اكتساب فضيلة الورع، نذكر منها ما يأتي:

١- استحضار عظمة الله تعالى، ومراقبته في كلّ شؤون حياة المرء.

٢- الالتجاء إلى الله تعالى بالدعاء والتضرع بين يديه.

٣- مجاهدة النفس، وأخذها بعزائم الأمور.

٤- مجالسة الصالحين ومصاحبتهم.

مظاهر الورع وصوره:

للورع مظاهر عديدة ومختلفة، قسّمها العالم النحرير ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ) إلى أبواب عدّة؛ بعضها متعلق بأعضاء الإنسان، وبعضها متعلقٌ بعلاقات الإنسان ورغباته، فعقد أبوابًا كثيرة ساق فيها الأحاديث والآثار الدّالة على هذا المظهر ننصح بالرجوع إليها، منها: الورع في النظر، والسمع، واللسان، والبطن، والفرج، وفي البيع والشراء[1].

أخي الداعية الحبيب: نحن مدعوون للأخذ بهذه المظاهر والصور في

---

١ انظر: الورع لابن أبي الدنيا، ص ٦١ - ١٠٩.

حياتنا والتمثل بها، وجعل الورع أساسًا فيها، وحريٌّ بأنْ نُضيف إليها **الورع في العمل الدعويّ والسياسيّ**، فلا يتنازل الداعية عن مبادئه وثوابته الشرعيّة في زحمة هذا العمل، ولا يتزلف للظلمة وأعوانهم رغبة في لُعاعة من لُعاعات الدنيا، وأن يبتعد عن الأمراض الدعويّة المختلفة، من النميمة، والخلاف، والسّعي في الفتنة، والتنافس في طلب المنافع الذاتيّة، والاستشراف إلى مواقع الشهرة والجاه، فيضرُّ بذلك نفسه ودعوته.

آثار الورع:

للورع آثار عدّة تعود بالنفع على المرء، نذكر منها ما يأتي:

١- الورع وسيلةٌ لاكتساب محبة الله تعالى.

٢- الورع وسيلةٌ لترك الشبهات، والابتعاد عنها، وبراءة الدين والعرض به.

٣- الورع طريقٌ لإجابة الدعاء، فبه يطيب مطعم المرء ومشربه.

٤- الورع يُصلح المجتمعات، فتنتشر فيها الفضائل، وتبتعد به عن الرذائل.

الورع عن المال العام:

دلّت الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على حرمة الخوض في الأموال العامة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

وحذر نبينا ﷺ من الاعتداء والتشبع من المال العام، فعن عَديّ بن عَميرةَ الكِندِيّ، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: "مَنِ استعملناهُ منكم

على عمل، فكتَمَنا مِخْيَطًا، فما فوقه كان غُلُولا يأتي به يوم القيامة"، قال: فقام إليه رجل أسودُ منَ الأنصار كأنّي أنظرُ إليه، فقال: يا رسول الله، اقبلْ عنّي عَمَلَكَ، قال: "وما لَكَ؟" قال: سَمعْتُكَ تقول: كذا وكذا، قال:" وأنا أقولُهُ الآن، مَن استعْمَلْناهُ منكُم على عمل، فليجئ بقليله وكثيره، فما أُوتِيَ مِنْهُ أخَذَ، وما نُهيَ عنهُ انتهى"[1]. والمخيط هو الإبرة.

والاعتداء على المال العام يأخذ صُوَرًا شتَّى منها: الرشوة والسَّرقة، وخيانة الأمانة والاختلاس، أو الاعتداء على الكهرباء والماء بالسرقة من الدولة بحجج واهية. وكذلك استعمال الأمور الخاصة بالعمل لأغراض شخصيَّة غير خاصَّة بالعمل كاستخدام (الحاسوب، والسيارة، وأدوات القرطاسية المختلفة من أقلام وورق وتصوير وغير ذلك)، أو استخدام الموظفين لأعمال المسؤول الخاصة.

ويدخل في سرقة المال العام عدم إتقان الموظف للعمل، أو إضاعة الوقت، أو التكسّب من الوظيفة واستغلال المال العام لأغراض شخصيّة، أو يأخذون عمولة نظير تسهيل بعض الأعمال. ولعل أهم سبب في هذا كلّه هو غياب الورع، الناجم عن ضعف الوازع الديني ورقابة المولى ﷻ.

خاتمة:

أخي الداعية الحبيب: ما أحوجنا اليوم إلى الورع، في زمن عزّت فيه هذه الفضيلة، وأصبح كثير من الناس، كحاطب ليل يجمع كل شيء، ولا يبالي أيجمعه من حلالٍ أم من حرام؟؟ !! إنّه الورع؛ الذي يحرُس الداعية ودعوته، ويمنعه من الانزلاق في المحرمات، أو التقصير والتفريط في أداء

---

١ رواه مسلم ١٨٣٣.

الواجبات. الورع طوْق نجاتنا في الدنيا والآخرة، به تُحفظ الأعراض والدماء والأموال، وهو السبب لبذل المعروف وقناعة النّفس وسخاء اليد، وبه يُحفظ اللسان عن القيل والقال، والغيبة والنميمة، وإثارة الفتن وتأجيج الصراعات، فاجعله أُخيَّ منهج حياتك، وأساس تعاملاتك، تُفلِح وتنجُ بإذن الله تعالى.

حفظ الوقت

الوقت هو الحياة، وأوقات المرء هي رأس ماله في هذه الدنيا، ومن فرّط في وقته وعمُره فقد فرّط في خير كبير، ذلك أنّ أيّام الله تعالى تتسارع، والأزمنة تتلاحق، وأعمارنا تتناقص، وكل شيء حولنا يذكرنا بقيمة الوقت الذي نعيشه، وأهميّة المحافظة عليه. وقديمًا قالوا: "الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك"، حكمةٌ بليغةٌ مشهورة بين الأمم، وكلٌّ منّا يرددها ويكررها كلما تذكر أهميّة الوقت، ولكن قلةٌ من الناس من يقدر قيمة الوقت، ويحافظ على الانتفاع بساعات حياته حقّ الانتفاع، ولا يضيع ساعة منها في غير فائدة دينية أو دنيوية. ولقد جعل الإمام البنّا من مراتب العمل المطلوبة من الأخ المسلم أن يكون حريصًا على وقته ومنظمًا في شؤونه[1]. وفي هذه الصفحات نتعرف عن أهمية الوقت وأهمية استثماره في الأعمال المفيدة، وما يُعيننا على الاستثمار الأمثل لأوقاتنا.

أهمية حفظ الوقت في القرآن الكريم والسنّة النبوية:

الوقت من أعظم النعم التي امتنّ الله بها علينا، قال تعالى في معرض الامتنان على الإنسان وبيان عظيم فضله عليه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس: ٥].

وقد جعل القرآن الكريم للوقت أهمية عظيمة نلاحظها من خلال ما يأتي:

---

١ انظر: مجموعة رسائل الإمام البنّا، رسالة التعاليم، ركن العمل، ص ٢٧٨

١- القسم بالأزمنة المختلفة، والأوقات المشاهدة: حيث أقسم الله بذلك في مواطن كثيرة من كتابه العزيز، من ذلك ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾ [العصر: ١ – ٢].

قال الفخر الرازي: "إنّ الدهر والزمان في جملة أصول النعم؛ فلذلك أقسم الله بهما، ولأنّ الزمان والمكان هما أشرف المخلوقات عند الله، كان القسم بالعصر قسمًا بأشرف النصفين من ملك الله وملكوته"[1].

٢- توجيه الإنسان إلى اغتنام الأوقات في المسارعة إلى الخيرات: قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

٣- ارتباط الوقت بأداء العبادات: فارتباط هذ العبادات من:(صلاةٍ وزكاةٍ وصومٍ وحجّ)، بمواعيد وأوقات محددة؛ يدلّ على أهميّة الوقت في الإسلام وعنايته بتنظيمه. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

وكذلك تعاقب الأهلة، فارتباط التقويم الإسلامي بالأشهر القمرية التي تبدأ من ظهور الهلال إلى أن تنتهي باختفائه إيذانًا بدخول شهرٍ جديد يدلّ على كذلك على أهمية الوقت، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩].

أي إنّه يُعرَف من خلالها مواعيد الصلاة والصيام والإفطار والحجّ وهي مواقيت دقيقة يستعين بها الناس.

---

١ تفسير الرازي (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير)، ج ٣٢، ص ٢٧٧، والنصفين هما الزمان والمكان.

أهميّة الوقت في السنّة النبوية الشريفة:

تضافرت النصوص النبويّة التي تحثُّ على حفظ الوقت واستغلاله، نذكر منها ما يأتي:

١- جاءت الأحاديث الدالّة بأنّ الوقت نعمة عظيمة. قال رسول الله ﷺ: "نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس: الصحة والفراغ"[١]. والمغبون هو المخدوع.

٢- جعل النبي ﷺ الوقت مناط السؤال والحساب يوم القيامة: ففي الحديث عن النبيِّ ﷺ أنّه قال: "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع خصال: عن عُمُره فيمَ أفناه، وعن شبابه فيمَ أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه"[2].

استثمار الوقت في الأشياء المفيدة:

من صفات الداعية الناجح أنّه مُنظّم، والتنظيم الحقيقيّ يبدأ من تنظيمه لوقته، بحيث لا يطغى أيّ نشاط في حياته على آخر، فيجعل وقتًا لعباداته (الفرائض والنوافل منها)، ووقتًا لدعوته، ووقتًا لعملِه، ووقتًا لراحته، ووقتًا لممارسة هواياته، ووقتًا للأهل والعلاقات الاجتماعيّة. وكلّما أحسن الداعية استثمار وقته؛ كان العائد من هذا الاستثمار عليه وعلى دعوته أفضلَ وأثمر، خصوصًا في وقتنا الحاضر الذي أضْحَت شؤون الأخ الداعية متشعبة وكثيرة، فلا يستطيع المرء أن يقوم بهذه الأعباء كلها إلاّ إذا كان منظمًا لوقته مدركًا لأهميته.

---

١ رواه البخاري ٦٤١٢ واللفظ له، والترمذي ٢٣٠٤، وابن ماجه ٤١٧٠.

2 رواه الترمذي ٢٤١٦.

وتحقيقًا لاستثمار نافع لأوقاتنا فلنستمع لأهل الخبرة الذين ينصحون باتباع عدد من الخطوات، نذكر منها ما يأتي:

١- تحديد الأهداف التى يسعى المرء للوصول إليها: سواء أكانت شخصيةً أو دعوية أو عائلية أو اجتماعية. فوضوح الأهداف يُعدّ الخطوة الأهم، والأولى في استثمار الوقت بطريقة فعّالة وسليمة، فهي تجعل الشخص يعرف ما يُريد وما هو الأكثر أهميةً بالنسبة إليه.

٢- اتخاذ قرار حازم حول كيفية استثمار الوقت، والتفكير بأفضل الطرق في استثماره.

٣- تحديد الأولويات وترتيبها والبدء بالأهم ثم المهم، بناءً على الأهداف التي تم وضعها بداية.

وبناء على ذلك فإنَّ كلّ مسلم يستطيع أن يستثمر وقته بصورٍ عديدة مفيدة، نذكر منها على سبيل المثال: تلاوة القرآن الكريم، ومذاكرة العلم، والدعوة إلى الله، والتعليم والتعلم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، حينئذ سنشعر بطعم البركة في أوقاتنا وحياتنا.

الوقت لك أو عليك:

من أهم خصائص الوقت؛ سرعة انقضائه، وأنَّ ما مضى منه لا يعود، وهو أثمن ما لدى الإنسان، فالوقت هو حياته، لذا فالمسلم لا يعرف الفراغ، فهو حين ينتهى من عمل يبدأ في عمل آخر. قال الحسن البصري: " لقد أدركت أقوامًا كانوا أشدَّ حرصًا على أوقاتهم من حرصكم على دراهمكم ودنانيركم". ومن المؤسف أن نجد أن هناك من لا يدرك قيمة الوقت وقدْرِه، ولم يعلم أنَّ من المقت إضاعة الوقت، قال ابن هبيرة:

والوقت أنفس ما عُنيتَ بحفظه وأُراه أسهل ما عليكَ يضيع

فالعاقل يستغل وقته ويعلم حقيقة ما خُلِق له، والخاسر هو من يتهاون بوقته، ويَشغل نفسه بالحرام والباطل، قال الشافعيّ: "وإذا لم تشغل نفسك بالحق شغلتك بالباطل".

وقد جاء عن أحد السلف أنّه قال: "من أمضى يوما من عمره في غير حقٍّ قضاه، أو فرض أدَّاه، أو مجد أثَّله، أو حمدٍ حصَّله، أو خير أسَّسه، أو علم اقتبسه، فقد عقّ يومه وظلم نفسه".

أخي الحبيب: بيدك أنت أن تجعل وقتًا لك تفرح بعاقبة استغلاله وتأنس به، أو تجعله عليك أسفًا بضياعه وتبديده، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٩ – ١٠٠].

صور من أحوال السلف في استثمار الوقت:

كان للسلف رحمهم الله اهتمامٌ عظيمٌ في الحفاظ على الوقت، والاستفادة منه، ونذكر لكم بعض هذه الصور المشرقة في حرصهم على أوقاتهم:

قال الصحابي عبد الله بن مسعود ﷺ: "ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه نقص فيه أجلي، و لم يزدد فيه عملي".

الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يتمثل بهذين البيتين غالب وقته:

اغتنم في الفراغ فضل ركوعٍ فعسى أن يكون موتك بغتة

كم صحيحٍ رأيتُ من غير سُقمٍ ذهبت نفسه الصحيحة فلتة

ومعلوم أيّ خير تركه البخاري للأمة بعد وفاته؟! فقد ترك لها أصحّ الكتب بعد كتاب الله تعالى.

قال الفضيل بن عياض: "أعرف من يعدّ كلامه من الجمعة إلى الجمعة، أي: من يحسب كم ساعة تكلم بين الجمعتين"[١].

الوسائل المعينة على استثمار الوقت:

هناك وسائل كثيرة يمكن للمرء الاستعانة بها على استثمار وقته، نذكر منها ما يأتي:

١- التنظيم والتخطيط للوقت: وشعور المرء بالغَيرة على وقته، وأنّه إذا ذهب فإنّه لن يعود.

٢- استشعار الهدف الذي خُلق من أجله العبد، وأنّ عبادة الله ثقيلة، وأنّ الواجبات أكثر من الأوقات.

٣- عمل جداول زمنية للأيام أو للأعمال التي يريد أن يقوم المرء بها، بحيث تتلاءم مع واقعه.

٤- تحديد المواعيد الثابتة في البرنامج اليومي، كالأكل والنوم والدراسة والزيارة.

٥- الابتعاد عن مقاتل الوقت، ككثرة النوم والأكل، وفضول الخُلْطَة، والابتعاد عن وسائل اللهو.

خاتمة:

أخي الداعية: إنّ الواجبات أكثر من الأوقات، ومشكلات الحياة ومشاغلها كثيرة، لذا لا بد من المسارعة في اغتنام الأوقات، فالإنسان لا

---

١ انظر هذه النماذج وغيرها الكثير في الكتاب القيّم: قيمة الزمن عند العلماء، للشيخ عبد الفتّاح أبو غدة رحمه الله.

يدري ماذا تخبئ له الأقدار، فالبدار البدار الى استغلال الوقت واستثماره فيما يعود عليك بالنفع في دينك ودنياك. تأمل وصيّة الإمام الشهيد – بإذن الله– حسن البنّا وهو يوصى كلّ داعية بالحرص على وقته فيقول: "فيا أيها الأخ العزيز: أمامك كل يوم لحظة بالغداة ولحظة بالعشيّ، ولحظة في السَحَر، تستطيع أن تسمو فيها كلّها بروحك الطهور إلى الملأ، فتظفر بخيري الدنيا والآخرة، وأمامك يوم الجمعة وليلتها، تستطيع أن تملأ فيها يديك وقلبك وروحك من رحمة الله على عباده، وأمامك مواسم الطاعات وأيام العبادات وليالى القربات، التى وجّهك إليها كتابك الكريم ورسولك العظيم، فاحرص على أن تكون فيها من الذاكرين لا من الغافلين، ومن العاملين لا من الخاملين، واغتنم الوقت فالوقت كالسيف، ودع التسويف فلا أضرّ منه"[1].

وكُن صارمًا كالوقت فالمقت في عسى وخـــلّ لعـــلّ فهـــي أكـــبر علـــّة

١ مجلة الدعوة، عدد ٨، سنة ١٩٥١.

المسارعة في الخيرات

ذكرنا في الموضوع السابق أنّ المسلم مأمورٌ بالمحافظة على وقته، والاستفادة منه بما يعود عليه بالخير في دينه ودنياه، وأهمّ ما يعود على وقت المرء بالخير أن يكون مسارعًا في فعل الخيرات، فهي- أي المسارعة- خُلُقٌ عظيمٌ، لا يتَّصف به إلا الجادّون المُشمّرون، والمُسارعة إلى أعمال البرّ طبعٌ لا يتخلّقُ به ولا يُهدى إليه إلا مَن وهبه الله علوًّا في همّته، وقوّةً في عزيمته، مع سلامة قلبٍ، ورجاحة عقلٍ، وانشراح صدر.

والمسارعة في الخيرات قَدرٌ زائدٌ على الأمر بفعل الخيرات؛ ذلك أنّ المسارعة إلى الخيرات يستدعي فعلها وتكميلها على أكمل الهيئات والأحوال، مع مُبادرة في ذلك ومُسارعة. ومعلومٌ أنّ الخيرات تشمل جميع الفرائض والنوافل، من صلاة وصيام وصدقاتٍ، وحجّ وعمرة وجهاد في سبيل الله، وعموم الخيرات، من الدعوة إلى الله ﷻ، وتعليم العلم، ونصرة الحقّ وأهله. وهي كذلك كلّ نفع متعدٍّ، أو قاصرٍ على صاحبه. قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨].

معنى المسارعة في الخيرات:

المسارعة في الخيرات: هي المبادرة إلى الطّاعات والسّبق إليها، والاستعجال في أدائها، وعدم الإبطاء فيها أو تأخيرها.

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣]. أي سارعوا إلى ما يُوجب المغفرة وهي الطاعة[1].

---

١ تفسير القرطبي ج٤، ص ٢٠٣

أهميّة المسارعة في الخيرات وفضلها:

المسارعة إلى الخيرات صفةٌ جامعة لمجموعة المحاسِن المتعلِّقة بالنفس البشريّة؛ لذا أولى الإسلام هذا الأمر الأهميّة البالغة، وتظهر أهميّة وفضل المسارعة من خلال ما يأتي:

١- ثناء الله تعالى على جملة من الأنبياء بمسارعتهم في الخيرات. قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠]. والأنبياء قدوة للمؤمنين، فوجب التأسي بهم في المسارعة في الخيرات.

٢- أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالمسابقة إلى مغفرته وجنته؛ وذلك بالمسابقة في الخيرات. قال تعالى: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد: ٢١].

٣- ثناء الله تعالى على أهل الخشية من عباده، وامتداح أعمالهم، ومسارعتهم في الخيرات. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧ - ٦١].

٤- جعل الله تعالى للسابقين بالخيرات أعلى منازل الجنة، وعدّهم أكثرهم نعيمًا.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢].

ثمرات المسارعة في الخيرات:

المسارعة في الخيرات له ثمرات يانعات تعود على الفرد بالخير منها ما يأتي:

١- المسارعة في الخيرات دليلٌ على حُسن الإيمان، وصدق اليقين بالربّ سبحانه: فقد وصف الله تعالى المؤمنين الصادقين بأنّهم هم الذين يسارعون في الخيرات طلبًا للصلاح والفلاح. قال تعالى: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [آل عمران: ١١٣ - ١١٤]. وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨].

٢- المسارعة في الخيرات دليلٌ عل حبّ الله تعالى للعبد: قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنبياء: ٧٣].

٣- المسارعة في الخيرات سببُ سعادة العبد في الدنيا والآخرة: قال تعالى: ﴿لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾ [التوبة: ٨٨ - ٨٩].

٤- المسارعة في الخيرات سببٌ في استجابة الدعاء: فقد كان من دعاء النبي ﷺ: "اللَّهُمَّ إنّي أسأُلك فعْل الخيرات، وترْك المُنكرات، وحُبّ المساكين، وأنْ تغْفر لي وترْحمني، وإذا أردت فتنةَ قومٍ، فتوفّني غير مفتون، أسأُلك حبّك، وحُبّ من يُحبُّك، وحبّ عمل يُقرّب إلى حُبّك،

قال ﷺ: إنّها حقٌّ، فادْرُسوها، ثمّ تَعلَّمُوها"[١].

٥- المسارعة إلى فعل الخيرات تُنمّى الحسّ الجماعى في المجتمع، وتبعده عن الأنانية: فلقد أثنى النبى ﷺ على الأشعريين من أهل اليمن بأنّهم كانوا يتعاونون ويسابقون في الخير، ويطبقون مبدأ التكافل بين المسلمين تطبيقا عمليًا. فعن أبى موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: قال النّبيّ ﷺ: إنّ الأشعريّين إذا أرملوا في الغزو، أو قلّ طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثمّ اقتسَموهُ بينهم في إناءٍ واحد بالسّويّة، فهُم منّي، وأنا مِنهُم"[٢].

موانع المسارعة في الخيرات:

هناك موانع وصوارف تمنع العبد من المسارعة في الخيرات، والمسابقة إلى الطاعات، نذكر منها ما يأتي:

١- التعلق بالدنيا وزينتها: قال تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠﴾ [الحديد: ٢٠].

ثمّ قال سبحانه بعدها: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد: ٢١].

ليُعلم بذلك أنّ التعلق بالدنيا يصرف صاحبه عن أوجه الخير.

٢- كثرة الجدال، والخصام فيه: فإنّه لمّا جادل اليهود المؤمنين في

١ رواه الترمذي ٣٢٣٥، وأحمد في مسنده ٢٢١٠٩

٢ رواه: البخاري ٢٤٨٦، ومسلم ٢٥٠٠.

تحويل القبلة نهاهم الله تعالى عن مجادلتهم؛ لئلا يُشغَلوا عن فعل الخيرات، وأمرهم بالمسابقة في فعلها. قال تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [البقرة: ١٤٨].

٣- كثرة المعاصي، وإتيان كبائر الذنوب.

صور من أحوال السلف في المسارعة في الخيرات:

لقد تمثّل صحابة النبي ﷺ الأوامر الربانيّة، والتوجيهات النبويّة في المسابقة لفعل الخيرات فكانوا نجومًا يُهتدى بهم في ذلك، والأمثلة على ذلك كثيرة نقتصر منها على ما يأتي:

- أبو بكر الصديق رضي الله عنه: مسارعة أبي بكر معروفة، ومواقفه مشهودة ومشهورة، له مواقف عديدة، نذكر منها هذا الموقف:

عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، قال: مرّ رسول الله ﷺ وأنا معه وأبو بكر، على عبد الله بن مسعود وهو يقرأ، فقام فتسمّع قراءته، ثمّ ركع عبد الله، وسجد، قال: فقال رسول الله ﷺ: "سلْ تُعْطَهْ، سَلْ تُعْطَهْ"، قال: ثمّ مضى رسول الله ﷺ وقال: "من سرّه أن يقرأ القرآن غضّا كما أُنزل، فليقرَأهُ من ابن أُمّ عبد ". قال: فأدلَجْتُ إلى عبد الله بن مسعود لأُبشّرَهُ بما قال رسول الله ﷺ، قال: فلمّا ضربْتُ الباب - أو قال: لمّا سمع صوتي - قال: ما جاء بك هذه السّاعة؟ قلْتُ: جئْتُ لأُبشّرَكَ بما قال رسول الله ﷺ. قال: قد سبقك أبو بكر. قلت: إن يفْعَل فإنّه سبّاقٌ بالخيرات، ما استبقنا خيرًا قطّ إلّا سبقنا إليه أبو بكر[1].

---

١ مسند أحمد ٢٦٥. وإسناده صحيح.

- عثمان بن عفّان ﵁: كان ﵁ أكثر الصحابة مالًا، لمّا سمع النبيّ ﷺ يُرغّب في تجهيز جيش العُسرة، جاء بألف دينار ووضعها في حجر النبيّ ﷺ فجعل رسول الله ﷺ يُقلّبُها بيده ويقول: "ما ضَرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم"[١].

خاتمة:

أخي الداعية الحبيب: بادر إلى المسارعة في الخيرات، تنل من الله البركات، وتُستجاب منك الدعوات، وتفرج لك الكربات، واحرص أن يكون لك نصيب المسارعة في سُبل الخير المتنوعة من صلاة وصيام وقربات. ونضع بين يديك بعض الجوانب العملية لهذه المسارعة عسى الله أن ينفعك بها:

الحرص على الصلاة في أول وقتها، والحرص على الصف الأول، المسارعة في الأعمال الدعوية المختلفة، والمسارعة في البذل المالي لأجل الدعوة. وفقنا الله وإياكم لكل خير.

سابِق إلى الخير وبادِر بِهِ فإنّ مِن خَلفك ما تَعلم
وقَدِّم الخير فكُلّ امرئ على الذي قَدَّمه يُقْدِم

---

١ رواه أحمد (٢٠٦٣٠)، والترمذي (٣٧٠١) وإسناده حسن.

الصبر

من المقامات العظيمة في ديننا الصبر، وهو من الدين بمنزلة الرأس من الجسد، فإنّه لا إيمان لِمَن لا صبْر له. والقرآن الكريم ملىءٌ بالآيات التى تأمر بالصبر وتحثّ عليه، وهى في نحو تسعين موضعًا، جاءت على ستة عشر نوعًا، ممّا يدل على عِظم هذه المنزلة وأهميتها في حياة المسلمين، وبخاصّة الدعاة منهم، حيث إنّه الزاد الأساس في طريق دعوتهم، وفي هذا الدرس نتعرف على معنى الصبر وأهميته وأنواعه وثمراته، جعلنا الله وإياكم من عباده الصابرين.

معنى الصبر:

للصبر عند العلماء تعريفاتٍ عدة، نذكر منها أهمّها[1]:

الصبر: هو حبس النّفس عن الجزع والتّسخّط على أقدار الله تعالى، وحبسها على فعل الطاعات، وترك المعاصي والمنكرات.

أهميّة الصبر:

أجمع العلماء على وجوب الصبر على المسلم، قال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ۝٦٠﴾ [الروم: ٦٠].

وممّا يدل على أهميّة الصبر ما يلي:

١- كثرة ذكر الله تعالى للصبر في كتابه العزيز وأمره به، وقرنه بالصلاة في

(١) انظر: المفردات للراغب الأصفهاني، ص٤٧٤، عدّة الصابرين لابن القيم، ص١٦، التوقيف على مهمات التعريف للمناوي، ص ٢١٢ .

أكثر من موضع: كقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

جعل الله تعالى الإمامة في الدين نتيجةً حتميّة للصبر واليقين. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

شدّة حاجة العباد للصبر في أحوال حياتهم ومعاشهم المختلفة. فالمؤمن يتقلب في الدنيا بين حالين: ففى السراء شُرع له الشكر، وفي الضراء شُرع له الصبر، فإذا أنعم الله عليه أحسن، وإذا ابتُلي حبس نفسه عن القول والفعل المحرم، وكل ذلك له خير. فعن صُهيبٍ ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: "عجبًا لأمر المؤمن، إنّ أمره كلَّهُ خير، وليس ذاك لأحدٍ إلّا للمؤمن، إنْ أصابتهُ سرّاء شكر، فكان خيرًا له، وإنْ أصابتهُ ضرّاءُ صبر فكان خيرًا له"[1].

٢- الصبر سيّد الأخلاق وجامعها، وأساسها وقوامها، فالعفّة صبرٌ عن الشهوة المحرمة، والحلم صبرٌ عن الانتقام عند الغضب، وحسن الخلق فيه صبر على أذى الناس، وسعة الصدر صبرٌ عند الضجر، والقناعة صبرٌ على شظف العيش، وهكذا بقية الأخلاق.

فضل الصبر:

جعل الله الصبر جوادًا لا يكبو، وصارمًا لا ينبو، وجندًا لا يُهزم، وحصنًا حصينًا لا يُهدم ولا يُثلم، فهو والنصر أخوان شقيقان[2]. وقد جاءت النصوص الشرعية الدالّة على فضل الصبر، نذكر منها:

---

(١) رواه مسلم ٢٩٩٩.

(٢) انظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن القيّم.

من القرآن الكريم:

جاء فضل الصّبر في القرآن الكريم بصورٍ عديدة منها:

١- الثناء على الصابرين وبيان علوّ منزلتهم: قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢ - ٢٤].

٢- استصحاب معيّة الله وحفظه لأهل الصبر: قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

٣- تبشير أهل الصبر على ابتلاءات الدنيا ومصائبها بحصولهم على رضوان الله تعالى: قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [البقرة: ١٥٥].

فضل الصبر في السنّة النبويّة:

جاءت الأحاديث الكثيرة الدالة على فضل الصبر، منها ما يأتي:

١- عن أبي سعيد سعد بن مالك بنِ سنان الخدريّ رضي الله عنهما: "أنّ ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهُم، ثمّ سألوه فأعطاهُم، حتّى نفِد ما عنده، فقال لهم حين أنفقَ كلّ شيء بِيده: "ما يكن عندي من خير فلن أدّخرهُ عنكم، ومن يَسْتَعْفِف يُعفّهُ الله، ومن يستغنِ يُغنهِ الله، ومن يتصبّر يُصبّرهُ الله. وما أُعطي أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسعَ من الصّبر"(١).

---

(١) رواه البخاري ١٤٦٩واللفظ له، ومسلم١٠٥٣، وأبو داود ١٦٤٤، والترمذي ٢٠٢٤، والنسائي ٢٣٨٠.

٢- وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: مرّ النّبيّ ﷺ بامرأةٍ تبكي عند قبرٍ فقال: "اتّقي الله واصبِرِي" فقالت: إِليك عنّي، فإِنّك لم تُصَب بمصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها: إِنّه النّبيُّ ﷺ، فأتت باب النّبي ﷺ، فلم تجد عنده بوّابين، فقالت: لم أعرِفكَ، فقال: " إنّما الصّبرُ عند الصّدمة الأولى"(١).

أقسام الصبر:

يُقسم الصبر إلى ثلاثة أقسام هي كالآتي:(٢)

١- الصبر على الطاعات: يكون الصبر على الطاعات قبل فعلها، وذلك بالإخلاص لله تعالى، وفي حال فعلها، بحيث لا يتكاسل عنها، ولا يغفل عن تأديتها، ثمّ الصبر بعد العمل، فلا يُعجب بطاعته، أو يمُنّ بها فتكون طاعته سمعةً ورياءً. قال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [مريم: ٦٥]. وقال تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢].

٢- الصبر عن المعاصي والمحرّمات: وذلك بحبس النفس عن الوقوع فيما حرّم الله تعالى، من معاصي الجوارح؛ كمعاصي العين والأُذُن والّلسان، واليد والبطن والفرج.

٣- الصبر على أقدار الله تعالى: وذلك بالصبر على أنواع البلاء المختلفة، مثل: فقد الأحبة، أو هلاك الأموال، أو المرض، وسائر أنواع البلاء، فالصبر على ذلك من أعلى المقامات، لأنّه مستندٌ إلى يقين العبد بربّه. عن

(١) رواه البخاري ١٢٨٣ واللفظ له، ومسلم ٩٢٦، وأبو داود ٣١٢٤، والنسائي ١٠٨٤٠ .

(٢) انظر: إحياء علوم الدين، ج٤، ص ٦٧،٦٨، مختصر منهاج القاصدين ص٢٧٠، وتهذيب مدارج السالكين، ج٢، ص ٥٦٣ .

أبي هريرة ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ "من يُرِد الله به خيرًا يُصب منه"(١).

ويدخل في هذا القسم، الصبر على أذى الناس، كالذي يؤذى بقولٍ أو فعل أو جناية على نفسه أو ماله، وهذا الصبر من أعلى المراتب، قال تعالى: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]. وقال تعالى: ﴿وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦﴾ [النحل: ١٢٦].

ثمراتُ الصبر وفوائده:

للصبر ثمرات عديدة تعود على الفرد والأمّة منها ما يأتي:

١- الفوز برضا الله تعالى ومغفرته، والنعيم المقيم في جنّته سبحانه: قال تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [المؤمنون: ١١١].

٢- الصبر سببٌ للمدد الإلهي والنصر على الأعداء: قال تعالى: ﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥].

٣- الصبر سبيلُ تحقيق عزّة الأمّة وكرامتها، وشرطُ إحباط خطط الأعداء وإفشال تدابيرهم: قال تعالى: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

٤- الصبر يُكفّر السيئات ويمحو الذنوب: فعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يزالُ البلاء بالمؤمن أو المؤمنة في جسده وفي ماله وفي ولده حتّى يلقى الله وما عليه من خطيئة"(٢).

---

(١) رواه البخاري ٥٦٤٥.

(٢) رواه الترمذي ٢٣٩٩، وأحمد ٧٨٤٦ .

الوسائل المُعينة على الصبر:

هناك أمورٌ تساعد المسلم وتُعينه على الصبر، نذكر منها ما يأتي:

١- استحضار ثمار الصبر، وأجوره العظيمة.

٢- النظر والتأمل في سير أهل الصبر، كالأنبياء والصالحين والدعاة الصادقين. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤]. وقال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

٣- الدعاء لله تعالى، بأن يجعلنا الله من الصابرين. قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

٤- التّعزي بأهل المصائب والبلايا: قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ومن علاجه أن يطفئ نار مصيبته ببرد التأسي بأهل المصائب، وليعلم أنه في كل واد بنو سعد، ولينظر يمنة فهل يرى إلا محنة؟! ثم ليعطف يسرة فهل يرى إلاّ حسرة؟! وأنّه لو فتش العالم لم يرَ فيهم إلا مبتلى إمّا بفوات محبوب أو حصول مكروه، وأنّ شرور الدنيا أحلام نوم أو كظل زائل"[١].

٥- تعميق عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر في النفس: فهى صِمَام الأمان الواقى من الصدمات والنكسات، ومن آمن بالقضاء والقدر أيقن أنّ الدنيا دار ابتلاء، وأنّ القدر لا يُردّ ولا يؤجَّل فتطمئن نفسه، وتهون مصيبته.

صبرُ الدُّعاةِ:

الصبر على الدعوة إلى الله من أعظم الطاعات، لأنّ طريقها طويل محفوفٌ بالمشقات والآلام، لذا وجب على الداعية الاعتصام بالصبر والتمسك به.

---

(١) زاد المعاد، ج٤، ص ١٧٥ .

والصبر وإن كان واجبًا بأنواعه المختلفة على كلّ مسلم، إلاّ أنّه أوجب وأولى بحقّ الدعاة إلى الله؛ لأجل ذلك جاء الأمر الإلهي لإمام الدعاة وقدوتهم ﷺ في كثير من الآيات القرآنية بالصبر على طريق الدعوة وما فيه، قال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ۝٤٩﴾ [هود:٤٩]. وقال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وتظهر أهميّة الصبر في حياة الداعية من خلال ما يأتي:

١- سنّة الابتلاء في طريق الدعاة والدعوات تقتضي الصبر: لقد اقتضت سنّة الله تعالى في خلقه أنّ الابتلاءات، والاختبارات، لعباده أمرٌ لا بدّ منه، وخاصّة الدعاة إليه سبحانه؛ ليَميز الصادق من الكاذب، والمؤمن من المنافق، والصابر من غيره، قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢ - ٣].

وأشدُّ الناس بلاءً هم الأنبياء وإمامهم محمد ﷺ، فقد أُوذوا فصبروا، وجاهدوا حتى نصرهم الله على أعداء دينه. وفي مقابل هذه النماذج العظيمة من أهل الصبر والثبات، فقد عاب الله ﷻ على فئة لم تصبر على الأذى من أجل الدعوة إليه سبحانه: قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠].

يقول الأستاذ سيّد قطب مبيّنًا هذه الحالة: "ذلك النموذج من الناس، يعلن كلمة الإيمان في الرخاء يحسبها خفيفة الحمل، هينة المؤونة، لا تكلف إلا نطقها باللسان، «فَإِذا أُوذِيَ فِي اللهِ» بسبب الكلمة التي قالها وهو آمن معافى «جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذابِ اللهِ» فاستقبلها في جزع، واختلت في نفسه القيم، واهتزت في ضميره العقيدة وتصور أن لا عذاب بعد هذا الأذى الذي يلقاه،

حتى عذاب الله، وقال في نفسه: ها هو ذا عذاب شديد أليم ليس وراءه شيء، فعلام أصبر على الإيمان، وعذاب الله لا يزيد على ما أنا فيه من عذاب؟ وإن هو إلا الخلط بين أذى يقدر على مثله البشر، وعذاب الله الذي لا يعرف أحد مداه. هذا موقف ذلك النموذج من الناس في استقبال الفتنة في ساعة الشدة"[١].

٢- حاجة الداعية إلى الصبر في جميع حالات دعوته إلى الله: فالداعية يحتاج قبل دعوته أن يُخلّص نيته ويُجرّدها من دواعي الرياء والسمعة، وأن يصبر على ذلك بعقد العزم على القيام بواجباتها. وهو كذلك محتاج للصبر أثناء دعوته؛ بترك دواعي التقصير والتفريط في دعوته. وأن يصبر بعد دعوته، من خلال تحمّل الأذى الذي يلقاه في طريقها من القريب والبعيد، فالداعية إلى الله تعالى لا يمكنه أن يكون قدوة في دعوته إلاّ بالصبر والثبات عليها، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

قال الإمام أحمد:" بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين".

خاتمة:

أخي الداعية: الدعوة الى دين الله ﷻ مهمة جليلة عظيمة، أعطها حقها من الصبر والثبات حتى تنعم بخيرها، إنّ وظيفتنا اليوم تتمثل في ازاحة هذا الركام الهائل من هذه الجاهلية، وصورها المختلفة في العادات والتقاليد والأعراف والقيم والسلوك، وهذا يحتاج منّا الى مجاهدة وصبر ومصابرة، لمواجهة هذا العبث والاستخفاف بدين الله وشريعته، ومواجهة الحرب على دعوتنا. جعلنا الله وإياكم من عباده الصابرين.

---

(١) في ظلال القرآن ج ٥، ص ٢٧٢٣ .

الشكر

عبادة الشكر من العبادات الجليلة التي تعبدنا الله بها؛ وأمرنا بملازمتها، قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقد مرّ معنا أنّ الإيمان نصفان: صبرٌ وشكر، فالمؤمن صبورٌ شكور، صبورٌ على الطاعات والمصائب، شكورٌ على النّعم. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥]. وقد اقترن الصبر والشكر في كتاب الله تعالى في مواضع كثيرة، وعُدّ الشكر على النعمة مقابلًا للصبر على الضّراء.

وفي هذه الصفحات سنتعرف على معنى هذه العبادة العظيمة، وأهميّتها وفضلها وآثارها على المسلم.

معنى الشكر:

يُطلق الشكر في اللغة على الثّناء على الإنسان بمعروفٍ يصنعه لك [١].

وعرّفه أهل التزكية بتعاريف عدة، أجمعها ما أورده ابن القيم بقوله: "الشّكر: ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده: ثناءً واعترافًا، وعلى قلبه شهودا ومحبّة، وعلى جوارحه انقياداً وطاعة"[٢].

أهميّة الشكر وفضله:

الشكرُ شعبة من شعب الإيمان، وهو على درجةٍ كبيرة من الأهميّة،

(١) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس ج ٣، ص ٢٠٧، لسان العرب ج ٤، ص ٤٢٥.

(٢) تهذيب مدارج السالكين، ج٢، ص ٦١١.

فهو حافظٌ للنّعم الحاضرة، وجالبٌ للنّعم المرغوبة، فهو صنو الإيمان، كما أنّ الكفر صنو النكران. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢]. ويظهر فضل الشكر وأهميّته من خلال ما يأتي:

١- قرن الله تعالى الشكر بالإيمان، وقسّم سبحانه الناس إلى شكور وكفور، فأبغض الكفر وأهله، وأحبّ الشكر وأهله. قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣][1]

٢- أهلُ الشكر هم الذين خصّهم الله تعالى بمنّه وكرمه من بين عباده. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنعام: ٥٣]. [2]

٣- وعد الله سبحانه عباده بالمزيد من النعم؛ إذا شكروه عليها. قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم ٧].[3]

٤- وممّا يدل على فضل الشكر وأهميته؛ كيدُ الشيطان للشاكرين في قطعهم عن الشكر. وحكاية عن قول الشيطان، قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧].

٥- ومن أهمية وفضل الشكر أنّ من أسمائه سبحانه وتعالى (الشكور)،

---

(١) انظر: قوت القلوب في معاملة المحبوب، ج١، ص٣٤٠، تهذيب مدارج السالكين، ج٢، ص٦١٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٤١.

(٣) انظر: تهذيب مدارج السالكين، ج٢، ص٦١٢.

قال تعالى: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [التغابن: ١٧].

وذكر أنّ من أجلى صفات أنبيائه عليهم السلام أنهم كانوا له شاكرين، قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

وأنّ قلةً من عباده من يتجلى فيه اسم الشاكر. قال تعالى: ﴿ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ [سبأ: ١٣].

قواعد الشكر:

ورد الشكر في القرآن الكريم على وجهين: شُكرٌ من الربّ لعبده، وشكرٌ من العبد لربه. أمّا الأول: فقد سمّى الله تعالى نفسه شاكرًا وشكورًا، قال تعالى: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]. وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧]. وشكرُ الربّ لعبده أن يُثيبه الثواب الجزيل على عمله القليل، وهذا من فضله سبحانه على عباده المؤمنين. قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [الإنسان: ٢٢].

وأمّا شكر العبد لربه فهذا له في القرآن الكريم أوجه كثيرة، ذكرها ابن القيم رحمه الله، لا يتمُّ الشكر إلاّ بها هي كالآتي:

١- خضوع الشاكر للمشكور.

٢- حبّه له.

٣- اعترافه بنعمته.

٤- ثناؤه عليه بها.

٥- ألّا يستعملها فيما يكره.[١]

فهذه الخمس هي أساس الشكر، وبناؤه عليها. فمتى عُدِمَ منها واحدة اختل من قواعد الشكر قاعدة.

أقسام الشكر:

أقسام الشكر تكون بالقلب واللسان والجوارح نبيِّنُها فيما يلي:

القسم الأول: شُكرُ القلب: وأمّا شكر القلب فهو أن يعتقد القلب ويُقرُّ بأنّ ما بالعبد من نعمة فإنّما هي من الله تعالى وحده، وأنّه لا حول للعبد ولا قوة له بها. قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

القسم الثاني: شُكر اللسان: وأمّا شكر اللسان فيكون ذلك بالثناء على الله تعالى، وذكر نعمه والتحدث بها. وقد علّمنا نبينا ﷺ كيف نشكر ربنا بألسنتنا، وعلّمنا ماذا نقول، ومثال ذلك: الأذكار والأدعية المُتضمنة شكر الله تعالى على نعمه وآلائه. عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: "يا معاذ والله إنّي لأحبك. فقال: أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللّهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك"[٢].

ويدخل في هذا القسم من الشكر كلّ ذكرٍ لله من قراءة للقرآن أو التسبيح أو التهليل أو الاستغفار.

القسم الثالث: شُكر الجوارح: وذلك بقيام الجوارح بشكر مولاها عز وجل بإخلاص العبودية له، وملازمة الطاعات وترك المنكرات.

---

(١) تهذيب مدارج السالكين، ج٢، ص٦١١.

(٢) رواه أبو داود ١٥٢٢، والنسائي ١٣٠٣.

ثمرات الشكر وفوائده:

ذكرنا أنّ الله تعالى دعا عباده إلى التخلق بالشكر، لما في ذلك من الفوائد والثمرات، نذكر منها ما يلي:

١- الأجر العظيم، والثواب الجزيل في الآخرة: قال تعالى: ﴿وَسَنَجْزِي ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

٢- حفظُ النعم من الزوال، والبركة فيها: قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]. قال عليّ ابن أبى طالب رضي الله عنه لرجلٍ: "إنّ النعمة موصولة بالشكر، والشكر يتعلق بالمزيد، وهما مقرونان في قرَن، فلن ينقطع المزيد من الله، حتى ينقطع الشكر من العبد"[1].

٣- انشراحُ الصدر بالشكر، فالشاكر قرير العين، هادئ الحال.

٤- سببٌ لدوام العلاقة بين الناس، فالشاكرون يألفون ويؤلفون.

الوسائل المُعينة على الشكر:

هناك وسائل تُعين العبد على شُكر الله تعالى، نذكر منها ما يأتي:

١- دوام التفكر بنعم الله تعالى والتحدث بها: قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٧١ – ٧٣].

٢- تحقيق تقوى الله تعالى، ولزوم طاعته: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران: ١٢٣].

٣- استشعار كمال قدرة الله، وغناه، وافتقار العبد إليه سبحانه: قال تعالى:

---

(١) الشكر لابن أبي الدنيا، ص ١١.

﴿وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ﴾ [لقمان: ١٢].

٤- النّظر في أحوال الفقراء والمساكين ممن هم محرومون من النعم التى تملكها.

٥- سجود الشكر: فعن أبى بكرة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا جاءه أمرٌ بُشّرَ به؛ خرَّ ساجدًا؛ شاكرًا لله[١].

ومعلومٌ أنّ هذه السجدة لا تشترط لها طهارة، ولا استقبال قبلة.

٦- شكرُ أهل المعروف على معروفهم، وأهل الإحسان على إحسانهم. عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ:"لا يَشْكُرُ اللهَ من لا يَشْكُرُ النّاسَ"[٢].

خاتمة:

أخى الداعية الحبيب: لقد أكرمك الله تبارك وتعالى بما حباك من نعمه ومنّ عليك من عطياه، وإنّ من أعظم هذه المنن أنْ جعلك من المسلمين، واصطفاك لحمل رسالته، والعمل لنُصرة دينه، وهى نعمةٌ قال عنها الإمام أحمد:" لو علم بها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف". فاشكر الله تعالى أن جعلك من هذه الفئة المباركة، ومن السائرين في ركب هذه الدعوة المباركة. وهذا يقتضيك أن تقوم بأعباء هذا الدين وهذه الدعوة، وأنْ لا تركن إلى الدّعة والراحة أبدًا، فإنّه لا راحة للعبد إلا بلقاء ربّه. قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

جعلنا الله وإيّاك من عباده الشاكرين.

---

(١) رواه أبو داود ٢٧٧٤ .

(٢) رواه أبو داود ٤٨١١، الترمذي١٩٥٤، أحمد ٧٩٣٩.

الشجاعة

الشجاعة من الأخلاق العظيمة التي دعا الإسلام إلى التحلي بها؛ فهي خُلقٌ كريم ووصْفٌ نبيل، يَحمل النفس على التحلِّي بعزائم الفضائل، وابتعادها عن الاتِّصاف بالرذائل، والشجاعة من أعزِّ أخلاق الإسلام، وأَشرف أخلاق العرب، وهي الإقدام على المكاره، وثَبات الجأش عند المخاوف.

إنَّها سرُّ بقاء البشر، واستمرار الحياة السليمة، والعيش الهانئ، لأَنَّها تَجعل الإنسان يُدافِع عن حياته وكرامته، ولا يقبل الدنيّة في دينه، أو الضيم في معيشته.

والشجاعة غريزة يَضعها الله فيمَن شاء من عباده؛ يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إنَّ الشجاعة والجُبن غرائزُ في الرجال"[1].

والعرب يقولون: الشجاعة وقاية، والجُبن مَقتلةٌ[2].

وقال أحد الحكماء لا تُرْفَع كلّ كريهة، ولا تُكتَسب كلّ مَكْرُمة؛ إلاّ بالشجاعة. وسنتعرف في هذه الصفحات على هذه الصفة الكريمة، وأهميتها، وفضلها.

معنى الشجاعة:

الشجاعة في اللغة: الجرأة والإقدام، وتطلق على شدّة القلب في البأس[3].

---

(١) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا، ص ٧٠.

(٢) الفروسية لابن القيّم، ص٤٩١.

(٣) انظر: الصحاح: ج٣، ص ١٢٣٥، ومقاييس اللغة ج١، ص ٢٤٧، ولسان العرب ج، ص ١٧٣.

وأمّا تعريف الشجاعة في اصطلاح العلماء، فعرّفها ابن حزم (ت٤٥٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنّها: بذلُ النّفس للذّود عن الدّين أو الحريم أو عن الجار المُضطهد أو عن المُستجير المظلوم، وعمّن هُضم ظُلمًا في المال والعرض، وسائر سُبل الحقّ سواء قلّ من يُعارض أو كَثُر [(١)].

أخي الداعية الحبيب: من خلال هذا التعريف يمكننا أن ندرك بعضًا من الأمور المُهمّة التي تتضمنها الشجاعة:

١- الشجاعة ليست في الحروب فحسب، بل الشجاعة تكون أيضًا في المواقف، وذلك بقول كلمة الحقّ والصدع بها.

٢- الشجاعة من القلب بثباته واستقراره عند المخاوف، وهي خلقٌ يتولد من الصبر وحسن الظن. قال ابن القيّم: "لقد كان الصّديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أشجعَ الأمّة بعد رسول الله ﷺ، وكان عمر وغيره أقوى منهُ، ولكن برز على الصّحابة كلّهم بثبات قلبه في كلّ موطن من المواطن الّتي تُزلزل الجبال، وهو في ذلك ثابتُ القلب ربيط الجأش، يلوذ به شُجعان الصّحابة وأبطالهم فيثبّتهم ويشجّعهم"[(٢)].

٣- الشجاعة تكون في الذياد عن الدين والنفس والأهل والأوطان ونُصرة الضعفاء والمظلومين.

أهميّة الشجاعة وفضلها:

تظهر أهميّة الشجاعة وفضلها من خلال ما يأتي:

١- جاءت نصوص القرآن الكريم بأمر الله تعالى لعباده بالقتال في

---

(١) الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص ٣٢.

(٢) الفروسية، لابن القيم، ص: ٥٠٠.

سبيله، والثبات والإقدام في الحروب، وعدم الجبن قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٥ - ١٦].

٢- عدّ الإسلام أنّ منتهى الشجاعة، وغاية الجود، هي في بذل المسلم روحه رخيصة في سبيل إحقاق الحقّ، ونُصرة المظلومين.

٣- الشجاعة سبب صلاح أحوال المسلمين أفرادًا وجماعات: فبالشجاعة يُدفع اعتداء الصائل، وينتصر المسلمون على أعدائهم، ويُذلّ الكفر وأهله قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [التحريم: ٩].

٤- الشجاعة أصل الفضائل، وعنوان مكارم الأخلاق كلّها. فيصدر منها أنفة الإيمان، والغيرة، والكرم، والنجدة، والشهامة، والاحتمال، والحلم، والثبات، وكظم الغيظ وأمثالها.

مواقف من سيَر أهل الشجاعة:

ممّا يُكسبُ المرء الشجاعة، ذكرُ سيَر أهلها ومواقفهم الشجاعة، ونذكر في هذه العُجالة بعض صور أهل الشجاعة.

١- شجاعة النبي ﷺ: لقد كان النبي ﷺ أشجع الناس، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كان رسول الله ﷺ أحسن النّاس، وكان أجود النّاس، وكان أشجَعَ النّاس"[١].

(١) رواه البخاري ٢٨٢٠ واللفظ له، مسلم ٢٣٠٧، الترمذي ١٦٨٧ وابن ماجه ٢٧٧٢.

والمواقف التي تدل على شجاعته ﷺ قد تواترت بها الأخبار، نأخذ منها هذا الموقف المهيب في غزوة حنين. فعن أبي إسحاق، قال: جاء رجل إلى البراء رضي الله عنه، فقال: أَكُنْتم ولَّيتُم يوم حُنين يا أبا عُمارة؟ فقال: أشْهدُ على نبيّ الله ﷺ ما ولّى، ولكنّه انطلق أخِفّاءُ من النّاس[١]، وحُسَّرٌ[٢]، إلى هذا الحيِّ من هوازن، وهُمْ قوْم رُماةٌ، فرمَوْهُم برِشْقٍ[٣] مِنْ نَبْلٍ كأنّها رِجْلٌ من جرادٍ[٤]، فانكشفوا، فأقْبل القَوْم إلى رسُول الله ﷺ وأبو سفيان بن الحارث يقود به بغلته، فنزلَ ودعا واسْتَنْصَر، وهو يقول: «أنا النبيّ لا كذب، أنا ابن عبد المطّلب، اللهُمّ نزِّل نصْرك»، قال البراء: «كُنّا واللهِ إذا احْمَرَّ البَأْسُ نتَّقي به، وإنّ الشُّجاع منّا للّذي يُحاذي به[٥] يعني النّبيّ ﷺ»[٦].

٢- شجاعة الأنبياء عليهم السلام: لقد كان الأنبياء مضرب المثل في الشجاعة والإقدام، ونذكر من شجاعتهم عليهم السلام مَثلين لنبيّين كريمين.

أ- شجاعة إبراهيم عليه السلام: فقد حمل التوحيد وجهر به، وكان شجاعًا عند إدخاله النّار، وكان شجاع القلب في تسليمه لأمر الله بذبح ولده إسماعيل، وعمده إلى الأصنام فكسّرها قال تعالى: ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ۝٩٣ ﴾ [الصافات: ٩٣].

---

(١) جمع خفيف، وهم المُسارِعون المُستعجلون. وفي رواية: ولكنه خرج شبان أصحابه، وأخفاؤهم.

(٢) جمع حاسر أي: ليس عليهم سلاح أو دروع.

(٣) الرشق: السهام التي ترميها الجماعة دفعة واحدة .

(٤) كأنها قطعة من جراد، والرِّجل بالكسر: الجراد الكثير .

(٥) أي: يحتمي به.

(٦) رواه البخاري (٢٩٣٠،٢٨٧٤،٢٨٦٤)، ومسلم ١٧٧٦ واللفظ له، والنسائي ٨٥٨٤.

ب- شجاعة موسى عليه السلام: فقد كان شجاعًا في ميدان الحجّة والبرهان، والوقوف أمام الطغيان، وكان شجاعًا أمام السحرة وأباطيلهم، وكان رابط الجأش يوم ضرب البحر بعصاه قائلًا: قال تعالى: ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢].

٣- شجاعة الصحابة رضي الله عنهم: لقد كان الصحابة أشجع النّاس بعد الأنبياء، ومن الأمثلة على شجاعتهم رضي الله عنهم:

أ- شجاعة أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه: فقد كان رضي الله عنه أشجع الصحابة رضوان الله عليهم، وتجلت هذه الشجاعة في مواقف كثيرة، سواء في حياته صلى الله عليه وسلم، أم بعد وفاته، فقد كان شجاعًا في المسارعة بتصديق نبوة النبيّ صلى الله عليه وسلم ونُصرته بماله وأهله ونفسه، وظهرت شجاعته وثباته في الغار، وكان شجاعًا يوم بدرٍ وهو يذبّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أذى قريش، وشجاعته يوم حُنين فقد ثبت بجانب النبيّ صلى الله عليه وسلم ولم يفرّ مع الذين فرّوا، وتجلت شجاعته يوم وفاة النبيّ صلى الله عليه وسلم بإعلان الوفاة بصبرٍ وثبات، ثمّ شجاعته يوم أن أعلن الحرب على المرتدين وقتالهم. قال ابن القيّم: "تِلْكَ لعمر الله الشجَاعَة الّتي تضاءلت لها فرسان الأُمم، والهمّة الّتي تصاغرت عندها عليّات الهمم. ويحقّ لصدّيق الأمّة أَن يضْرب من هذا المغنم بأوفر نصيب، وكيف لا وقد فاز من ميراث النّبوّة، فكان المَوْرُوث صلوات الله وسلامه عليه أشجع النّاس فكذلك وارثه وخليفته من بعده أشجع الأمّة بالقياس"[1].

ب- شجاعة الزبير بن العوّام رضي الله عنه: فعن هشام بن عروة، عن أبيه: "أنَّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا للزبير يوم اليرموك، ألا تشدّ فنشدّ معك؟

(١) الفروسية، ص ٥٠٢ .

فقال: إنِّى إنْ شددتُ كذبتم، فقالوا لا نفعل، فحَمَلَ عليهم حتى شقّ صفوفهم فجاوزهم وما معه أحد، ثمّ رجع مقبلًا فأخذوا بلجامه فضربوه ضربتين على عاتقه بينهما ضربة ضربها يوم بدر، قال عروة: كنتُ أدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير"[١].

وعن عمرو بن دينار قال: كان يُقال: "أشجع النَّاس الزبير، وأبسلهم عليّ رضي الله عنهما، والباسل فوق الشجاع"[٢].

٤- شجاعة العلماء والمُصلحين:

أ- شجاعة سلطان العلماء العزّ بن عبد السلام (بائع الملوك) رحمه الله:

شيخ الإسلام والمسلمين وأحد الأئمة الأعلام، سلطان العلماء إمام عصره بلا مدافعة، القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمانه المطّلع على حقائق الشريعة وغوامضها، العارف بمقاصدها، لم يَر مثل نفسه، ولا رأى من رآه مثلَه، عِلمًا ووَرَعا، وقيامًا في الحقّ، وشجاعةً، وقُوَّة جَنان، وسلاطة لسان. ومن المواقف التي تدلّ على شجاعته، ما أنكره على أيوب سلطان مصر من انتشار الخمور والمنكرات، قائلًا له: "يا أيوب ما حُجتك عند الله إذا قال لك ألم أبوئ لك ملك مصر ثم تبيح الخمور؟" فطلب السلطان بإغلاق تلك الحانة. يقول الباجي: سألتُ الشيخ لما جاء من عند السلطان وقد شاع هذا الخبر: يا سيدي كيف الحال؟ فقال يا بني رأيته في تلك العظمة فأردت أن أُهينه لئلا تكبر نفسه فتؤذيه. فقلت يا سيدي أما خفته؟ فقال والله يا بنيّ إنّي استحضرت هيبة الله تعالى فصار

(١) رواه البخاري: ٣٩٧٥،٣٧٢١.

(٢) مكارم الأخلاق، لابن أبي الدنيا، ص ٥٧.

السلطان قدامي كالقطّ"(١).

ب- شجاعة المرشد الثالث للجماعة عمر التلمساني أمام السادات:

من المواقف الخالدة في شجاعة قول الحقّ أمام الظلمة، ما سطّره التاريخ من مواجهة الأستاذ عمر التلمساني للظالم المتغطرس رئيس مصر الأسبق، ففى ندوة الفكر الإسلامى التى عقدت في الإسماعيلية في ١٩٧٩ وحضرها التلمساني، وجّه السادات لهُ وللإخوان تهمًا عديدة، من بينها التخريب والعمالة وإثارة الطلبة وإشعال الفتنة الطائفية، وما كان من التلمساني إلاّ أن طلب الردّ تعقيبًا على اتهامات السادات، ووقف أمامه ثابتًا شجاعًا قائلًا له: "لو أنّ غيرك وجّه إليّ مثل هذه التُهم لشكوتُه إليكَ، أمَا وأنتَ يا محمد يا أنور يا سادات صاحبها، فإنّى أشكوكَ إلى أحكم الحاكمين وأعدل العادلين، لقد آذيتنى يا رجل، وقد أَلزم الفراش أسابيع من وقْعِ ما سمعتُه منك".

وارتجّ السادات، واضطرب لوقع هذه الكلمات الصادقة النابضة بالثقة والإيمان والشجاعة فقال له: "إننى لم أقصد الإساءة إلى الأستاذ عمر ولا إلى الإخوان المسلمين، اسحب شكواك، فأجابه التلمساني: بأنها رُفعت إلى من لا أستطيع استرداد ما وضعته بين يديه"(٢).

ج- شجاعة الدكتور محمد مرسى رَحِمَهُ اللهُ: فإذا ذكر الشُجعان في هذا العصر، برز اسم الدكتور مرسى كسيّدٍ من ساداتهم، وعلم من أعلامهم، فقد حبسه الظلمة في صندوقٍ زجاجيٍّ كي لا تُسمع كلماته الناس، فخلّد

---

(١) انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكى، ج ٨، ص٢٠٩-٢١٢ .

(٢) انظر: الموسوعة التاريخية الرسمية لجماعة الإخوان.

الناس كلامه ومواقفه، وعلّم الأجيال دروسًا في الشجاعة والثبات، حتى لم تبق مدينة في العالم لم تُقم عليه صلاة الغائب بعد وفاته.

د- شجاعة أهل فلسطين في جهاد اليهود الغاصبين: شعب فلسطين شعبٌ مسكون بشجاعة نادرة، لا يعرف قدرها المسكونون بالجبن والخوف والذلّ، شعبٌ يجاهد العدو المحتل بقوة الإيمان والإرادة. وعبر تاريخ طويل من الصراع سطعت نجوم الجهاد والمجاهدين متوهجةً في سماء فلسطين، وظهرت الشجاعة في أبرز صورها في موكب الشهداء الممتد من عزالدين القسام مرورًا بأحمد الياسين والرنتيسى وعماد عقل والعيّاش وأبو هنود وغيرهم، ممن سطّروا بدمائهم أروع قصص المجد والشجاعة والبطولة، ولا ننسى جهاد نساء فلسطين وشجاعتهنّ في البذل والتربية والإعداد، والمشاركة في قتال اليهود بالعمليات الاستشهادية وغيرها.

الوسائل المُعينة على الشجاعة:

الشجاعة كسائر الأخلاق الإسلامية؛ منها ما هو فطريّ ومنها ما هو مكتسب، ولاكتساب خلق الشجاعة وسائل متعددة نذكر منها ما يأتي:

١- تعميق عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر: فهذا من أعظم الأمور التى تنشِّئ الشَّجاعة وتنمِّيها؛ وذلك بأن يعلم العبد أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأنَّ ما أخطأه لم يكن ليصيبه.

٢- الإكثار من ذكر الله تعالى والمداومة عليه: قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٤٥﴾ [الأنفال: ٤٥].

٣- إدراك أهميّة ومحاسن الشَّجاعة، ومنافعها وآثارها العظيمة. فإنّه

متى تمكَّن هذا الإدراك من قلب العبد؛ قوي قلبه، واطمأنَّ فؤاده وأقدم على كُلِّ قولٍ وفعلٍ ينفع الإقدام عليه.

٤- تربية الجيل على سيَر الشجعان، وذكر قصصهم.

عبارات حول الشجاعة:

وردت عباراتٌ جميلة، ومؤثرة في امتداح الشجاعة وأهلها، نذكر منها ما يأتي:

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه موصيًا خالد بن الوليد رضي الله عنه: "احرص على الموت توهب لك الحياة"[1].

وخطب عبد الله بن الزبير رضي الله عنه النّاس لما بلغه قتل أخيه مصعب فقال: "إنْ يُقتل فقد قُتل أبوه وأخوه وعمّه. إنّا والله لا نموت حتفًا، ولكن نموت قعصًا بأطراف الرماح، وموتًا تحت ظلال السيوف. وإنْ يُقتل مصعب فإنّ في آل الزبير خلفًا منه"[2].

خاتمة:

أخي الداعية الشجاع:

إنّ الداعية المُدرك لطبيعة رسالته، المتمسك بالحقّ، عليه أن يكون شجاعا في عرض هذا الحقّ، وفي الدفاع عنه؛ لأنّ الشجاعة قوة دافعة، تُظهر قوة الإيمان، وتؤكد قناعة الداعية بما يعمل له. تذكّر دومًا وأنت في طريق الدعوة إلى الله أنّ الشجاعة تتحول بصاحبها إلى عادة تعطيه القدرة على

---

(١) العقد الفريد، لابن عبد ربه، ج ١، ٩٢.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه ج ١، ص ١٠١ .

عرض دعوته على جميع الناس، فلا يخاف أحدًا، ولا يهرب من ملاقاة آخر، وبذلك يقوم بواجب الدعوة إلى الله.

والشجاعة أخي الداعية جرأةٌ وإقدام عند الحاجة إليها، ولذلك لزم أن يلتزم الدعاة بآدابها، وأخلاقها؛ فلا تهور، ولا اندفاع، ولا عدوان، أو إظهار الإقدام فيما لا يفيد، فذلك كلّه ليس من الشجاعة في شيء.

ولقد سئل أحد السلف عن الشجاعة فقال: الشجاعة صبر ساعة. جعلنا الله واياك من الشجعان الذين يذبون عن دينه وشريعته، ويذودون عن الأمة والأوطان والمقدسات.

النجدة ونصرة الضعيف

تحدثنا في الموضوع السابق عن الشجاعة وأهميّتها للداعية، ومن صور الشجاعة التي رغّب الإسلام فيها، وحثّ عليها: نُصرة الضعيف والمظلوم.

ولقد كان الدفاع عن حقّ الإنسان وكرامته جزءاً من عادات العرب حتى في جاهليتهم، وكانت قيمة القبيلة عند العرب تقدر بمدى النجدة للمظلوم، ونُصرة الضعيف، وإغاثة المظلوم والملهوف، ولمّا جاء الإسلام أكّد على هذه القيمة النبيلة، واعتبرها من أهم الواجبات والحقوق التي تُرتّب للمسلم على أخيه المسلم، فعن البراء بن عازب ﵁ قال: أمرنا رسول الله ﷺ بسبْعٍ، ونهانا عن سبعٍ، أمرنا بعيادة المريض، وإتباع الجنازة، وتشميت العاطس، وإبرار القسم أو المُقْسِم، ونصْرِ المظلُوم، وإجابة الدّاعي، وإفشاء السّلام"[(١)].

وفي هذه الصفحات نتعرف على نُصرة المظلوم وأهميتها وآثارها.

معنى نُصرة الضعيف:

يأتي مفهوم النُصرة عند أهل اللغة بمعنى: النَّصر والعون[(٢)].

وأمّا في اصطلاح أهل التزكية فتُعرّف النّجدة ونُصرة الضعيف على أنّها: تلك الغَيْرة الإيمانيَّة، التي تدفع المسلم لرفع الظُّلم عن أخيه المسلم المُستَضْعف، وإنصافه، بإحقاق حقّه، واستعلائه على خصمه، ببذل الشجاعة في نُصرة الحقّ.

---

(١) رواه البخاري ١٢٣٩، ٢٤٤٥، ٥١٧٥،٥٦٥٣ واللفظ له، مسلم ٢٠٦٦، الترمذي ٢٨٠٩، النسائي،٢٠٧٧، احمد ٥١٧٥.

(٢) انظر: الصحاح تاج اللغة ج،٢، ص ٨٢٩، و لسان العرب ج٥، ص ٢١٠.

أهميّة النجدة ونُصرة الضعيف وفضلهما:

نجدة المظلوم ونُصرته لها فضلٌ عظيم؛ جاءت النصوص لتحثّ عليها، ويظهر فضلها وأهميتها من خلال ما يأتي:

١ - عدّ الإسلام كلَّ إنسان مظلوم في دينه، أو في دنياه، أو معتدىً عليه في نفسه أو في أهله أو ماله، أهلًا للنّجدة والنُصرة. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٢].

ويلحق بالمسلم في وجوب النُصرة: أهل الذمة، والمعاهدون في دار الإسلام، وكلّ مستضعف في الأرض أيًّا كان دينه أو جنسه أو لغته.

٢- رغّب النبي ﷺ في نُصرة المظلوم والضعيف ونجدته، وبيّن لنا عِظَمَ أجر ذلك، ورهّبنا من الوعيد الشديد الذي ينتظر من يخذلهم.

فعن عبد اللّه بن عمر رضي الله عنهما: أنّ رسول اللّه ﷺ قال: "المسلم أخو المسلم لا يظلمُه ولا يُسْلِمُه، ومن كان في حاجة أخيه كان اللّه في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة، فرّج اللّه عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره اللّه يوم القيامة" (١).

فالحديث يُشير إلى أنّ المُسلم لا يتخلى عن أخيه ولا يتركه إلى الظالم، ولا يتركه إلى من يؤذيه؛ بل ينصره ويدفع عنه الظلم.

---

(١) رواه البخاري(٢٤٤٢، ٦٩٥١) واللفظ له، مسلم٢٥٨٠، أبو داود٤٨٩٣، الترمذي ١٤٢٦، أحمد ٥٦٤٦.

٣- لا يُمكن للظالم أن يرتدع، أو أن يكفّ عن ظلمه؛ إلاّ إذا أدرك أنّ بجانب المظلوم من يردّ ظلامته، وأنّه في حمى أهل النجدة.

٤- النّجدة ونُصرة المظلوم تزيد من روابط أفراد المجمتع الواحد، وتعمل على صيانته من التمزق والفرقة.

٥- النّجدة ونُصرة المظلوم تحقق المواطنة الصالحة للأفراد، والولاء لله ولدينه ولعباده الصالحين بين هؤلاء الأفراد.

من صور نجدة ونُصرة الضعيف:

جعل الإسلام لنجدة ونُصرة الضعيف صورًا متعددة، وطرقًا مختلفة؛ نذكر منها ما يأتي:

١. النُصرة العسكريّة: وتكون تلك النُصرة والنجدة لبلاد المسلمين المحتلة، وشعوبهم المُستَذَلّة، كما في فلسطين وغيرها.

٢. النُصرة السياسيّة: وذلك بعمل التدابير الكفيلة لنُصرة المظلومين، من إدانة الظلم وملاحقة الظالمين، وسنّ القوانين الرادعة لرعاية حقوق العباد.

٣. النُصرة بالدعاء: وهي من أهم سُبل النُصرة وأنفعها للمظلوم، وأفتكها بالظالم، وهذا الدعاء سهلٌ ميسور، ومتاحٌ لكل مسلم في الليل والنهار، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ۝٩ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ۝١٠ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١﴾ [القمر: ٩ - ١١].

وقد كان النبي ﷺ كثيرًا ما يلجأ إلى هذه الوسيلة الناجعة لنُصرة المظلومين، فقد كان يدعو في قنوته على الظالمين ويستنصر للمظلومين:

فعن أبي هريرة ﷺ، قال: بينا النّبيّ ﷺ يُصلّي العِشاء إذْ قال: " سمع اللّه لِمَن حمده، ثمّ قال قبل أن يسْجُد: اللّهمّ نجّ عيّاش بن أبي ربيعة، اللّهمّ نجّ سلَمَة بن هشام، اللّهمّ نجّ الوليد بن الوليد، اللّهمّ نجّ المُستضعَفين من المؤمنين، اللّهمّ اشدُدْ وطْأتَكَ على مُضر، اللّهمّ اجعلها سنين كسنيّ يوسف"[(١)].

٤ . النُصرة الإغاثيّة: وذلك بتوفير ما يحتاج إليه المعتدى عليه من طعام أو شراب أو دواء وغير ذلك من ضرورات الحياة.

٥ . النُصرة الإعلاميّة، وذلك باستخدام كلّ الوسائل الإعلامية المُتاحة، بالتّعريف بالمظلومين وقضياهم العادلة، وما يقع عليهم من صنوف الظلم، والتعريف بظالميهم، والتشهير بجرائمهم، وحشد الدّعم الإعلاميّ في هذا الميدان.

آثار النجدة ونُصرة الضعيف:

لنُصرة المظلوم ونجدته آثار عديدة تعود على الفرد وعلى المجتمع، نذكر منها ما يأتي:

١- نصر الله ﷻ وتمكين الأمّة التى يُنْصَر فيها المظْلوم، ويؤخذ فيها حقَّه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إنَّ الله يقيم الدَّولة العادلة، وإن كانت كافرة، ولا يُقيم الدَّولة الظَّالمة، وإن كانت مسلمة"[(٢)].

٢- نجاة الأمَّة من العقاب، فإذا لم تَنْصر الأمَّةُ مظلوميها، وتأخذ على

---

(١) رواه البخاري (١٠٠٦،٨٠٤، ٤٥٩٨) واللفظ له، ومسلم٦٧٥، أبو داود١٤٤٢، النسائي٦٦٥.

(٢) مجموع الفتاوى، ج ٢٨، ص١٤٦ .

يد الظَّالمين فيها، وتمنعهم من ظُّلمهم، فسَيَعُمُّ العقابُ على الجميع. ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةًۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].

٣- نُصرة الضعيف والمظلوم ونجدتهم، تورث تقديس الله للأمَّة، بتطهيرها من دنس الذُّنوب. فعن جابر بن عبد الله ﵁ قال: "لمّا رَجَعَت إلى رسول الله ﷺ مُهَاجرة البحر، قال: ألا تُحَدِّثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟ قال فتيةٌ منهم: بلى يا رسول الله، بينا نحن جلوسٌ مرَّت بنا عجوز من عجائز رهابينهم، تحملُ على رأسها قُلَّةً من ماء، فمرَّت بفتى منهم، فجعل إحدى يديه بين كتفيها، ثمَّ دفعها، فخرَّت على رُكبتيها، فانكسرت قُلَّتها، فلمَّا ارتفعت، التفتت إليه، فقالت: سوف تعلم -يا غُدَرُ- إذا وضع الله الكرسيَّ، وجمع الأولين والآخرين، وتكلَّمتْ الأيدي والأرجُلُ بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرُكَ عنده غدًا، قال: يقول رسول الله ﷺ: صَدَقَت صَدَقَت، كيف يُقدِّسُ الله أمَّةً لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم؟!"(١).

٤- نُصرة المظلومين ونجدتهم من أعظم ما يعمق الأخوّة الإيمانية ويعززها ويقويها.

الوسائل المُعينة على نُصرة الضعيف ونجدته:

هناك وسائل تُعين العبد على نُصرة الضعيف والمظلوم ونجدته، نذكر منها ما يلي:

١- استشعار الأجر العظيم المترتب على نُصرة الضعيف والمظلوم.

---

(١) رواه ابن ماجه ٤٠١٠ .

فلقد أثنى النّبي ﷺ على حلف الفضول الذي كان يهدف إلى نُصرة المظلوم، وردّ الحقوق إلى أهلها، وكان تحالفًا في الجاهلية، لكنّه ﷺ بيّن لنا أهمية الحلف لخدمة المصالح الإنسانية المشتركة؛ فقال: "لقد شهدت في دار عبد الله بن جُدعان حلفًا ما أُحبّ أنّ لي به حُمْر النّعم، ولو أُدعى به في الإسلام لأجبت"(١).

٢- استخدام جميع الميادين في نُصرة المظلومين والضعفاء، كالنُصرة بالمال، والجاه، والشفاعة، وغيرها.

٣- بذل الدعاء للضعفاء والمظلومين، والدعاء على من ظلمهم أو آذاهم.

٤- بذل النُصرة من خلال الشبكة العنكبوتية، ومواقع التواصل الاجتماعي.

الخاتمة:

أخي الداعية: كم في المسلمين اليوم من المظلومين، الّذين يرى العالم مظلمتهم والتنكيل بهم ولا يلتفت لمظالمهم أحد؟! وأنت أخي الموفق أقدر النّاس على القيام بهذا العمل، فتقدّم بإيمانك، وانتصارك للحقّ وأهله، لنُصرة هؤلاء المظلومين، وإعانتهم ونجدتهم، بما تيسر لك من وسائل النُصرة والنجدة، حتى ييسر الله لك في دروب الحياة من يعينك وينصرك؛ فالجزاء من جنس العمل.

جعلنا الله وإياك من أنصار المظلومين، وجعلنا من الباذلين في سبيل نُصرتهم ونجدتهم.

---

(١) مسند الإمام أحمد، ١٦٥٥

الجود والكرم

الجود والكرم من الأخلاق النبيلة العظيمة التي عرفها الناس منذ الأزل. فقد مدحوا بها ساداتهم، وجعلوها دليل الرفعة والفخار، وغاية المجد؛ لما فيها من الإيثار وعلو الهمم والأقدار. وكان الجود والكرم عندهم نقيض البخل واللؤم والعار، واعتبروا فقدها سبب كلّ نقيصةٍ ومذمة. ولقد كان الجود والكرم من أبرز صفات المجتمع العربي الجاهليّ، فاشتهروا بالكرم ورويت عنهم مواقف عظيمة في ذلك؛ كان من أبرزهم وأشهرهم: حاتم الطائي، وعبد الله بن جُدعان، وغيرهما كثير.

ولمّا جاء الإسلام هذّب هذه القيمة النبيلة، واهتم بها كثيرًا، وأمر بها، وحثّ عليها، فالكريم اسمٌ من أسماء الله ﷻ،وصفة من صفاته الجليلة.

معنى الجود والكرم:

تعددت تعريفات الجود والكرم وتباينت عند أهل العلم، فعدّها بعضهم صفة واحدة، وعدّها بعضهم مرتبتين أو درجتين مختلفتين، وسنذكر بعض التعاريف بإيجازٍ واختصار.

الجود: تدل كلمة (جود) عند أهل اللغة على: كثرة العطاء، ومنها (الجَوْد) أي المطر الغزير[1].

وعند أهل الاصطلاح يُعرّف الجود بأنّه:

العطاء بلا مسألة صيانة للآخذ من ذلّ السّؤال. وهو صفة ذاتيّة للجواد،

(١) انظر: مقاييس اللغة ج١،ص ٤٩٣، المفردات ص ٢١١، لسان العرب ج٣، ص ١٣٧ .

تجعله يُعطي بلا إلزامٍ ولا سؤال[١]. قال الشاعر:

وما الجود من يعطي إذا ما سألته ولكنّ من يعطي بغير سؤال

الكرم: تدل كلمة الكرم عند أهل اللغة على: شرف الشّيء كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧﴾ [الواقعة: ٧٧].

ويُعرّف الكرم عند أهل الاصطلاح بأنّه: إنفاق المال بسهولة، وطيبٍ من النّفس، قبل السّؤال، مع الرّأفة بالسّائل، وإيصال النّفع بلا عوض[٢].

أخي الكريم: نلاحظ من التعاريف السابقة أنّ هناك فرقًا بين الجود والكرم، يمكن إيجازه فيما يلي: أنّ الكرم قد يكون مسبوقًا باستحقاق السّائل وسؤاله، بخلاف الجود الذي هو غير متعلق بالاستحقاق أو السّؤال[٣].

وعليه فالجود مرتبةٌ أعلى من الكرم ومتقدمةٌ عليه، لأنّ فيه معنى الإيثار والإكساب، تأمل وصف خديجة رضي الله عنها لنبينا ﷺ: "وتَكْسِبُ المعدوم"[٤].

أي تُعطي النّاس ما لا يجدونه عند غيرك؛ فتُكسبهم المال تبرعًا[٥].

---

(١) انظر: التعريفات للجرجاني، ص٧٩، الكليات للكفوي، ص٣٥٣، تاج العروس، للزبيدي، ج٧، ص٥٢٧.

(٢) انظر: التعريفات، ص: ١٨٤، الكليات ص٣٥٣، تاج العروس ج٣٣، ص ٣٣٥.

(٣) انظر: الفروق اللغوية للعسكري، ص ١٧٥.

(٤) جزء من الحديث الطويل في قصة رؤية النبي ﷺ لجبريل عليه السلام في الغار. رواه البخاري ٣ واللفظ له، ومسلم ٢٥٢.

(٥) انظر: شرح النووي على مسلم ج٢، ص٢٠١، فتح الباري لابن حجر، ج١، ص٢٥.

صور الكرم والجود:

الكرم والجود ليس كما يظنه بعض الناس في بذل المال فحسب، بل الكرم والجود له صورٌ متعددة، ومعاني واسعة، دلّت عليها النصوص الشرعية؛ مثل: الجود بالجاه، والجود بالمشاعر،والجود بالعلم، وغيرها، لكننا سنقتصر حديثنا عن الجود والكرم بالمال وبذله في سُبُل الخير المختلفة.

جوانب الجود والكرم بالمال:

الجود والكرم بالمال له أبوابٌ كثيرة، وصورٍ متعددة، فمنها ما هو النفقة الواجبة كإنفاق الأموال في الزكاة المفروضة التي هي أحد أركان الإسلام، ومنها ما يكون على سبيل نفقات التطوع ومن صور الكرم في تلك النفقات:

١- كرم المرء على نفسه: بدون إسراف، فإنّ إنفاق المرء على نفسه صدقة يُثاب عليها لأنّه مأمور بحفظ نفسه بالطعام والشراب واللباس وغيرها مما تطلبه حاجاته أو ضروراته قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده"[1].

٢- الكرم على الأهل من الآباء والأمهات والأولاد والزوجات وغيرهم، فإنّ الإنفاق عليهم طاعة لله وبرٌّ وأجر، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا

(١) رواه الترمذي ٢٨١٩.

يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ [البقرة: ٢١٥].

وعن ثوبان رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: "أفضل دينار ينفقه الرّجل دينار ينفقه على عياله، ودينار ينفقه الرّجل على دابّته في سبيل الله، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله"(١).

أخي الداعية: هناك من الناس من يُقصّر أو يتثاقل في الإنفاق على أهله شُحًّا وبخلا، والأصل أن يعلم المرء أنّ الإنفاق على الزوجة والأهل والأولاد إنّما هو مكسبٌ وغنيمة، لأنّه زيادةٌ في الإيمان وسببٌ لبركة المال، وسبب للأجر المدخر عند الله، والمُمسك البخيل إنْ أمسكَ المال وحبسه عن الانفاق على الأهل والولد؛ فقد حُرم خيري الدنيا والآخرة، وإن بقي حتى مات على ذلك صار ماله غُنمُه لغيره، وعليه غُرمُه وإثمُه.

٣- إكرام الضيف: فقد أمر به النبي ﷺ وجعله مرتبطًا بالإيمان بالله واليوم الآخر؛ فقال ﷺ: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه"(٢). وجعل النبى ﷺ كذلك للضيف حقًّا على المُضيف: فقال:"وإن لزَوْرِك عليك حقا "(٣).

وإكرام الضيف عبادة يتقرب بها العبد إلى الله، وينبغي للمضيف أن

(١) رواه مسلم٩٩٤.

(٢) رواه البخاري ٦٠١٨، ٦١٣٥ واللفظ له، ومسلم٤٧، الترمذي ١٩٦٧، أبو داود٥١٥٤، ابن ماجه٣٦٧٥.

(٣) رواه البخاري واللفظ له،١٩٧٤، ٦١٣٤، ومسلم ١١٥٩. قوله: «لزورك»: أي: لضيفِك، والزَّوْر مصدرٌ وُضِعَ موضع الاسم كصوم في موضع صائم، ونوم في موضع نائم. «فتح الباري» ٦/ ٤٨٠.

يتكلف في إكرام الضيف في حدود استطاعته فإنّ ذلك كان من هديه ﷺ.

٤- الكرم على الفقراء والمساكين: ببذل المال، والمعروف، وغير ذلك من صور البذل لهم. عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: "الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصّائم النّهار"(١).

أخي الكريم: إنّ الجود والكرم كما هو مطلوبٌ من الغنيّ، فإنّه مطلوبٌ كذلك من الفقير، فالنبي ﷺ فتح الباب للجميع لأن يكونوا من أهل العطاء والكرم، كلٌّ بحسب قدرته وما يملك، وأن لا يستقلّ المرء أيَّ بذلٍ أو مساهمة، ليتدرب العبد على الجود والكرم. فقال لنا ﷺ: "اتقوا النار ولو بشق تمرة". وفي رواية: "فمن لم يجد فبكلمة طيبة"(٢).

٥- إكرام الجار: وذلك بالهدية وإطعام الطعام، وإعانته عند حاجته، وتفقده بالأمور المالية. فقد قال النبي ﷺ"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره"(٣).

٦- إكرام الدعوة الإسلامية وأهلها: وذلك بنصرتها بالمال، والسخاء في ذلك، بالنفقة على الأنشطة والمشاريع الدعوية المختلفة، كما فعل سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين جاء بكلّ ماله في سبيل نصرة النبيّ ﷺ، فقال له: "ماذا تركت لأهلك يا أبا بكر؟ فقال: تركتُ لهم الله ورسوله"(٤).

---

(١) رواه البخاري ٥٣٥٣، ٦٠٠٦ واللفظ له، ومسلم ٢٩٨٢، الترمذي ١٩٦٩، النسائي ٢٥٧٧، وابن ماجه ٢١٤٠.

(٢)رواه البخاري٦٠٢٣،١٤١٧ واللفظ له، ومسلم ١٠١٦، الترمذي ٢٩٥٣، النسائي ٢٥٥٢، وابن ماجه ١٨٤٣ .

(٣) رواه البخاري ٦٠١٩ واللفظ له، ومسلم ٤٧.

(٤) رواه الترمذي ٣٦٧٥، وقال عنه: حسنٌ صحيح.

وهذا عثمان بن عفّان يُجهز جيش العسرة، فيقول النبي ﷺ: "ما ضرّ عثمان ما فعل بعد اليوم"(١).

أهميّة الجود والكرم وفضلهما:

ذكرنا أنّ الجود والكرم صفات نبيلة عظيمة؛ أوصى بها الإسلام وحثّ عليها، وأنّها كانت سمة يتميز بها العربي في جاهليته وإسلامه، لذا كانتا صفتين هامّتين، لهما فضلٌ عظيم، يظهر ذلك من خلال ما يأتي:

١- أنّ الله تعالى جوادٌ كريم، ويحبّ لعباده أن يكونوا كذلك، فهو ﷻ أجود الأجودين وأكرم الأكرمين، وكلّ ما بالعباد من نعم فمن جوده وكرمه ﷻ، فمن جوده وكرمه أنه يضاعف أجر القرض والصدقة، أضعافًا قد تصل إلى سبع مئة ضعف إلى أضعاف كثيرة قال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

قال الله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١١].

٢- أنّ الجود والكرم صفتان ملازمتان لنبينا محمد ﷺ، فهو ﷺ أكرم الخلق نفسًا، وأجودهم بالخير، وأجزل الخلق عطيّةً، فكان ﷺ لا يحصي ما يعطي، ولا يَمُنُّ بما أعطى، وهذا كلّه يقتضي وجوب اقتداء العباد به ﷺ. عن أنس رضي الله عنه أنّ رجلا سأل النّبيّ ﷺ غنما بين جبلين، فأعطاه إيّاه. فأتى قومه. فقال: أي قوم. أسلموا، فوالله إنّ محمّدا ليُعطي عطاءً، ما يخاف الفقر".(٢)

---

(١) رواه الترمذي ٣٧٠١، وقال عنه: حسن غريب.

(٢) رواه مسلم ٢٣١٢.

٣- وكذلك فإنّ الجود والكرم من سمات الأنبياء والرسل عليهم السلام، ومن أمثلة جودهم عليهم السلام: جود سيدنا إبراهيم عليه السلام وكرمه: قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ۝ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ۝ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات: ٢٤ - ٢٦].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبيّ ﷺ أنّه قال: "الكريمُ ابنُ الكريم ابنِ الكريم ابنِ الكريم؛ يوسفُ بنُ يعقوب بنِ إسحاق بنِ إبراهيم عليهم السلام"[1].

٤- الجود والكرم يولِّد في الأفراد شعورًا بأنَّهم جزء مِن الجماعة، وليسوا أفرادًا منعزلين عنها، فيتحررون بذلك من الشحّ والأنانية.

آثار الجود والكرم وثمارهما:

للجود والكرم آثار وفوائد تعود على الفرد والمجتمع، نذكر منها ما يأتي:

١- أنّ الجود والكرم مِن دلائل كمال إيمان الفرد وحُسْن إسلامه.

٢- الكريم حبيبٌ للرحمن، وقريبٌ مِن الخَلْق أجمعين.

٣- الجود والكرم بابٌ للمجد والشرف والسيادة في الدنيا والآخرة:

لولا المشقة ساد الناس كلّهم ... الجود يفقر والإقدام قتّال

٤- الجود يُزيل ضغائن النفوس، وتؤدي إلى تماسك المجتمع وتآلفه. وتبعث على التَّكافل الاجتماعي، والتَّواد بين النَّاس في المجتمعات المسلمة.

٥- الجود يُزكِّي الأنفس وتطهرها مِن رذائل الأنانيَّة، والشُّح الذَّميم.

الوسائل المُعينة على الكرم والجود:

هناك طرق ووسائل تُساعد المرء على التخلّق بهذا الخُلق العظيم؛ نذكر

---

(١) رواه البخاري (٣٣٩٠، ٤٦٨٨) واللفظ له، والترمذي ٣١١٦.

منها ما يأتي:

١- زيادة الإيمان بالله تعالى، والسعي إلى مرضاته سبحانه، من خلال تعلق القلب بالآخرة، وإحسان المرء ظنَّه بالله ﷻ، فيوقن أنَّ الله الذي أمره بالكرم والجود؛ قد تكفَّل له بالزيادة والنماء في ماله.

٢- استشعار الأجور العظيمة المترتبة على هذه العبادة العظيمة؛ من خلال النّظر والتأمل في الآيات والأحاديث الواردة في فضل الكرم والجود، وما أعدّه الله تعالى للمتصفين بهما.

٣- النظر والتأمل في أحوال أهل الجود والكرم، وحبّ الناس لهم، وبقاء ذكرهم الطيب من بعد وفاتهم.

٤- مصاحبة أهل الجود والكرم، والتخلّق بخلقهم.

٥- تربية النشء على الجود والكرم، من خلال تشجيع الأبناء على إكرام زملائهم ودعوتهم إلى الطعام، أو المناسبات الاجتماعية الأخرى.

خاتمة:

أخي الداعية الكريم: اجعل من الكرم والجود منهجًا عمليًا في حياتك، ولا تستصغر أيّ لونٍ من ألوانه، كنْ كريمًا جوادًا بمالك، تبذله لأجل دعوتك ومشاريعها وأنشطتها. كن كريمًا بمشاعرك تجاه إخوانك وخلّانك. وكن كريمًا جوادًا بوقتك لأجل دينك ودعوتك، فتلبي كلّ نداء، وتُقبل على كلّ نشاطٍ تُدعى إليه بهمّة وعزيمة.

واحذر أُخيّ من البخل، أو مصاحبة البخلاء، فإنّه لا يليق بالمسلم الداعية أن يكون بخيلًا، يضنّ بما آتاه الله من فضله.

جعلنا الله وإياك من الكرماء الباذلين، إنّه وليُّ ذلك والقادر عليه.

الحياء

جعل الإسلام لأبواب الأخلاق الفاضلة، والخصال الحميدة عنوانًا ظاهرًا ودليلًا واضحًا يُقاس به معيار هذه الأخلاق، جميلها أو قبيحها، ذلكم هو: خُلُق الحياء. فالحياء هو خلق الإسلام، وهو رأس الفضائل الأخلاقية، وعماد الشُعَب الإيمانية، وهو دليل الإيمان، ورائد الإنسان إلى الخير والهدى. عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول اللّه ﷺ: "إنّ لكُلّ دين خُلُقا، وخُلُق الإسلام الحياء"(١). وفي هذه الصفحات نتعرف على معنى الحياء وفضله، ووسائل تنميته.

معنى الحياء وأهميّته:

تدل كلمة الحياء في معاجم اللغة على أنّ أصلها مأخوذ من كلمة (حَييّ) والتي تدل على معنى الاستحياء، وهي ضد الوقاحة (٢).

وفي اصطلاح العلماء يُعرّف الحياء بأنّه: تغيّر وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يُعاب به، وهو خلقٌ يبعث على ترك القبيح من الأقوال والأفعال والأخلاق.

فالحياء إذن: مَلَكَة راسخة للنّفس، تدفعها إلى إيفاء الحقوق وترك القطيعة والعقوق(٣).

---

(١) رواه ابن ماجه،٤١٨١.

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن ص: ٢٧٠، لسان العرب، ج١٤، ص ٢١٧ .

(٣) انظر: الذريعة الى مكارم الشريعة ص ٢٠٧، شرح النووي على مسلم ج٢، ص ٦، الآداب الشرعية والمنح المرعية ج٢، ص ٢٢٦، فتح الباري ج١، ص ٥٢، التوقيف على مهمات التعاريف ١٥٠ .

أخي الداعية: من خلال هذا التعريف ندرك أهميّة الحياء؛ فهو الصرح المنيع والحصْنُ الحصين من وُقوع المرء في المحرَّمات والمعاصي.

والحياء سبب كلّ خيرٍ وفضيلة، كما أن انعدامه أصل كل شر وبليّة؛ ولمّا كان الاشتغال بالدعوة إلى الله غايةً نبيلة، ورسالة شريفة، كان الحياء مُلازمًا لها لا ينفكّ عنها، وكان فاقد الحياء بغيضًا ممقوتًا، عاجزًا عن أداء هذه الأمانة، لأنّ شيمته الغدر والخيانة.

والحياء خُلق الأنبياء والصالحين على مدار التاريخ، أجمعت الأمم والشعوب على خيره وفضله. فعن أبي مسعودٍ ﵁ قال: قال النّبيّ ﷺ: "إنّ ممّا أدركَ النّاسُ من كلام النُّبوّةِ، إذا لم تستحي فافعل ما شئت"[١].

قال ابن رجب ﵀: "فقوله ﷺ: يُشيرُ إلى أنّ هذا مأثورٌ عن الأنبياء المتقدمين، وأنّ الناس تداولوه بينهم، وتوارثوه عنهم قرنًا بعد قرن، وهذا يدلّ على أنّ النبوات المُتقدمة جاءت بهذا الكلام، وأنّه اشتُهر بين الناس حتى وصل إلى أول هذه الأمة"[٢].

وممّا يدل على أهميّة الحياء أنّ النبي ﷺ عدّه من الإيمان، فعن سالم بن عبد الله، عن أبيه، أنّ رسول الله ﷺ مرَّ على رجل من الأنصار، وهو يَعِظُ أخاه في الحياء، فقال رسول الله ﷺ: "دعْهُ فإنّ الحياءَ من الإيمان"[٣]. فالحديث يُشيرُ إلى أنّ هذا الأنصاريّ قد زجر صاحبه ونهاه عن كثرة الحياء،

---

(١) رواه البخاري ٣٤٨٣.

(٢) جامع العلوم والحكم، ج١، ص ٤٩٧ .

(٣) رواه البخاري (٢٤، ٦١١٨)، واللفظ له، مسلم ٣٦، الترمذي ٢٦١٥، أبو داود ٤٧٩٥، النسائي ٥٠٣٣، وابن ماجه ٥٨ .

دون أن يعلم بأنّ الحياء من شُعب الإيمان؛ لكنّ النبي ﷺ زجره لأنّه ﷺ عَلِمَ أنّ ذلك الشخصَ لا يضرُّهُ الحياءُ في دينه، بل ينفعُهُ[١].

ومن أهميّته كذلك أنّه أصل الخير ومنبعه، وتركه هو أصل الشرّ والفساد، فمتى التزم المرء بالحياء وجد فيه الخير كلّه، ومتى فارقه **الحياء** قادته نفسه إلى الهلاك، وأوردها موارد السوء. فعن عمران بن حُصَيْن رضي الله عنه، عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: " الحياءُ لا يأتي إلّا بِخَير"، أو قال: "الحياءُ كُلّهُ خَيْرٌ"[٢].

حقيقة الحياء وفضله:

حقيقة الحياء تكمن في أنّه خلقٌ يبعث على فِعْل الحَسَن وتَرْكِ القبيح. والحياء بهذه الحقيقة قد يكون في بعض الناس غريزةً وطبعًا جُبل عليه، كما في حديث أشجّ عبد القيس الذي قال: قال لي رسول الله ﷺ: "إنّ فيك خلّتين يحبهما الله"، قلت: ما هما؟ قال: "الحلم، والحياء" قلت: أقديمًا كان فيَّ أم حديثًا؟ قال: "بل قديمًا " قُلت: الحمد لله الذي جبلني على خلّتين يحبهما"[٣].

وقد يكتسبه من لم يُجبل عليه ويتخلق به كسائر أعمال البّر.

وقد جمع النبي ﷺ بين النّوعين، فكان ﷺ في الغريزيّ أشدّ حياء من

---

(١) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال ج ١، ص ٧٦، المُفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ج ١، ص ٢١٩، شرح النووي على مسلم ج ٢، ص ٦، فتح الباري لابن حجر ج١، ص ٧٤.

(٢) رواه البخاري ٦١١٧، ومسلم ٣٧ واللفظ له، أبو داود ٤٧٩٦.

(٣) رواه أحمد ١٧٨٢٨، واللفظ له، وابن ماجه ٤١٨٨عن ابن عبّاس.

العذراء في خدرها[١]، وكان في المُكتَسَب في الذّروة العليا منه.

والحياء يُكتسب مثلما تُكتسب باقي الصفات الطيبة، وذلك من خلال معرفة الله، ومعرفة عظمته وقُربِه من عباده، واطّلاعِهِ عليهم، وعلمه بخائنة الأعيُن وما تُخْفي الصدور، فهذا من أعلى خصال الإيمان[٢].

وهذا الحياء الممدوح الذي يُبعد صاحبه عن مساوئ الأخلاق، ويحمله على فعل ما يُجمّلُه، يقابله حياءٌ مذموم يمنع صاحبه من السعي فيما ينفعه في الدنيا والآخرة، كترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، أو السكوت على الباطل، أو ترك العلم والتّعلم، فهذه كلّها ليست بحياءٍ حقيقةً؛ بل هو عَجْزٌ وخَوَرٌ ومَهَانَةٌ، وإنّما أطلقوا عليه الحياء مَجَازًا؛ لمشابهته الحياءَ. لذا، بوّب الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ في صحيحه: " بابُ الحياءِ فِي العلم" وساق فيه مدح عائشة - رضي الله عنها - نساءَ الأنصار بقولها: "نِعْمَ النّساءُ نِساءُ الأنصار؛ لم يمنعهُنّ الحياءُ أن يتفقّهن في الدّين" وذكر قول الإمام مُجَاهِدٍ رَحِمَهُ اللهُ: " لاَ يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ مُسْتَحْيٍ، وَلاَ مُسْتَكْبِرٌ"[٣].

فضل الحياء:

خُلق الحياء من أفضل الأخلاق وأجلّها وأعظمها قدرًا وأكثرها نفعًا، بل هو خاصَّة الإنسانيّة، فمَنْ لا حياء فيه، فليس معه مِن الإنسانيّة إلاّ اللّحم والدّم وصورتهما الظّاهرة، كما أنّه ليس معه مِن الخير شيء.[٤] ويظهر

---

(١) الحديث: عن أَبي سعيدٍ الخُدْرِيّ رضي الله عنه، قال: كان النّبيّ ﷺ "أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ العَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا". رواه البخاري ٣٥٦٢.

(٢) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، ج ١،ص ٢٧٣، المُفْهِم،ج١،ص ٢١٨،جامع العلوم والحكم لابن رجب ج١،ص ٥٠١، فتح الباري لابن حجر ج١٠، ص ٥٢٢.

(٣) رواه البخاري، باب الحياء في العلم، ص٢٨ .

(٤) مفتاح دار السَّعادة، لابن القيم، ج ١، ص٢٧٧. بتصرُّف .

فضل الحياء من خلال ما يلي:

١- أنّ الحياء صفةٌ من صفات الربّ ﷻ، فالله تبارك وتعالى حييٌّ يحبُّ الحياء ويحبُّ أهل الحياء، وعلى العبد أن يتخلّق بأخلاق الله تعالى. عن يَعْلى بن أميّة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ رأى رجلًا يغتسلُ بالبَراز أي:(الفضاء الواسع)، بلا إزارٍ، فصعِدَ المنبر، فحمدَ الله وأثنى عليه، ثمّ قال: إنّ الله ﷻ حَييٌّ سِتِّيرٌ، يُحبّ الحياء والسَّتر، فإذا اغتسل أحدُكم فليَستتر"[1].

٢- أنّ الحياء من الإيمان، وهو خلق الإسلام: فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ " إنَّ لكلِّ دينٍ خلقًا، وخلق الإسلام الحياء"[2].

٣- أنّ الحياء مفتاحُ كلّ خير: لقول النبي ﷺ:"الحياء خيرٌ كلّه". وقال: "الحياء كلُّه خيرٌ"[3].

٤- الحياء أجمل زينةٍ يتزين بها العبد: قال ﷺ :"ما كان الفحش في شيءٍ قطّ إلاّ شانه، وما كان الحياء في شيءٍ قطّ إلاّ زانه"[4].

أوجه الحياء وأنواعه:

الحياء في الإنسان يكون على ثلاثة أوجه:

أولها: حياؤه من الله، والثاني: حياؤه من الناس، والثالث: حياؤه من نفسه[5].

١- **الحياء من الله**: فأمّا حياؤه من الله، فيكون بامتثال أوامره والكفّ

---

(١) رواه أبو داود ٤٠١٢، النسائي ٤٠٦، وأحمد ١٧٩٦٨.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) رواه الترمذي ١٩٧٤.

(٥) انظر: أدب الدنيا والدين للماوردي، ص ٢٤٨.

عن زواجره، وهذا الحياء من الله يتأتّى للعبد من اطلاعه على نِعم الله ورؤية التقصير في شكرها. فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "استَحْيُوا من الله حقّ الحياء"، فقلنا: يا رسول الله: إنّا نستَحيِي والحمد لله، قال: "ليس ذلك، ولكنّ الاستحياءَ من الله حقّ الحياءِ: أنْ تحفَظَ الرّأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولْتَذْكُر الموت والبِلى، ومن أراد الآخرة، ترك زينة الدّنيا، فمن فعل ذلك، فقد استحيا من الله حقّ الحياء"(١).

قال ابن القيم رحمه الله: "وأمّا حياء الربّ تعالى من عبده فذاك نوع آخر لا تدركه الأفهام ولا تكيّفه العقول، فإنّه حياءُ كرمٍ وبرّ وجودٌ وجلال، فإنّه تبارك وتعالى حييّ كريم يستحيي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرًا ".(٢)

٢- **الحياء من النّاس**: وأمّا الحياءُ من النّاس فيكون بكفّ الأذى نحوهم، وترك المجاهرة بالقبيح تُجاهُهُم، وهو من كمال مروءة العبد وصيانته لكرامته. قال الشاعر:

وربّ قبيحة ما حال بيني وبين ركوبها إلا الحياءُ

إذا رُزق الفتى وجها وقَاحًا تقلّب في الأمور كما يشاءُ

٣- **الحياءُ من النفس**: وأمّا حياءُ المرء من نفسه، فيكون بعفّته عن المحرمات، وصيانة نفسه عن ذنوب الخلوات. وهذا الحياء هو حياء النفوس الكريمة العزيزة، فالإنسان المؤمن يستحى من نفسه أن يأتي بالنقائص أو الرذائل، ولذلك كان هذا الوجه أكمل أنواع الحياء؛ لأنّ من استحيا من

---

(١) رواه الترمذي ٢٤٥٨، وأحمد ٣٦٧١.

(٢) مدارج السالكين ٢/ ٢٦١. وحديث: إنّ ربكم حييّ ستّير: أخرجه أبو داود ١٤٨٨.

نفسه كان استحياؤه من غيره أجدر وأبلغ.

إذا قلّ ماء الوجه قلّ حياؤه　　فلا خير في وجهٍ إذا قلّ ماؤه
حياءَك فاحفظه عليك فإنّما　　يدلّ على وجه الكريم حياؤه

وقد قسّم ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه مدارج السالكين الحياء إلى عشرة أوجه، وأفاض في الكلام عليها بكلامٍ نفيس ننصح بالرجوع إليه.(١)

آثار الحياء وفوائده:

أمّا آثارُ الحياء فنذكر منها ما يلي:

١- أنّه من أسباب الفوز بالجنّة والنجاة من النّار: وذلك لعموم الأدلة الدّالة على أنَّ حسن الخلق من أسباب دخول الجنة والحياء منها: قال أبو حاتم ابن حبّان رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"من أعظم بركة الحياء من الله الفوز بالجنّة والنجاة من النار، للزوم الحياء عن مجانبة مَا نهى الله عنه" (٢).

٢- أنّه سبب لمحبة الله عَزَّ وَجَلَّ: فصاحب الحياء محبوبٌ من الله تعالى. قال رسول الله ﷺ: "إنّ الله عَزَّ وَجَلَّ حييٌّ ستّير، يُحب الحياء والستر "(٣).

٣- أنّه من أسباب حياة القلب: قال أحد السلف: "والحياء يعمُر القلوب بدوام الطهارة، ويُخْرِجُ من القلوب حلاوة الشهوات. ودوام الحياء يوجب على القلوب إعظامَ حرمات الله، بإعظام مقام الله حياء من جلال الله"(٤).

---

(١) انظر: تهذيب مدارج السالكين،ج٢، ص ٦٢١ -٦٢٦.
(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص ٥٨ .
(٣) سبق تخريجه.
(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ج١٠، ص ٢٩٥.

٤- أنه سببٌ لكلّ خير، وعِمادُ كلّ فضيلة: قال أبو حاتم: "المرء إذا اشتد حياؤه صان عرضه، ودَفَن مساويه، ونشر محاسنه، ولا دواء لمن لا حياء له. وإنّ من أعظم بركته تعويدَ النفس ركوبَ الخصال المحمودة، ومُجانبتَها الخلالَ المذمومة"(١).

٥- هجر المعاصي وتركها؛ حياءً من الله تعالى. قال المناوي: "ولذلك لا يكون المُستحيى فاسقًا، ولا الفاسق مُستحييًا؛ لتنافي اجتماع العفّة والفسق"(٢).

وسائل تنميته:

هناك وسائل تُعين على اكتساب الحياء وتنميته، نذكر منها ما يلي:

١- تعظيم الله تعالى: من خلال النظر والتدبر في أسمائه وصفاته التى تستوجب مراقبته: كالرقيب والشهيد والعليم والسميع والبصير، فإنّ من تدبر في ذلك نما في قلبه تعظيم الله ﷻ، ومن عظُم الله عز وجل في قلبه، عبده كأنه يراه. قال أحد السلف: "صدق الإيمان التعظيم لله؛ وثمرته الحياء من الله"(٣).

٢- محاسبة النفس: وذلك بمحاسبتها إذا ارتكبت ما يُخلُّ بالحياء، وحملها على عدم العودة إلى ما يُخلّ.

٣- النظر والتدبر في عاقبة ترك الحياء: وذلك بتأمل ما يجلبه التخلي عنه من احتقار النّاس وبغضهم.

---

(١) روضة العقلاء ٥٨.

(٢) فيض القدير، ج ٣، ٤٢٦ص .

(٣) التعرف لمذهب أهل التصوف، لأبي بكر محمد بن أبي إسحاق الكلاباذي، ص ٨٢.

٤- الدعاء: فيلجأ العبد إلى ربه، يسأله أن يرزقه الحياء، وأن يصرف عنه سيء الأخلاق. وقد كان من دعاء النبيّ ﷺ "واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلّا أنت. واصرف عني سَيِّئَهَا لا يصرف عنّي سَيِّئَهَا إلّا أنت".[١]. ولا شكّ بأنَّ الحياء من محاسن الأخلاق.

مظاهر الحياء:

تناولت النصوص النبوية الحياء بصورةٍ شاملة متعددة المظاهر، ولم تختزله في مظهر محدد، وهناك مظاهر إيجابية للحياء، ومظاهر أخرى منافية للحياء، نذكرها على النحو الآتي:

أولًا: المظاهر الإيجابية للحياء:

١- أن يستحي المسلم من الخَلْق فلا يكشف لهم عورة، ولا يقصّر لهم في حق، ولا ينكر لهم معروفًا.

٢- محافظة المرأة المسلمة على حيائها وحشمتها، والبعد عن مسالك الريبة ومواطن التُّهمة، فالحياء دثار المرأة، وشعارها.

٣- تطهير المسلم لسانه من فُحش القول، وبذيء الكلام.

٤- ابتعاد المرء عن كلِّ ما يجلب له السوء من موارد الشبه ومواطن الزلل، فمن الحياء أن يحرص المسلم على سمعته فلا يقول أو يفعل ما يشوه سمعته، ويعرضه للهزء والسخرية والاحتقار. قال الأصمعي سمعت أعرابيًا يقول: "من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه"[٢].

(١) رواه مسلم، ٧٧١.

(٢) الآداب الشرعية ج٢، ص٢٢٠.

٥- إنزال أصحاب السابقة، وكبار السنّ منازلهم ومراتبهم وإجلالهم واحترامهم، فيعرف لكّل ذي فضل فضله، ولا يتقدم عليهم بمجلسٍ أو طعام أو غيره.

ثانيًا: المظاهر المنافية للحياء:

مع ثورة عالم التقنية والمعرفة، وانتكاس القيم، أصبحت مظاهر انتفاء كثيرة ومتعددة، وقد تدخل في كلّ مجالات الحياة، وقد يصعب على العادِّ أنْ يحصرها، فمن تلك المظاهر:

١- المجاهرة بمعصية الله في الطرقات، وفي المجمّعات التجارية والأسواق، وكذلك ما يجري في حفلات الأعراس والأفراح من مظاهر تُغضب وجه الله تعالى، كتفشي التبرج والسفور، والاختلاط المحرّم بين الجنسين.

٢- أكلُ أموال الناس بالباطل، وهضم حقوقهم.

٣- إزعاج الناس في طرقاتهم ومنازلهم بالأغاني الماجنة، والكلام البذيء، والحفلات التي تُغلق الطرق، وتؤذي الناس.

٤- المجاهرة بالمعاصي عمومًا، فالمعاصي محرّمة ولكنها تزداد قُبحًا وشناعة إذا جاهر بها أصحابها.

خاتمة:

أخي الداعية، أختي الداعية:

تمرُّ مجتمعات المسلمين اليوم بأزماتٍ أخلاقية ناتجة عن موجات التغريب والانفتاح على المجتمعات غير المسلمة، كان من نتائجها انتشار الفواحش، والانحلال والعري، كلّ ذلك بسبب غياب الحياء، وانعدامه في

نفوس بعض النّاس. لذا فالواجب علينا معاشر الدعاة أن نعملَ جاهدين على إحياء هذا الخُلُق في أنفسنا، وفي نفوس الآخرين، وتربية النشء على هذا الخُلُق الرّفيع.

وكذا نوصى أخواتنا النّساء، أن يتجملن بهذا الخلق العظيم، وأن يتّصفن بالحشمة والوقار، وليذكُرن أنهنَّ أولى الناس بهذا الخلق، ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ [القصص: ٢٥]. جعلنا الله وإياكم من أهل الحياء.

الرّضا

الرّضا من أشرف العبادات القلبية وأعظمها؛ فهو من مقامات العبودية الرفيعة التي لا تُمنح إلّا للمؤمنين الذين سلّموا أنفسهم لله ربّ العالمين، ورضوا به ربًّا وبالإسلام دينًا وبنبيه محمد ﷺ نبيًّا ورسولا، وبقضائه وقدره بنفسٍ راضيةٍ مطمئنة، فهو منحة ربانية تفضل الله تعالى بها على عباده الصالحين، ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٨] فجعل أحدهما مقرونًا بالآخر. وفي هذه الصفحات نتعرف على معنى الرّضا وحقيقته، وآثاره، وسُبُل تنميته.

معنى الرّضا:

تدلّ كلمة رضا في معاجم اللغة على ما كان ضدّ السُخط، كما في دعاء النبي ﷺ: " اللهمّ إنّي أعوذ برضاك من سخطك"[(١)].

وفي اصطلاح العلماء يُعرّف الرّضا بأنّه: سكون القلب لأقدار الله وأحكامه. واطمئنان العبد لاختيار الله له، مع طيب نفسه بما يُصيبه أو يفوته تحصيله[(٢)].

وعرّفه أحد علمائنا بقوله: الرّضا أنْ لا تنتظر النتائج.

وبذلك ندرك أنّه ليس مِنْ شرط الرّضا ألّا يُحِسَّ المرءُ بالألم والمكاره؛ بل ألّا يعترضَ على حكم الله، ولا يتسخَّطَهُ.

---

(١) انظر: الصحاح للجوهري، ص ٢٣٥٣، لسان العرب، ج ١٤، ص ٣٢٣ .

(٢) انظر: التعريفات للجرجاني، ص ١١١، مدارج السالكين، ج٢، ص ١٧٣، التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي، ص ١٧٨، الكليات للكفوي، ص ٤٧٨ .

حقيقة الرّضا:

حقيقة الرّضا هي أنّه منزلة يحبّها الله سبحانه وتعالى ويرضاها، ويُؤجر عليها العبد ويُحمد على فعلها، وهي ترتبط بإيمانه زيادةً ونقصًا. ومن حقيقته أنّه سرور القلب وطمأنينته عند كل أمرٍ مخيف من أمور الدنيا، واستسلام العبد لمولاه سبحانه في كلّ شيء، وعدم التبرم والتشكي من أقدار الله تعالى، فالرّضا يُفَرِّغُ القلب لله، والسُّخْطُ يفرِّغُ القلب من الله.

والرّضا نوعان: أحدهُما: الرّضا بِفِعْلِ ما أمرَ به الله تعالى وترْك ما نهى عنْهُ، ويتناولُ ما أباحهُ الله مِن غير تعدٍّ إلى المحظور كما قال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦٢]. وهذا الرّضا واجبٌ، ولهذا ذمَّ الله تعالى من تركَهُ بقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۝٥٨ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٨ – ٥٩].

والنّوعُ الثّاني: الرّضا بالمصائب والابتلاءات، كالفقر والمرض والتضييق على الدعاة في دعوتهم وموت الأحبّة وفقدهم.

وأمّا الرّضا بالكُفرِ والفُسُوق والعصيان، فإنّه محرّمٌ لا يرضاه الله تعالى ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧][1].

أهميّة الرّضا وفضله:

تظهر أهميّة الرّضا في أنّه يندرج تحته أصول الإسلام الثلاثة وهي: (معرفة

---

(١) انظر: قوت القلوب في معاملة المحبوب، ج٢، ص ٦٦، إحياء علوم الدين، ج٤، ص ٣٤٧، الفتاوى الكبرى لابن تيمية، ج٢، ص ٣٩٣، مدارج السالكين، ج٢، ص ١٦٩.

الله، معرفة رسوله ﷺ، ومعرفة دين الإسلام)، وهذا ما جاء في الحديث عن العبّاس بن عبد المُطّلب، أنّه سمع رسول ﷺ، يقول: "ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمُحمّد رسولًا"(١).

فالمؤمن لا بدّ له أن يرضى بهذه الأصول الثلاثة التي لا يخرج عنها شيء من أمور الدين.

ومن أهميّة الرّضا أنّه كان مطلبًا لنبيّنا محمد ﷺ، ففي دعاء الاستخارة الذي علّمنا إيّاه النبي ﷺ، قال: "واقدُر ليَ الخير حيث كان، ثم رضّني به"(٢).

فضل الرّضا:

يظهر لنا فضل الرّضا من خلال ما يأتي:

١- الرّضا سبب لوجوب الجنة: عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: "يا أبا سعيد: من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمّد نبيًّا؛ وَجبتْ له الجنّة"(٣).

٢- الرّضا سببٌ لمغفرة الذنوب: فعن سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: "من قال حينَ يسمعُ المؤذّن: رَضيتُ بالله ربًّا، وبمُحمّد رسولًا، وبالإسلام دينًا؛ غُفرَ له ذنبهُ"(٤).

٣- الرّضا سبب رضوان الله تعالى عن عباده يوم القيامة: فعَن أبي

---

(١) رواه مسلم ٣٤ واللفظ له، والترمذي ٢٦٢٣.

(٢) رواه البخاري، (٦٣٨٢، ٧٣٩٠) واللفظ له، أبو داود ١٥٣٨، والترمذي ٤٨٠.

(٣) رواه مسلم ١٨٨٤ واللفظ له، النسائي ٣١٣١.

(٤) رواه مسلم ٣٨٦ واللفظ له، أبو داود ٥٢٥، الترمذي ٢٠١، و النسائي ٦٧٩.

سعيدٍ الخُدْريِّ ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: "إنّ الله يقولُ لأهل الجنّة: يا أهل الجنّة، فيقُولُونَ: لبّيكَ رَبّنا وسَعْديْك، فيقولُ: هل رَضِيتُم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تُعطِ أحدًا من خَلْقِكَ. فيقول: أنا أُعْطيكُم أفضلَ من ذلك. قالوا: يا ربّ: وأيُّ شيءٍ أفضلُ من ذلك؟ فيقولُ: أُحِلُّ عليكم رِضواني فلا أسخَطُ عليكُم بعدهُ أبدًا"[1].

٤- الرّضا سبب غنى العبد: لقول النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﵁: "اتّقِ المحارِمَ؛ تَكُن أعبدَ النّاس، وارضَ بما قَسَمَ الله لَكَ؛ تَكُن أغنى النّاس"[2].

أقسام الرّضا:

يُقسم الرّضا إلى ثلاثة أقسام هي:

١- الرّضا بالله ربًّا.

٢- الرّضا بالنبي ﷺ نبيًّا ورسولا.

٣- الرّضا بالإسلام دينًا.

القسم الأول: الرّضا بالله ربًّا: أمّا الرّضا بالله ربًّا فهو من أهمّ أقسام الرّضا، فأنواع التوحيد كلّها داخلة فيه، فلا بدّ للعبد أن يرضى بربوبية الله تبارك وتعالى، وذلك يتضمّنُ الرّضا بتدبيره لعبده، ويتضمّن إفرادهُ بِالتّوَكل عليه، والاستعانة به، والثقة به، والاعتماد عليه، وأن يكون راضيًا بكلّ ما يفعل به.

---

(١) رواه البخاري (٦٥٤٩،٧٥١٨) واللفظ له، مسلم ٢٨٢٩، الترمذي ٢٥٥٥، وأحمد ١١٨٣٥.

(٢) رواه الترمذي ٢٣٠٥، وأحمد في المُسند ٨٠٩٥.

ومّما يتعلق بالربوبية الإيمان بأقدار الله تعالى والرّضا بها، وذلك بأن يؤمن العبد بأنّ الله تعالى هو مقدر الأقدار، وأنّ كلّ ما في الكون إنّما هو بإرادته ومشيئته.

والرّضا بأقدار الله من أهمّ أنواع الرّضا، فيرضى العبد بما قدّره الله عليه، أو قسمه له، فلا يتسخّط من تقدير الله، ولا يعترض على تدبيره بكثرة الشّكوى والتسخط.

ومن أعظم ما يُعين العبد على الرّضا والتّسليم أن يُوقن أنّه لا يملك له أحد من دون الله نفعًا ولا ضرًّا، بل كلّ ما في الكون من تقديره وإرادته سبحانه.

والرّضا بما يقدّره الله على العبد في نفسه أو ماله أو أهله يورث العبد هداية قلبه وسكينته عند نزول المصيبة، ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢ – ٢٣]. و﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١].

قال ابْن مَسْعُود ﷺ فِي هذه الآية: "هيَ المُصيبات تُصيب الرجل فَيعلم أنّها من عند الله فيُسلّم لها ويرضى"[١].

والمتأمل في واقع المسلمين اليوم يجد كثيرًا منهم يخشون المصائب قبل وقوعها، فتجد الواحد منهم في قلق دائم، يخشى أن تنزل به المصيبة، وهذا نوع من التشاؤم وسوء الظنّ بالله تعالى، وأهمّ أسباب ذلك ضعف

(١) الدّر المنثور في التفسير بالمأثور، ج ٨، ص ١٨٤ .

الرّضا بالله ربًا. فإذا نزلت المصيبة وجدته جزعًا متسخطًا.

ومِن كمال تحقيق الرّضا بالله ربًا؛ أن يقنع الإنسان بما كُتب له في هذه الدنيا، ولا ينظر إلى من هو فوقه في الأمور الدنيوية. وأمّا في الأمور الدينية: من عبادة وطلب علم، ومسارعةٍ إلى الخيرات، فينبغي أن ينظر إلى من فوقه حتى يزيده ذلك إقبالًا وحرصًا على الخير.

ومن مقتضيات رضا العبد بربّه أنْ لا يرضى بالقوانين الوضعيّة المخالفة للإسلام، والنُظم الجاهليّة المتحكمة في حياة الناس وشؤونهم، والمذاهب الأرضيّة البشرية المناهضة لدين الإسلام.

القسم الثاني: الرّضا بالنبيّ ﷺ نبيًّا ورسولًا:

وأمّا الرّضا بالنبيّ ﷺ نبيّا ورسولًا فيكون بكمال الانقياد، والطاعة، والاقتداء به والسير على منهاجه والتسليم المطلق إليه ﷺ، فلا يتلق الهدى إلا من هديه ولا يُحاكِم إلاّ إليه، ولا يرضى بحكم غيره في شيءٍ من حقائق الإيمان، ولا في شيءٍ من أحكام الدين ظاهرةً وباطنةً. قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

ومن الرّضا به ﷺ الدفاع عنه ﷺ بدفع ما يُلصقه به أعداء الإسلام، من اتهامات أو صفات باطلة.

القسم الثالث: الرّضا بالإسلام دينًا:

وأمّا الرّضا بالإسلام دينًا فمقتضاه أن يؤمن العبد بأنّ الإسلام هو النظام والدين الوحيد الذي لا يقبل الله تعالى من أحدٍ سواه، ولا ينجو في الآخرة ولا يدخل الجنة بغيره، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وعليه فليس هناك ما يُسمى بالديانات الإبراهيميّة الثلاث، ولا أنّ هذه الديانات المزعومة توصل إلى رضوان الله تعالى.

ومن مقتضيات رضا العبد بالإسلام دينًا أن يُطبق الإسلام في واقع حياته تطبيقًا عمليًا، وأن يجعل الإسلام هو الحكم في علاقته بالآخرين، فيوالي ويُعادي فيه، ويرفض كلّ ما يناقض مبادئه ونُظُمه.

ثمرات الرّضا وآثاره:

للرضا ثمراتٌ وآثار تظهر على الفرد نذكر منها ما يأتي:

١- سلامة العبد من الاعتراض على أحكام الله الشرعيّة وأقداره الكونية. عن أنس ﵁: قال النبى ﷺ: "إنّ عِظَمَ الجزاءِ مع عِظَم البلاء، وإنّ الله إذا أحبّ قومًا ابتلاهُم، فمن رضي فله الرّضا، ومن سَخِطَ فلهُ السُّخْطُ"(١).

٢- الرّضا يُحقق في القلوب عباداتٍ أخرى كالشكر له سبحانه، والتوكل عليه، والاستعانة به، واليقين فيما عنده، ونحوها.

٣- الرّضا يورث حُسنَ ظنِّ العبد بربّه : لعِلْمِه أنَّ الله تعالى لا يقضى قضاءً إلاَّ وفيه كمال عدله ورحمته. لذلك كان من دعاء النبي ﷺ: "وأسألك الرّضا بعد القضاء"(٢).

٤- الرّضا يُثمر القناعة وعِزّة النّفس: فرزق المؤمن وأجله مكتوبان،

---

(١) رواه الترمذي ٢٣٩٦، وابن ماجه ٤٠٣١ .

(٢) رواه النسائي ١٣٠٥، صحيح ابن حبّان١٩٧١ .

والخَلْقُ لا يملكون زيادتهما أو إنقاصهما، ممّا يبعث على القناعة وعِزَّةِ النفس، وقطعِ الطمع ممّا في أيدي الناس.

٥- الفوز برضا الله تعالى يوم القيامة: فعن أنس رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من عبد مسلم يقول حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرات: رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًّا، إلاّ كان حقًّا على الله أن يُرضيه يوم القيامة"(١).

وسائل تنمية الرّضا:

تقوى عقيدة الرضا بالوسائل الآتية:

١- ترسيخ عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر في النفس.

٢- الابتعاد عن الألفاظ التي تتضمَّن التسخط على أقدار الله تعالى، والإكثارُ من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] "فهي كلمة عظيمة تعني: العبوديّة المطلقة لله، والتفويضَ الكامل له سبحانه.

وتعني: التسلية عن المصائب لا التحسُّر، وإذا قالها المصاب كانت له حصنًا من الوقوع في عدم الرّضا، ومَنْجاةً من الاعتراض على القدَر"(٢).

٣- لزوم الأقوال والأفعال والمعتقدات التي تُرضي الله تعالى، فإنّها توصل إلى منزلة الرّضا.

قيل ليحيى بن معاذ: متى يبلُغُ العبدُ إلى مقام الرّضا؟ فقال: إذا أقام

---

(١) رواه الترمذي ٣٣٨٩، ابن ماجه ٣٨٧٠، أحمد ١٨٩٦٧.

(٢)مدارج السالكين، ج ٢، ص ١٧٢.

نفسه على أُصُولٍ فيما يُعَامِلُ به ربّه، فيقول: إن أعطيتني قَبِلْتُ، وإن مَنَعتَني رضيتُ، وإن دعوْتَني أجبْتُ.

٤- النظر والتأمل في أحاديث النبي ﷺ، وأقوال العلماء وأهل التزكية الدالّة على فضل الرّضا والتخلق به.

٥- دراسة قصص أهل الرّضا وسيرهم والتأسي بهم، وفي مقدمتهم سيّد الراضين عن ربهم نبينا محمد ﷺ.

خاتمة:

أخي الداعية، أختي الداعية: ها أنت قد قرأت عن عبادة الرّضا وفضلها، فحريٌّ بك أن تتمثل هذا المقام الرفيع في حياتك كلّها، خاصّةً وأنت ترى اليوم عِظَمَ البلاء والمُصاب الذي حلّ بأمّتنا وبإخواننا من حولنا، ممّا يستوجب الرّضا والتسليم لله تعالى على حكمته وأمره. ولكنّ هذا الرّضا والتسليم لا يعني بحالٍ أنْ لا نسعى لتغيير هذا الواقع الآسن، وتقديم العلاج لأمتنا المريضة، فالأمّة أحوج ما تكون إلى حشد الطاقات وبذل الجهود للنهوض من كبوتها، وهذا من الأخذ بالأسباب التي أُمرنا بها.

جعلنا الله وإيّاكم من الراضين المرضيين.

التوَكُّل

التّوَكُّل على الله وحده وتفويض الأمور كلّها إليه، والاعتماد عليه في جلب النفع ودفع الضرّ والبلاء مقامٌ عظيمٌ من مقامات الدين الجليلة، وفريضةٌ عظيمة يجب الأخذ بها في جميع أعمالنا وأقوالنا.

والتوكل على الله من أجمع أنواع العبادة وأهمّها لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة والطاعات الكثيرة، فإنّه إذا اعتمد القلب على الله في جميع الأمور الدينيّة والدنيويّة دون من سواه صحّ إخلاصه وقويت معاملته مع الله وزاد يقينه وثقته بربه تبارك وتعالى.

والتّوَكُّل أصلٌ لجميع مقامات الدين، ومنزلته منها كمنزلة الجسد من الرأس، فكما لا يقوم الرأس إلاّ على البدن فكذلك لا يقوم الإيمان ومقاماته وأعماله إلاّ على التّوَكُّل. ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

معنى التّوَكُّل وحقيقته:

تدلّ كلمة التّوَكُّل عند أهل اللغة على اعتماد المرء على غيره، وإظهار عجزه في أمرٍ ما. والتّوَكُّل مأخوذ من الوَكَالَة، يُقال: وكّل فلانٌ أمره إلى فلان، أي: فوّض أمره إليه، واعتمد فيه عليه. ولا يتوكّل الإنسان على غيره إلاّ إذا اعتقد فيه القوة، والهداية؛ فإذا عُرف هذا، قيسَ عليه التّوَكُّل على الله(١).

تعريف التّوَكُّل اصطلاحًا:

التّوَكُّل هو: صِدْقُ اعتماد القلب على الله ﷻ في استجلاب المصالح ودفع

---

(١) انظر: الصحاح ج٥، ص ١٨٤٤، مقاييس اللغة ج٦، ص ١٣٦، لسان العرب ج١١، ص ٧٣٦.

المضارّ من أمور الدّنيا والآخرة، وتوكيل الأمور كلّها إليه، وتحقيق الإيمان بأنّه لا يُعطي، ولا يمنع ولا يضرّ ولا ينفع سواه[1].

أخي الداعية أختي الداعية: من خلال هذا التعريف يُمكننا إدراك بعض الأمور المُهمّة التي تتضمنها عبادة التّوَكُّل ومنها:

١- أنّ حقيقة التّوَكُّل هي اعتماد القلب على الله وحده، وتفويض الأمور كلّها إلى الله، وإنزالها به طلبًا واختيارًا لا كرهًا واضطرارًا. وهو ينشأ من علم العبد أنّ الأمور كلّها بيد الله، والخلائق كلّها في قبضته سبحانه، وهي موكولةٌ إليه.

٢- التّوَكُّل أصلٌ لجميع مقامات الدّين من الإيمان والإحسان، ولجميع أعمال الإسلام، فهو مُتضمنٌ للتوحيد والاستعانة واليقين والرّضا وغيرها من العبادات القلبيّة.

٣- صحّة التّوَكُّل على الله تقتضي تحقق أمرين مهمّين: الأول: أن يكون الاعتماد على الله اعتمادًا صادقًا حقيقيًا. الثاني: الأخذ بالأسباب المأذون فيها.

٤- التّوَكُّل على الله تعالى في إقامة دينه ونُصرة شريعته، وهداية الخَلْق، وإزالة الضلال عنهم، هو أعظم ما يكون من التّوَكُّل؛ لذلك كان الأنبياء أكمل العباد توكّلًا، قال تعالى على لسان الرسل في خطابهم لأقوامهم: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢].

---

(١) جامع العلوم والحكم، ج ٢، ص ٤٩٧ .وانظر: مدارج السالكين، ج٢، ص ١١٤، التعريفات، ٧٠ .

اسم الله تعالى الوكيل:

الوكيل من أسماء الله الحسنى، والوكيل هنا هو: القيّم والكفيل بأرزاق العباد، وجميع شؤون الخَلْق، وحقيقته أنّه يستقلّ بأمر الموكول إليه[١].

وقد جاء هذا الاسم الكريم في كتاب الله تعالى مرّاتٍ عديدة، منها ما جاء بمعنى "حفيظًا لكم" كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

ومنها بمعنى "كفيلا" كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [يوسف: ٦٦].

وغير ذلك من المعاني. "وهذه المعاني كلّها متقاربة، ومرجعها إلى شيء واحد "[٢].

أهميّة التّوَكُّل وفضله:

التّوَكُّل عبادة مهمّة للمسلم على وجه العموم، وللدّاعية على وجه الخصوص، وتبرُز أهميّة التّوَكُّل وفضله من خلال ما يأتي:

١- أنّ الله تعالى قد جعل التّوَكُّل شرطًا للإيمان: قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

٢- التّوَكُّل سبب لدخول الجنّة بغير حساب: فعن عمران بن حُصَيْن رضي الله عنه، أنّ رسول الله ﷺ قال: "يدخلُ الجنّة مِنْ أمّتي سبعون ألفًا بغير حساب"، قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: "هم الّذين لا يسْترقون، ولا يتطيّرون، ولا يكتوون، وعلى ربّهم يتوكلون"[٣].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٥، ص ٢٢١ .

(٢) انظر: أضواء البيان للشنقيطي، ج٣، ص ١٢ .

(٣) رواه البخاري (٥٧٠٥،٥٧٥٢،٦٥٤١)، ومسلم ٢١٨ واللفظ له.

٣- التّوَكُّل من أعظم مقامات الدين وأجلّها وأفضلها. فعن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: "لو أنّكم توكّلتم على الله حقّ توكّله لرزقكم كما يرزق الطّير تغدو خماصا وتروح بطانا"(١).

٤- أمر الله أنبياءه ورسله وعباده بالتّوَكُّل عليه، وحثّهم عليه في جميع أحوالهم، وفيما أمرهم به، وفيما تعبدهم به. قال تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩].

٥- محبة الله تعالى للمتوكّلين عليه، وكفايته للناس مقرونة بتوكّلهم عليه، فهو سبحانه كافٍ من توكّل عليه. قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ﴾ [الطلاق: ٣].

وعن ابنِ عبَّاسٍ، رضي الله عنهما: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ قالها إبراهيمُ عليه السلام حينَ أُلْقِيَ في النّار، وقالها محمّدٌ ﷺ حينَ قالوا: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣](٢).

الأخذُ بالأسباب لا ينافي التّوَكُّل(٣):

التّوَكُّل من أعظم الأمور الّتي يحصل بها مطلوب العبد، ويندفع بها المكروه. ومع التّوَكُّل تكون الأسباب فمن أنكر الأسباب لم يستقم توكله، ولكن من تمام التّوَكُّل: عدم الرّكون إلى هذه الأسباب، وقطع تعلق القلب بها، فيكون

(١) رواه الترمذي ٢٣٤٤، واللفظ له، وابن ماجه ٤١٦٤، وأحمد ٢٠٥. خِماصًا: جمع خميص أَي جياعًا. بِطانًا: جمع بطين وهو عظيم البطن، أي: شباعًا.

(٢) رواه البخاري ٤٥٦٣.

(٣) انظر: قوت القلوب ج، ص ٥٢، مختصر منهاج القاصدين ص ٣٣٤، مدارج السالكين، ج ٢، ص ١٢٠، الآداب الشرعية، ج ٢، ص ٣٤٨ .

قلبه متعلقًا بالله لا بها، فالأسباب محلّ حكمة الله وأمره ونهيه.

وتحقيق التّوَكُّل لا يُنافى الأخذ بالأسباب التي قدر الله سبحانه وتعالى المقدرات بها، وجرت سنته في خلقه بذلك، فقد أمرنا الله تعالى بالأخذ بالأسباب مع أمره بالتّوَكُّل، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١]، وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وقد دلّت السنّة النّبويّة على ذلك أيضًا؛ فهذا سيد المتوكّلين نبيّنا محمد ﷺ كان متوكّلًا على اللّه تعالى في إقامة الدّين توكّلًا لم يصل إلى مثله غيرُهُ، وما أخلّ بشيء من الأسباب في حياته، فقد ظاهر بين درعين يوم أُحد، واستأجر دليلًا يدلّه على طريق الهجرة، وكان يدّخر لأهله قوت سنة، وكان إذا أراد السفر لجهادٍ أو حجٍّ أو غيره حمل زاده معه[1].

وعلّم أُمّته التّوَكُّل في جميع شؤونهم، فعن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال: قالَ رجل: يا رسول الله، أعقِلُها وأتوَكَّلُ، أو أُطْلِقُها وأتوكَّل؟ قال: "اعقِلْها وتوَكَّلْ"[2].

وكذلك الأنبياء فقد كانوا متوكلين على الله تعالى ومع هذا يأخذون بالأسباب، ومن ذلك قول يعقوب عليه السلام لبنيه: قال تعالى: ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧] فقد خاف عليه السلام عليهم العين، وهذا سببٌ من أسباب الحفظ وهو عدم اجتماعهم في

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ج ١، ص ٩١ .
(٢) الترمذيّ ٢٥١٧ .

بابٍ واحد، وأمّا نهاية الحفظ وحقيقته فهو إلى الله تعالى.

والنّاس أمام الأخذ بالأسباب وتركها على حالين اثنين: فمنهم من يترك فعل الأسبابِ كلّها، ويدَّعي أنّه منَ المتوكِّلين، ومنهم مَن يتعلق قلبُه بالأسباب، ويعتقد أنه لا يتمُّ له أمرٌ إلا بفعلِ سببٍ، وكلا الطائفتين قد جانبَتِ الصواب.

والموقف الحقّ هو: أنّ المُتوكل حقيقةً هو مَن فوَّض أمرَه إلى الله، ثم نظر: فإنْ كان هذا الأمرُ له أسباب مشروعة فَعَلَها؛ انقيادًا للشرع، لا اعتمادًا على الأسباب، ولا انقيادًا لها، وعليه؛ فمن كان أكثر اعتماده على الأسباب فقد نقص توكله على الله، فكأنّه جعل السبب وحده هو العمدة فيما يصبو إليه من حصول المطلوب وزوال المكروه، ومن جعل أكثر اعتماده على الله مُلغيًا للأسباب فقد طعن في حكمة الله وسنّته لأنّ الله جعل لكلّ شيء سببًا. كمن يعتمد على الله في حصول الولد وهو لا يتزوج، أو الحصد دون الزرع، فاعتماد المرء على الأسباب وحدها خلل في عقيدته، وترك أخذه بالأسباب خلل في عقله.

ثمرات التّوَكُّل وآثاره:

للتوكل ثمرات عديدة تعود على الفرد والمجتمع نذكر منها ما يأتي:

١- حصول محبة الله تعالى للمتوكل، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٢- الطمأنينة والسكينة النّفسية: فبالتّوَكُّل على الله تعالى وتفويض الأمور إليه تهدأ النفس، وتتنزّل عليها السكينة، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ﴾ [الطلاق: ٣].

٣- حفظ العبد من شرور شياطين الإنس والجنّ: فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنّ النّبى ﷺ، قال: "إذا خرج الرجل من بيته، فقال: بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله، قال: يُقال حينئذٍ: هُديتَ وكُفيتَ ووُقيتَ، فتتنحى له الشياطين، فيقولُ شيطانٌ آخر: كيف لك برجل قد هُدي وكُفى ووُقى؟"(١). ومعنى الحديث: أي ببركة هذه الكلمات وهذا الدعاء، فإنّ الشياطين لا تقدرُ على العبد(٢).

٤- حصول الرزق للعبد: من أهم آثار التّوَكُّل على الله تعالى؛ حصول المتوكل على رزقه وحاجاته المعيشية، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ – ٣]. وعن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لو أنّكم توكّلتم على الله حقّ توكّله لرزقكم كما يرزق الطّير تغدو خماصا وتروح بطانا"(٣).

٥- التّوَكُّل على الله تعالى يمنح الإنسان القوّة والشجاعة، والعزّة بالله وحده لا شريك له. جاء عن السلف قولهم: من سرّه أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله.

الوسائل المُعينة على التّوَكُّل:

هناك وسائل تُعين العبد على تحقيق التّوَكُّل منها:

١ – تقوية عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر في النفس: قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

---

(١) رواه أبو داود ٥٠٩٥ واللفظ له، والترمذي ٣٤٢٦.
(٢) انظر: عون المعبود وحاشية ابن القيم، ج ١٣، ص ٢٩٧ .
(٣) سلف تخريجه قريباً.

٢- حُسن العلاقة مع الله ﷻ والقُرب منه: فهذا من أهمّ وسائل تحقيق التّوَكُّل. والتقرب إلى الله تعالى بالنوافل يُعظّم التّوَكُّل على الله في قلب العبد.

٣- الأخذ بالأسباب والسعي في الأرض: قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٨ - ٥٩] قال الطبري: "يتوكلون في أرزاقهم وجهاد أعدائهم، فلا يَنْكُلون عنهم، ثقة منهم بأنّ الله مُعْلِي كلمته، ومُوهِن كيد الكافرين، وأنّ ما قُسِم لهم من الرزق فلن يَفُوتَهم"(١).

٤- استشعار العبد لضعفه وقلّة حيلته أمام قدرة الله تعالى: قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٣٢].

٥- الدعاء: وذلك بطلب العبد من الله تعالى أن يوفقه للتوكل عليه سبحانه. وكذلك دعاء الأخ لأخيه، ودعاء الصالحين للمسلم بأن يرزقه الله حقيقة التّوَكُّل عليه سبحانه.

الأمور التي تنافي حقيقة التّوَكُّل:

هناك أمور تُنافي حقيقة التّوَكُّل على الله تعالى وتناقضها، منها:

١- عدم الرضا والتسليم بما قدّره الله تعالى: فهذا ممّا يُناقض حقيقة التّوَكُّل على الله، لأنّ كثيرًا من الأمور الظاهرة التي يظنها الإنسان شرًّا؛ هي في حقيقتها تحمل الخير له، وكذلك العكس، قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

---

(١) تفسير الطبري، ج ٢٠، ص ٥٧ .

٢- التداوي بالحرام، أو التطيّر (التشاؤم)، أو إتيان السحرة والمشعوذين والدّجالين، فهذه كلّها أمورٌ تنافي التّوَكُّل على الله وتناقضه، بل إنّها تُدخل صاحبها في دائرة الشرك مع الله تعالى.

٣- المجاملات الزائدة عن حدّها والخارجة عن حدود الأدب، والنفاق الاجتماعي الكاذب: كالذي يجعل همّه وتفكيره في حياته إرضاء المسؤول عنه في العمل، أو إرضاء الحاكم أو الوزير، أو صاحب الجاه، من أجل أن يُغدق عليه ببعض المتاع أو المال، وكأنّ هذا الوزير أو الغني أو المسؤول هو المتكفل برزقه وبقائه!! وهذا يناقض حقيقة التّوَكُّل التي تربط الإنسان بأغنى الأغنياء سبحانه.

خاتمة:

أخي الداعية أختي الداعية: قد يستبطئ بعضُ الدعاة الفرج، ويتعجلون قطف ثمرة الدعوة قبل نُضجها، فلا يتحقق لهم ذلك فينتهى أمرهم إلى اليأس والقنوط والقعود عن الدعوة. لكنّ المؤمن الحقّ لا يفتُّ ذلك في عضُده؛ فهو واثق الخطى، خالص التّوَكُّل، عظيم الثبات، يستصحب قول الله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩].

وإنّ الاستسلام لإرجاف المُرجفين، وتخذيل المخذّلين يجرُّ المرء إلى هاوية الفشل، ويُسقطه في دركات الهزيمة. فإيّاك أن تجعل هذا الإرجاف وهذا الخذلان يقضى عليك، بل قاومه بالتّوَكُّل على الله تعالى. وإنْ كنتَ تخافُ الفشل في أيّ شأنٍ من شؤونك فتوكل على الله، وإن كنتَ تخاف من المستقبل وما يُخبّئهُ لك فتوكل على الله، وإن كنت خائفًا من مرض أو فقر فتوكل على الله. واستعن دومًا بالمُعين سبحانه، ولا تدع للخوف أو العجز عليك في حياتك سبيلًا. جعلنا الله وإيّاك من المتوكّلين عليه حقّ التّوَكُّل.

اليقين

اليقينُ شُعبة عظيمة من شعب الإيمان، فهو غاية المتّقين ومقصود العبّاد، وهو رُوحُ أعمال القلوب، الّتي هي أرواح أعمال الجوارح.

والحديث عن اليقين من أوجب الأمور وأهمّها، ذلك أنّ إقبال الناس على الدنيا وزينتها والاغترار بها والركون إليها، والغفلة عن الآخرة، ثمّ ظهور المشكلات المعقدة في حياتهم، ونشوء الأمراض النفسيّة من قلقٍ واكتئاب اللّذَيْن يؤديان غالبًا إلى حياةٍ بائسة يائسة، وظهور الأفكار المنحرفة في مجتمعاتهم من إلحادٍ وشبهاتٍ حول الدّين، كلّ ذلك بسبب غياب اليقين عن القلوب، وعدم استقراره فيها. وفي هذه الصفحات نتعرف على معنى اليقين وأهميّته ودرجاته وآثاره وسُبل تحصيله.

معنى اليقين وحقيقته:

تدلّ كلمة يقين في معاجم اللغة على العلم الذي لا شكّ فيه، وقيل: اليقين من صفة العلم، فهو فوق المعرفة والدّراية، لذلك يُقال: علمُ يقين ولا يُقال: معرفة يقين. وقد يُطلق اليقين ويُرادُ به الموت كما في قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾[الحجر: ٩٩][(١)].

اليقين اصطلاحًا:

ذكر العلماء تعريفاتٍ عدّة لليقين، أجمعُها تعريفان اثنان نذكرهما:

---

(١) انظر: الصحاح ج ٦، ص ٢٢١٩، المقاييس ج ٦، ص ١٥٧، المفردات في غريب القرآن ٨٩٢، ولسان العرب ج ٥، ص ٤٩٦٤ .

عرّفه الجُنيد بقوله: اليقين هو: استقرار العلم الذي لا ينقلب ولا يتحوّل ولا يتغير في القلب(١).

وجاء تعريفه في موسوعة القِيَم في الحديث النبوي الشريف: بأنّه إتقانُ العلم بانتِفاءِ الشَّكِّ والشُّبهة عنه. وهو أعلى مراتب العلم، وهو العلم القطعيّ الذي لا ظنّ فيه(٢).

حقيقةُ اليقين:

حقيقة اليقين في الدّين هي: العلم التّام والتصديق الجازم بحقائق الدّين، سواءٌ ما تعلّق بأصوله أو فروعه، بمعنى أنّه الاعتقاد الصحيح بمبادئ الإسلام. فبذلك يكون اليقين عند العبد إذا علم أنّ الله تعالى حرّم المحرّمات كالزنا والخمر والسرقة وغيرها، فيقف مُستسلمًا مُذعنًا لله تعالى، محدّثًا نفسه بقوله سبحانه: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [الزمر: ١٣].

وهكذا لا يمكن أن يُقْدم العبد على هذه المحارم ولا أن ينتهكها، لأنّه موقنٌ أنّ الله تعالى يُجازي من فعلها بالجزاء الذي توعّد به سبحانه.

وكذلك إذا علم العبد أنّ الله تعالى قد أمر بالصلاة، والزكاة، والعدل، والإحسان، وبر الوالدّين، وأفعال الخيرات عمومًا، ويوقن أنّ الله تعالى أمر بها، وأنّ الله يجازي من فعلها خيراً، ويعاقب من تركها، فإنه بلا شك يمتثلها ويعمل بها.

وقد أشارت نصوص الكتاب والسّنّة إلى أنّ اليقين شرط لقبول الإيمان

---

(١) مدارج السالكين، ج ٢، ص ٣٧٥ .

(٢) موسوعة القيم في الحديث النبوي، د. همام سعيد، ود. هيثم عبد الغفور، ود. أحمد برهوم، ج ١، ص ١٤٨ .

وحقيقته، فجعل المؤمنين حقًّا هُم أهل اليقين الّذين ليس في إيمانهم بالله تعالى شكٌّ أو ريبةٍ، ويتضمّنُ كذلك اليقينَ بِقَدَرِ اللهِ وخَلْقِه وتدبيره، وعدم إرضاء الخَلْق بسَخَطِ الخالق، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحجرات: ١٥].

وفي مقابل ذلك أخبرنا الله تعالى عن عدم يقين المنافقين وفساد قلوبهم بالشكّ والريبة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: ٤٥].

وعليه، فلا إيمانَ مع الشكّ أو التردد، لأنّه لا يُقبل إلاّ باليقين[١]. قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "اليقين الإيمان كلّه"[٢].

فضل اليقين وأهميّته:

اليقين من الإيمان بمنزلة عظيمة، به تفاضل العارفون، وفيه تنافس المتنافسون، وإليه شمّر العاملون، وعَمَلُ العُبّاد إنّما كان عليه، وإشاراتهم كلّها إليه، [٣] ويمكننا معرفة فضل اليقين وأهميّته من خلال ما يلي:

١- اليقين أعلى مراتب الدّين التي بيَّنها النبي ﷺ كما في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه "قال: يا رسول الله، ما الإحسانُ؟ قال: "أنْ تعبد اللّه كأنّك تراه، فإن لم تكُن تراهُ فإنّهُ يراكَ"[٤].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية، ج١، ص ٥١ .

(٢) رواه البخاري، بابُ قول النّبيّ ﷺ: "بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ".

(٣) انظر: مدارج السالكين، ج ٢، ص ٣٧٤ .

(٤) رواه البخاري ٥٠ واللفظ له، مسلم ٨. وانظر: شرح النووي على مسلم ج ١، ص ١٥٨، فتح الباري لابن رجب ج ١، ص ٢١١، فتح الباري لابن حجر ج ١، ص ١٢٠ .

٢- اليقن هو الطريق لإدراك عظمة الشريعة ومكانتها وأهميّة تحكيمها في واقع الحياة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

٣- اليقين يوجب طُمأنينة القلب وسكونه وارتياحه، قال تعالى: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٤].

فاليقين هو الحالة التي تُهيئ القلوب كي تُحسّ وتتأثر وتُنيب، وتتلقى حقائق الغيب في هدوء ويُسر وثقة.

٤- من أهميّة اليقين أنّ الله تعالى نبّه نبيه ﷺ إلى عدم الركون إلى أهل الشكّ والريبة، ممن ليس لديهم اليقين بالله ربّ العالمين، قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠]، وفي هذا توجيه كذلك لأهل الدعوات أن يصبروا على هذا الطريق وطوله، وأن لا يلتفتوا إلى أهل الشكّ والتشكيك بسلامة منهج هذه الدعوة وطريقها، وبعاقبة هذا الطريق من النصر والتمكين.

٥- اليقين من أعظم الأسباب التى تُعين العبد على العبادات وفعل الخيرات، والقيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والجهاد في سبيل الله تعالى؛ ذلك أنّه يمنع ورود الشهوات والشبهات على القلوب، ويدفع عن النفس ما قد تجده من ثقل أو تثبيطٍ للشيطان عليها. قال الحسنُ البصريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ما طُلبت الجنّة إلاّ باليقين، ولا هُرب من النّار إلاّ باليقين، ولا أُدّيت الفرائضُ إلاّ باليقين، ولا صَبْرَ على الحقّ إلاّ باليقين"(١).

وقد جاءت آياتٌ من القرآن الكريم، كما جاءت أحاديث النبيّ ﷺ وأقوال العلماء من سلف الأمّة، بمدح اليقين وأهله، نذكر منها ما يلي:

---

(١) اليقين لابن أبي الدنيا، ص ٣٧.

من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢].

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [لقمان: ٢ – ٥].

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٢٠].

من السنّة النبويّة:

خطب أبو بكر ﵁ قال: قام رسول الله ﷺ مقامي هذا عام الأوّل، وبكى أبو بكر، فقال أبو بكر: سلوا الله المعافاة أو قال: العافية. فلم يؤتَ أحدٌ قطّ بعد اليقين أفضلَ من العافية أو المُعافاة(١).

قال المُناوي: ليس شيءٌ ممّا يُعمَل للآخرة يُتلقّى إلّا باليقين، وليس شيءٌ من الدّنيا يَهنأُ لصاحبه إلّا مع العافية، وهي الأمن والصّحة وفراغ القلب، فجمعَ أمر الآخرة كلّه في كلمةٍ، والدّنيا في كلِمة(٢).

وعن ابن عمر ﵄ قال: قلَّما كانَ رسولُ الله ﷺ يقومُ من مجلسٍ حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه: "اللّهُمّ اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تُبلّغُنا به جنّتك، ومن اليقين ما تُهَوِّنُ به علينا مصائب الدّنيا"(٣).

---

(١) رواه أحمد في مسنده،٥ واللفظ له، وابن ماجه ٣٨٤٩.

(٢) فيض القدير، ج ٤، ص ٣٤٣.

(٣) رواه الترمذي ٣٥٠٢، والنَّسائي في عمل اليوم والليلة ٤٠١ .

من أقوال العلماء والصالحين في فضل اليقين:

قال خالد بنُ مَعْدان: "تَعلّموا اليقين كما تَعَلَّموا القُرآن، حتّى تَعرِفوهُ فإنّي أتَعَلّمُهُ"(١).

قال أبو بكر الورّاق: "اليقين ملاك القلب، وبه كمال الإيمان، وباليقين عُرِفَ الله"(٢).

درجات اليقين:

اليقين ثلاث درجات: علم اليقين، وعين اليقين، وحقّ اليقين.

أمّا الدّرجة الأولى فهي: علم اليقين، قال تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٥].

فعلمُ اليقين هو: العلم الجازم المطابق للواقع الذي لا شكّ فيه، كالعلم بأوامر الله تعالى ونواهيه، والإيمان بالغيب كالجنّة والنّار، والإيمان بأسمائه وصفاته وأفعاله، وأحكام دينه الذي جاء في كتابه وسنّة نبيه ﷺ(٣).

الدّرجة الثانية: عينُ اليقين. قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ﴾ [التكاثر: ٧] وهو ما يُشاهد ويُعايَن بالبصر. وهوما استغنى به صاحبه عن طلب الدّليل، كرؤية الشمس في رابعة النهار(٤).

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٧.

(٢) بصائر ذوي التمييز ج ٥، ص ٣٩٨.

(٣) انظر: مدارج السالكين، ج ٢، ص ٣٧٨، إحياء علوم الدّين ج١، ص ٧٢، التحرير والتنوير، ج ٣٠، ص ٥٢٢.

(٤) انظر: مدارج السالكين، ج٢، ص ٣٧٩، تفسير البيضاوي، ج ٥، ص ٣٣٤، تفسير ابن جزي، ج ٢، ص ٥١٠، التحرير والتنوير ج ٣٠، ص ٥٢٣.

الدّرجة الثالثة: حقّ اليقين. قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾ [الواقعة: ٩٥] وهذه منزلةٌ للرّسل عليهم السلام، كرؤية النبي ﷺ بعينه الجنّة والنّار، وكما كلّم الله تعالى موسى عليه السلام بلا واسطة، أمّا بالنّسبة لنا فإنّ حقّ اليقين يتأخّر إلى يوم القيامة(١).

وقد ضربَ الإمام ابن القيم رحمه الله مثالين يوضح فيهما هذه الدرجات، أحدهما مَثّلهُ برَجُلٍ أخبرك أنّ عنْدهُ عسلًا، وأنت لا تَشُكُّ في صدْقهِ، ثُمّ أراكَ إيّاه، فازددتَ يقينًا، ثُمَّ ذُقْتَ منه، فالأول: علمُ اليقين، والثّاني: عينُ اليقين، والثّالث: حقُّ اليقين.

ومثال آخر بالجنّة والنار: فالعلم بهما عِلمُ يقينٍ، فإذا أُزلفَتِ الجنّة في الموقف للمُتّقين وشاهدها الخلائقُ، وبُرّزت الجحيم للغاوين، وعاينها الخلائق، فذلك: عَيْنُ اليقين، فإذا أُدخل أهلُ الجنّة الجنّة، وأهلُ النّار النّار: فذلكَ حينئذٍ حَقُّ اليقين(٢).

ثمرات اليقين وآثاره:

لليقين ثمرات وآثار تعود على الفرد في حياته وآخرته، نذكر منها ما يأتي:

١- الفوز برضا الله تعالى وجنّته، والنجاة من سخطه والنّار: قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ٤ – ٥].

---

(١) انظر: تفسير القرطبي، ج١٧، ص ٢٣٤، مدارج السالكين، ج ٢، ص ٣٨٠، تفسير أبي السعود، ج ٨، ص ٢٠٢ .

(٢) انظر: مدارج السالكين، ج ٢، ص ٣٧٩ .

فالآيات تُخبرنا أنّ أهل اليقين هم أهل الهدى والفلاح خاصّة دون غيرهم، وأنّهم أهل الفوز بالجنّة والنّجاة من النّار، وأنّ غيرهم هم أهل الضلال والخسار[١].

٢- اليقين من أسباب الثبات في الدنيا وفي القبر وفي الآخرة: فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "ما من شيء لم أكن أُريته إلاّ رأيته في مقامي هذا حتى الجنّة والنّار، فأوحِيَ إليَّ أنّكم تُفتنون في قبوركم مثل أو قريبًا من فتنة المسيح الدّجّال، يُقال: ما علمك بهذا الرجل؟ فأمّا المؤمن أو الموقن فيقول: هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا واتبعنا، هو محمد ثلاثًا، فيقال نم صالحًا قد علمنا إنْ كنتَ لموقنًا به. وأمّا المنافق أو المرتاب فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته"[٢].

٣- التّوكّل: فهو ثمرتُهُ ونتيجتُه، وهو قرين اليقين، ولِهذا فُسّر التّوكّلُ بقُوّة اليقين. قال تعالى ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾ [النمل: ٧٩] فالحقُّ: هو اليَقينُ[٣].

٤- اليقين من أعظم أسباب حياة القلب، وطمأنينته وانشراح الصدر وإزالة الريب والشكّ والسُخط منه.

٥- اليقين هو سبيل الوصول إلى نيل الإمامة في الدّين: قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤] قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدّين"[٤].

---

(١) انظر: تفسير الطبري، ج١، ص ٢٤٧، تفسير البغوي، ج١، ص ٦٣ .

(٢) رواه البخاري (٨٦، ١٨٤، ٩٢٢) واللفظ له، ومسلم ٩٠٥.

(٣) انظر: مدارج السالكين، ج٢، ص ٣٧٥ – بتصرف-.

(٤) قاعدة في الصبر، لابن تيميّة، ص ٩٤ .

الوسائل المُعينة على اليقين:

هناك وسائل وطرق تُعين العبد على تحصيل اليقين، نذكر منها:

١- تلاوة القرآن الكريم وتدبره: فمن أراد اليقين بالله تعالى فليسمع كلامه، وليتدبر آياته؛ فإنّه يفتح القلوب والعقول. قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

٢- التفكر والتأمل في مخلوقات الله ﷻ: فمن أعظم الدلائل على وجود الله ﷻ هو مخلوقاته التى خلقها وأبدعها. قال تعالى: ﴿وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٤]. وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢].

٣- قراءة وتدبر سيرة النبى ﷺ، وقصص الأنبياء عليهم السلام: فإنّ في ذلك تثبيتًا لليقين في القلوب. فالعيشُ مع الأنبياء في جهادهم وبذلهم ودعوتهم مع أقوامهم المعاندين، وصبرهم على كلّ ما واجهوه من عنتٍ وأذى، يجعل المرء يدرك أنّهم ما صبروا كلّ هذا الصبر وتحملوا ما تحملوا، إلاّ ليقينهم بموعود ربهم بالنصر والتمكين لهم.

٤- الدعاء وطلب اليقين من الله تعالى: فهو من أعظم أسباب تحصيل اليقين وزيادته في القلب. وقد أمرنا النبى ﷺ بذلك، وكان يُكثر من الدعاء لله ﷻ أن يرزقه اليقين، ويملأ قلبه ونفسه به، فيقول: "ومِنَ اليقين ما تُهوّنُ به علينا مصائب الدنيا"[1].

٥- عدم مجالسة أهل الشكّ والشبهات والاستماع إليهم: فلقد ابتليت

---

(١) سلف تخريجه قريباً.

الأمّة في هذا العصر بموجات الإلحاد والتشكيك في دين الله ﷻ وسنّة نبيه ﷺ، وأصبح لهؤلاء الملاحدة والمشككين دعاة يروجون لهم، ومنتدياتٌ ومواقعُ وقنواتٌ تدعو إليهم. والواجب على المسلم أن يمتنع عن السماع لهم، والجلوس إليهم أو الدخول على مواقعهم ومنتدياتهم حتى لا تعْلَق الشبهات بقلبه وعقله فيفقد يقينه، إلاّ أهل العلم القادرين على ردّ شبهاتهم وتفنيد أقوالهم. قال تعالى ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨] فهذه وصية الله تعالى لعباده، العليم بطبائعهم وخفايا نفوسهم.

الخاتمة:

أخي الداعية الحبيب: بعد هذه الجولة مع عبادة اليقين بأحكام الله تعالى وحقائق الغيب، حريٌّ بنا أن نُؤكدّ في نفوسنا ونفوس الأمّة المسلمة معنى اليقين بحُكم الله وأمره، وأنّ ما شرعه سبحانه هو الحقّ والعدل وهو الخير، فما حرّمه علينا كان تحريمه لحكمة، وما أوجبه كان لحكمةٍ كذلك، فالأمرُ بالحجاب، وبيان أنصبة الميراث، وأحكام الزواج وسائر الأحكام الشرعيّة كلُّ ذلك لحكمةٍ بالغة، ويجب أن نكونَ من الموقنين بتلك الأحكام والحِكَم، فإنْ شككنا وارتبنا بذلك، فإنّنا نكون قد تركنا أمر الله ورضينا بحُكم الجاهليّة، فليس ثمّة إلاّ قسيمين وضدّين: حُكم الله، وحُكم الجاهليّة. فليكن يقينُنا بالله تبارك وتعالى، وفي شرعه ووعده وأمره يقينًا ثابتًا راسخًا. نسأل الله أن يجعلنا وإيّاكم من الموقنين.

التفكّر

أنعم الله ﷻ علينا بنعمٍ عظيمة، وسخَّرها لنا لنعرفه ونُعظِّمَهُ، ونعبده وحده،وأعظم هذه النعم نعمة العقل الذي هو آلة التّفكُّر والتفكير.

والتّفكُّر في آيات الله وعجائب صُنعه، أشرفُ ما أُنفقت فيه الأعمار، فقد دعا الله تعالى عباده إليها ليستدلوا بها على وحدانيته، فتتعلق قلوبهم به سبحانه. والمتأملُ في كتاب الله تعالى يجد تكرار ذكر آيات الله في خلقه وكونه، والأمر بالنظر إليها مرة بعد أخرى.

وفي هذه الصفحات نتعرف على معنى التّفكُّر، وأهميته ومجالاته وآثاره.

معنى التّفكُّر وحقيقته:

يعود أصل كلمة التّفكُّر في معاجم اللغة إلى مادّة (فَ كَ رَ) والّتي تدلّ على تردّد القلب في الشّيء، يُقال تفكّر إذا ردّد قلبه مُعتبرًا، وهو إعمال الخاطر في الشّيء[١].

والتّفكُّر اصطلاحًا: تصرف القلب في النظر في معاني الأشياء؛ لإدراك المطلوب. والتّفكُّر والتدبر والتأمل عبارات متقاربة على معنى واحد ليس تحتها معانٍ مختلفة[٢].

حقيقة التّفكُّر:

حقيقة التّفكُّر هي إعمال العقل والقلب بالنظر والتأمل والتدبر في

---

١ الصحاح، ج ٢، ص ٧٨٣، مقاييس اللغة، ج ٤، ص ٤٤٦، لسان العرب، ج ٥، ص ٦٥.
٢ إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٤٢٦، التعريفات للجرجاني، ص٦٣.

عظيم مخلوقات الله تعالى، ونعمه على خلقه، والتّفكُّر بأحوال النّفس البشريّة، والدنيا والكون وسنن التاريخ، كلّ ذلك ممّا يُدللّ على عظمته وإبداعه في صنعته.

وحقيقة هذا التّفكُّر تنشأ من إدراك العبد لوحدانية الله وكمال قدرته، فيتنبه إلى نِعم الله وآلائه. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦]، وليس المقصود من حقيقة التّفكُّر في آيات الكون وسننه الوقوف عند ظواهرها فحسب، بل إدراك تلك الحقائق الكبيرة التي تقف وراء هذا الكون العظيم، والتي تُحدِث تلك النقلة النوعية المقصودة من التّفكُّر عند أولي الألباب، فتتحول بهم من الوقوف على عَظَمَة الخَلْق إلى عَظَمَة الخالق؛ ممّا يوقظ في النّفس التعظيم والإجلال للخالق سبحانه وتعالى، فتلهج الألسنة بذكره، ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ﴾ [آل عمران: ١٩١].

قال سفيان بن عينيه: "إذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة"(١).

أهميّة التّفكُّر وفضله:

التّفكُّر عبادة شريفة، جاء القرآن الكريم في الحثّ عليها في مواضع عديدة؛ حيث وردت مادة: "التّفكُّر" في تسعة عشر موضعًا في القرآن الكريم، وخُتمَت سبع آياتٍ من كتاب الله بقوله تعالى: ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في

---

(١) للمزيد حول حقيقة التّفكُّر انظر: إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٤٢٥، الفوائد لابن القيم، ص ١٩٨ .

إشارة إلى أنّ هذه الآيات العظيمة التي تُذْكَر قبلها؛ لا ينتفع بها إلا ذوو العقول المتفكّرة.

وتظهر أهميّة التّفكُّر من خلال ما يأتي:

١- أمر الله تعالى بالتّفكُّر والتدبر في خلْقهِ وآلائه، وأثنى على عباده المتفكّرين. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠ – ١٩١].

٢- نعى الله تعالى على الغافلين عن النظر والتّفكُّر في كونه وخلقه المُعرضين عن آياته. قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥].

٣- التّفكُّر وسيلة مهمّة في تزكية النّفوس، ومنهج تربويّ عظيم للدعاة والمُصلحين والمُربّين، يبني فيهم تربية إنسانيّة متوازنة تعود بالنفع على المدعويين والتلاميذ، وتصل بهم جميعًا إلى حقيقة العبوديّة.

٤- التفكر زادٌ روحيّ يمدّ العبد بعون الله ونصرته. قال الحسن رضي الله عنه: "تفكُّر ساعةٍ خيرٌ من قيام ليلة"[١].

٥- التّفكُّر هو بابٌ للخيرات كلّها، وهو من أعظم أعمال القلب وأنفعها له، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "التّفكُّر في الخير يدعو إلى العمل به"[٢]. وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه:"التّفكُّر في نِعَم الله من أفضل العبادة"[٣].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة، ج ٧، ص ١٩٠، حلية الأولياء، ج ٦، ص ٢٧١.
(٢) إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٤٢٥ .
(٣) حلية الأولياء، أبو نعيم، ج ٥، ص ٣١٤ .

٦- التّفكُّر عبادة توصل إلى يقظة الأفراد ونهضة الأمم.

يقول الأستاذ سيّد قطب في بيان هذه الحقيقة:

"وهكذا تردّ العقيدة الصحيحة الناس إلى الوضوح والاستقامة في تقدير الأمور، وتردّ قلوبهم إلى اليقظة والتدبر فيما يقع لهم أو حولهم، وتُشعرهم أنّ يد اللّه وراء هذا كلّه، وأن ليس شيء ممّا يقع عبثًا أو مُصادفة، وبذلك ترتفع قيمة الحياة وقيمة الناس"(١).

فضلُ التّفكُّر:

جاء في فضل التّفكُّر آيات وأحاديث وأقوالٌ لسلف الأمّة، نذكر منها ما يلي:

من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الرعد: ٣].

وقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية: ١٣].

من السنّة النبوية:

عن أنس بن مالكٍ، رضي الله عنه: أنّ رجلًا قال: يا نبيّ الله، يُحشَرُ الكافر على وَجهِه يوم القيامة؟! قال: "أليسَ الّذي أمشاهُ على الرّجْلَينِ في الدُّنيا، قادرًا

(١) في ظلال القرآن ج ١٠، ص ٤٤٢.

على أنْ يُمْشِيَه على وجهِه يوم القيامة؟". قال قتادةُ: بلى، وعِزّةِ رَبِّنا[١].

"وفي الحديث مخاطبةٌ للعقل، وحثٌّ له على التفكُّر والتدبُّر في عظَمةِ الخالِقِ وقُدرتِه"[٢].

وعن عطاء قال: دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة، فقالت لعبيد بن عمير قد آن لك أن تزورنا، فقال: أَقول يا أُمَّه كما قال الأول: زُر غِبًّا تَزدد حبًا، قال فقالت: دَعُونا مِن رَطانَتِكُم هذه، قال ابن عمير: أخبرينا بأعجب شيء رأيته مِن رَسول الله ﷺ قال: فسكتت ثُمّ قالت: لمّا كان ليلةٌ مِن الليالي قال: "يا عائشةُ ذَريني أَتعبَّد الليلةَ لِربّي". قُلت: واللهِ إنّي لأُحبُّ قُربَك، وأُحبُّ ما سرَّك، قالت: فقامَ فتطهر، ثمّ قام يُصلي، قالت: فلم يَزَل يَبكي حتى بَلّ حِجرَه، قالت: ثُمّ بكى، فلم يزل يبكي حتّى بلّ لِحيتَه، قالت: ثمّ بكى، فلم يزل يبكي حتّى بلّ الأرض، فجاءَ بلالٌ يُؤذِنُه بالصلاة، فلمّا رآه يَبكي قال: يا رسول الله: لم تَبكي وقد غَفَرَ الله لك ما تقدم وما تأخر؟ قال:" أفلا أكون عبدًا شَكُورا؟ لقد نزلت عليَّ الليلةَ آيةٌ، ويلٌ لمن قَرأها وَلَم يَتفكَّر فيها: قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[آل عمران: ١٩٠] الآية كلّها[٣].

من أقوال السلف في فضل التّفكُّر:

عن عبد الله بن عتبة قال: سألتُ أمّ الدّرداء: ما كان أفضل عبادة أبي الدّرداء؟ قالت: "التّفكُّر والاعتبار"[٤].

---

(١) رواه البخاري، ٤٧٦٠ .

(٢) موسوعة القيم، ج١، ص ١١٤ .

(٣) رواه ابن حبان،٦٢٠، وإسناده صحيح على شرط مسلم.

(٤) الزهد لوكيع بن الجراح، ص: ٤٧٤ .

عن عامر بن عبد قيس قال: "سمعت غير واحد ولا اثنين ولا ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ يقولون: "إنّ ضياء الإيمان أو نور الإيمان التّفكُّر"[1].

مجالات التّفكُّر:

للتّفكُّر مجالاتٍ كثيرة، نذكر منها:

١-المجال الشرعي. ٢- المجال الكوني.٣- مجال التفكر في خلق الإنسان والحيوان والنبات.٤- المجال التاريخي.

أمّا المجال الأول: التّفكُّر في المجال الشرعيّ:

فهو التّفكُّر في آيات كتاب الله، التى حثّ الله تعالى على التّفكُّر فيها وتدبُّرها في مواضع كثيرة، كما في قول تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر: ٢١] وهذا يعنى أنّ المرء يتفكر في هذه الأدلة حين سماعها أو تلاوتها، وما تتضمنه من دلائل باهرة تحثّ على توحيد الله والإيمان به.

ويدخل في هذا المجال التّفكُّر في المعجزات والدلائل والبشارات والإنذارات والعبر والأحكام ونحوها. وهذا المجال يُورث في القلب محبةَ الخالق وتعظيمَه.

المجال الثاني: المجال الكوني:

وأمّا التّفكُّر في المجال الكوني، فهو التفكر والتّأمل في آيات الله الكونية، من مخلوقاته العظيمة من سماءٍ وأرض، وليل ونهار، وجبال وأشجار وبحار وأنهار، وغير ذلك مما لا يُحصى، مما خلق الباري ﷻ وأودع في هذا الكون الفسيح.

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج ٢، ص ٤٠٩.

المجال الثالث: مجال خلق الإنسان والحيوان والنبات:

وأمّا مجال التفكّر في خلق الإنسان والحيوان والنبات. فيكون بالتّفكُّر في خلق الإنسان الذي دعانا ربنا سبحانه إلى التّفكُّر في خِلقَته وأحواله، ومآلاته، وإلى التأمل في نفسه. قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١﴾ [الذاريات: ٢٠ – ٢١]. وقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣﴾ [فصلت: ٥٣].

والإنسان هو معجزة الله الكبرى على هذه الأرض، وخَلْقه من أعظم الدلائل على إبداع خالقه ومصوره؛ فهو الكائن الحيّ الذي يمتلك من الخصائص المذهلة التى لا توجد في أيّ كائن آخر، فقد جعله الله خليفة، وكرّمه بنعمة العقل، ونفخ فيه من روحه، وخلقه في أحسن تقويم، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٧ – ٩].

وأمّا خلق الحيوان فهو كذلك ممّا يدعو إلى التّفكُّر في هذا الإبداع الربانيّ في خلقه. فكما خلق الله تعالى الإنسان، خلق من حوله مخلوقاتٍ أخرى من الحيوانات، منها ما يسبح في البحار، ومنها ما يُحلّق في السماء، ومنها ما يمشي على الأرض بطرقٍ مختلفة. قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور: ٤٥].

وقد دعا الله سبحانه إلى التفكر في خلق الحيوان وخلق السماوات والأرض

والجبال، فقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠﴾ [الغاشية: ١٧ – ٢٠].

المجال الرابع: التّفكُّر في السنن التاريخيّة:

وأمّا التّفكُّر في المجال التاريخى فهو يشمل التّفكُّر في أحوال الأمم السابقة، والحضارات البائدة، من حيث نشأتهم، وتمكينهم في الأرض، وعمارتهم لها، وكيف حقّت سنّة الله في القوم الظالمين الذين كذّبوا رسلهم وحاربوهم، مغترين بقوتهم وعدتهم، لينزل بهم العذاب وتبقى مساكنهم وآثارهم شاهدةً على كفرهم وعذاب الله لهم، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الروم: ٩].

ويدخل في هذا المجال التّفكُّر فيما يجريه الله من سننٍ ومحن وابتلاءاتٍ على الدعوات وأصحابها، وما يقع في مسيرتها من انتصار الحقّ وأهله، وهزيمة الظلم وأهله، وكذلك من تداول الأيام بين أصحاب الدعوات وأعدائهم.

قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧][(١)].

درجات التّفكُّر:

للتفكّر في خلق الله تعالى ثلاث درجات وهي:

---

(١) انظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن القيّم، ص: ٥٩.

١- التّفكُّر السطحي: وهو الذي يكتفي صاحبه بالنظر في المظاهر الخارجيّة للنعم والآلاء، وهذه الدرجة هي ما يغلِب على عامّة النّاس.

٢- التّفكُّر العميق: وهو التّفكُّر الذي لا يكتفي صاحبه بالنظرة الخارجيّة، وإنّما يُعاود التّفكُّر المرّة بعد المرّة للوصول إلى حقائق ما في الكون والخلق ومعرفة أسراره، وهذا تفكّر العُلماء.

٣- التّفكُّر المُستنير: وهو أرقى أنواع التّفكُّر، فهو تفكّرٌ عميقٌ يُضاف إليه التّفكُّر بما حول المظاهر الكونيّة وخلق المخلوقات من علاقات وأسباب ومسببات وأسرار، ممّا يوصل إلى نتائج صادقة ترفع مستوى الإيمان، وهذا لا يرتبط بالضرورة مع وجود العلم، فالأعرابي الذي قال: "البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير"، هو مُفكر مستنير، بينما لم يكن عالم الذرة أو الطبّ أو الفلك الذي يعبد غير الله مستنيرًا، لأنّ علمه لم يوصله إلى حقيقة وجود الخالق وإبداعه في كونه.

ثمرات وفوائد التّفكُّر:

للتّفكُّر في مخلوقات الله تعالى ثمراتٌ تعود على الفرد، هي كما يلي:

١- معرفة الله تعالى وتعظيمه: فهو المقصود الأسمى، والمطلوب الأعظم من عبادة التّفكُّر، وهو الغاية الجامعة لما سواها من غايات التّفكُّر، فما سلك العبُّاد طريقًا أيسر ولا أسرع من التّفكُّر، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦].

٢- خشوع القلب، وانشراح الصدر: فدوام التّفكُّر يُورِث القلب إخباتًا والصدر انشراحا؛ وذلك لما ينطبع فيه من مشاهد العَظَمَة والقدرة والرحمة

والقهر. ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٧ – ٢٨].

٣- دوام العمل وإحسانه: فاستدامة التّفكُّر الذي يجمع بين وعي العقل وحضور القلب تصل بصاحبها إلى حُسْن الفهم عن الله، فتنقاد جوارحه للعمل. قال وهب بن منبه: "ما طالت فكرة امرئ قطّ إلاّ فَهِم، وما فَهِم إلا علم، وما علم إلا عمل" [(١)]. فهو فَهْمٌ موصلٌ للعلم، وعلمٌ محفِّز للعمل: فهي كالحلقات في السلسلة المترابطة يوصل بعضها لبعض.

٤- ترك الذنوب والمعاصي: فالتّفكُّر في عَظَمَة الله وواسع قدرته، والتّفكُّر في سننه في العصاة والظالمين؛ يُورِثُ القلب خوفًا وخشيةً تحولُ بينه وبين الذنوب والمعاصي. قال بِشْر الحافي: "لو تفكَّر النّاس في عَظَمَة الله تعالى ما عصوه"[(٢)].

٥- التّفكُّر يحدث في النفس إشباعًا حسيًّا ووجدانيًا، ممّا ينتج توازنًا في شخصيّة العبد.

الوسائل المُعينة على التّفكُّر:

هناك طرق تساعد العبد على اكتساب هذه العبادة الجليلة، نذكر منها:

١- استشعار أجر التّفكُّر وفضله وعظيم أثره في زيادة الإيمان واليقين.

٢- تخصيص وقتٍ للتفكر بالابتعاد عن شواغل الدنيا وصوارفها.

---

(١) إحياء علوم الدين ج ٤، ص ٤٢٥ .

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج ٨، ص ٣٣٧ .

٣- ومن أعظم ما يُعين العبد على التّفكُّر استغلال الأوقات الفاضلة، ومواسم الطاعات، كأوقات السَّحر، ورمضان وغيرها، فإنّ القلب يكون مُهيئًا فيها للتّفكُّر.

٤- الخروج إلى البرّ، والحدائق والسهول، والبحار والأنهار، حيث السماء المرفوعة والأرض الممدودة والنجوم الساطعة والأشجار الوارفة، لترى العين مواطن الإبداع ممّا يهيئ القلب لعبادة التّفكُّر.

تأمل في نبات الأرض وانظر   إلى آثار ما صنع المليكُ
عيونٌ من لجينٍ شاخصاتٌ   بأبصارٍ هي الذهب السبيكُ
على قُضُبِ الزبرجد شاهداتٌ   بأنّ الله ليس له شريكُ

٥- ترك المبالغة في الطعام والابتعاد عن النظر المُحرّم، واجتناب لغو الكلام، لأنّ تركها يوقظ الفكر والتّفكُّر في النفس. قال أحد الحكماء: "إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة"[(١)].

الخاتمة:

أخي الدّاعية، أختي الداعية: إنّ إلف الإنسان ومشاهدته لمظاهر الكون وما خلق الله فيه من إنسان وحيوان ونبات وشمسٍ وقمر ونجوم، جعله غافلًا عن التفكر في عظمة الخالق سبحانه، وتعامل مع هذه المظاهر الكونية تعاملًا باردًا، وأصبح التّفكُّر عبادةً غائبة عند كثيرٍ من المسلمين. وعليه، فنحن ندعوكم إخواننا وأخواتنا الأعزاء لأن يكون لكم وردٌ من التفكر

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ٨٢، وقد عزاه إلى لقمان في وصيته لابنه، والله أعلم.

والتدبر والتأمل، فإنّ التّفكُّر يقود إلى الإيمان، ويهدي إلى اليقين، فتعال لننظر في هذا الكون البديع ثمّ لنُعِد النّظر، كرّةً بعد كرّة ومرّةً بعد مرّة، لنُعلن استسلامنا وانقيادنا لرب السماوات والأرض سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ [الملك: ٣ – ٤].

الأدب

جاءت الشريعة الإسلامية بمنهجٍ شاملٍ قويم لتربية النّفوس وتزكيتها، وجعلت للأدب ومكارم الأخلاق في هذا المنهج مكانة عظيمة، وأوجبت على كل فردٍ في المجتمع أن يعرف للأدب مكانته، وأن يتخلق بهذه الآداب ويلتزم بها.

ولمّا كانت الأمّة اليوم تعيش أزمة في الآداب العامة والذوق العام، حيث نشهد مظاهر تلك الأزمة في أخلاق الناس وآدابهم في مختلف شؤون حياتهم، في بيوتهم، وأعمالهم، وأماكنهم العامة والخاصة، وذوقهم في تعامل بعضهم مع بعض، وغيرها؛ كان لزامًا علينا تحقيق هذه الآداب في حياتنا ومجتمعاتنا، لإقامة مجتمع نظيف الأخلاق والأذواق.

معنى الأدب وحقيقته:

الأدب لغةً: تعود كلمة الأدب في أصلها إلى مادة: (أدْب) والّتي تدلّ على معنى الدعاء، أي دعوة الناس إلى الطّعام، وفي ذلك قياسٌ على الأدب؛ لأنّه مُجمَعٌ على استحسانه. وقيل: سُمّيَ أَدَبًا: لأنّهُ يدعو النّاس إلى المحامد، وينهاهم عن القبائح [1].

الأدب اصطلاحًا: جاء في تعريف الأدب عند العلماء تعريفات عدّة نذكر أهمّها وأجمعها:

الأدب: اجتماع خصال الخير في العبد ليتَخَرَّج بها المرء في فضيلة من

---

(١) انظر: الصحاح تاج اللغة، ج١، ص ٨٦، مقاييس اللغة، ج ١، ص ٧٤، لسان العرب، ج ١، ص٢٠٦ .

الفضائل، وهو معرفة ما يُحترز به عن جميع أنواع الخطأ [١].

قال ابن حجر العسقلاني في شرحه لكتاب الأدب من صحيح البخاري: "والأدبُ استعمال ما يُحمد قولًا وفعلًا، وقيل: هو: الأخذُ بمكارم الأخلاق" [٢].

أخي الداعية، أختي الداعية: من خلال التعريفات السابقة لمعنى الأدب، نجد أنّ كلمة الأدب تدخلُ في جميع أمور الدّين وأخلاقه، وقد جاءت في خِصال الخير، والفُتيا، والقضاء، والنكاح، والسفر، والطعام، والشراب، والمشى، والنوم، وقضاء الحاجة، والكلام، والسكوت، والاستماع، والعُطاس، والتثاؤب، وغير ذلك، فلكلّ واحدٍ من هذه الأمور أدب خاصّ به.

ويتفرع عن هذا المعنى للأدب معنيين آخرين هما:

التّأدّب: وهو بمعنى التّصرّف اللّائق الّذي يتّفق مع المروءة.

والتّأديب: وهو تعليمُ فضيلةٍ من الفضائل، ومعاقبة من يخالف ذلك على إساءته. وقد سمّيت المعاقبة تأديبًا؛ لأنّها تدعو إلى حقيقة الأدب بمعنى الرّياضات المحمودة الّتي يتخرّج بها الإنسان على فضيلة من الفضائل.

حقيقة الأدب:

الأدبُ من صميم هذا الدين، فهو قيمٌ ثابتة ومُثُلٌ عليا تصلح لكلّ إنسان دون النظر إلى جنسه أو لونه أو زمانه أومكانه.

---

(١) انظر: مدارج السالكين، ج ٢، ص ٣٥٥، التعريفات للجرجاني، ص١٥، الكلّيات ص٦٥.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١٢، ص ٣.

وتظهر هذه الحقيقة في أنّ الدّين أدبٌ كلّه، فستر العورة من الأدب، والوضوء، والغُسل من الأدب، والتطهر من الأدب، وهكذا سائر الفضائل والآداب. ومصدر هذا الأدب هو الوحي الإلهيّ من القرآن والسنّة.

وهذا الأدب يحسُنُ بالعبد التزامه، استشعارًا بمراقبة الله تعالى.

والأدبُ يتصل بعمل المسلم ونشاطه من خلال علاقته بربه، وعلاقته مع نفسه، وعلاقته مع غيره من بني جنسه.

والأدب في حقيقته قسمان: أدبٌ حَسَنٌ: كالفضائل التي تُنتج أقوالًا وأفعالًا حسنةً. وأدبٌ سيءٌ، يُنتج الرذيلة، وقبيح القول والفعل.

والأدب منه ما هو جبليٌّ يُجْبَلُ عليه الإنسان، ومنه ما هو كَسبيّ يمكن اكتسابه بالمجاهدة والتدريب، قال ﷺ لأشَجّ عبد القيس: "إنّ فيك خَلَّتين يحبهما الله: الحِلْمُ والأناة"، فقال: "يا رسول الله أنا أَتخلَّقُ بهما، أم الله جبلني عليهما؟ "، قال: "بل الله جبلك عليهما"، قال: "الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله"(١).

أهميّة الأدب وفضله:

تظهر أهميّة الأدب من خلال ما يلي:

١- الأدب من أعظم أسباب الفوز بالدّرجات العُلى من الجنّة: قال تعالى: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ۝٧٥ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه: ٧٥ – ٧٦].

٢- الأدب تزكيةٌ لأخلاق العباد، وهو أساس دعوة الأنبياء، التي أمر الله

(١) رواه أبو داود ٥٢٢٥.

تعالى بها عباده: قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

٣- الأدب هو أبرز سمات الشخصيّة المسلمة، ومظاهر تميّزها بهذا الدين.

٤- أوجب الإسلام على كلّ مسلم أن يتعرف على الآداب الشرعيّة، وأن يلتزم بها في كلّ شؤونه، وأن يتعاهد من هو تحت ولايته من ولد وزوجة أو عامل بهذه الآداب، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

٥- التمسك بالآداب الشرعيّة يقود إلى التمسك بالدّين كلّه.

ويظهر فضل الأدب من خلال الآيات والأحاديث وأقوال العلماء الدالة على فضله، نذكر منها ما يأتي:

من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٤] قال القرطبي رحمه الله: "أي: لا تمتنعوا عن شي من المكارم تَعَلُّلًا بأنّا حَلَفْنا ألّا نفعل كذا، قال سعيد بن جُبير: هو الرجل يحْلِفُ ألّا يبرّ ولا يصل ولا يُصْلح بين النّاس"(١).

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ

---

(١) تفسير القرطبي، ج ٣، ص ٩٧ .

﴿وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

من الأحاديث النبويّة:

١- عن أبي موسى الأشعري، أنّ رسول الله ﷺ قال: "ثلاثة يؤتون أجرهم مرّتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيّه وأدرك النّبيّ ﷺ، فآمن به واتّبعه وصدّقه فله أجران، وعبد مملوك أدّى حقّ الله تعالى وحقّ سيّده، فله أجران، ورجل كانت له أمة فغذّاها فأحسن غذاءها، ثمّ أدّبها فأحسن أدبها، ثمّ أعتقها وتزوّجها فله أجران"(١).

٢- عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: "أمرنا رسول الله ﷺ بسبع: بعيادة المريض، واتّباع الجنائز، وتشميت العاطس، ونصر الضّعيف، وعون المظلوم، وإفشاء السّلام، وإبرار المقسم. ونهى عن الشّرب في الفضّة، ونهى عن تختّم الذّهب، وعن ركوب المياثر، وعن لبس الحرير والدّيباج، والقَسِّيِّ والإستبرق" (٢).

من أقوال أهل العلم:

قال عبد الله بن المبارك رحمه الله: "من تهاون بالأدب عوقب بحرمان السّنن، ومن تهاون بالسّنن عوقب بحرمان الفرائض، ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة"(٣).

---

(١) رواه البخاري٣٠١١، ومسلم ١٥٤واللفظ له، والترمذي ١١١٦، والنسائي٣٣٤٤.

(٢) رواه البخاري ٦٢٣٥ واللفظ له، مسلم ٢٠٦٦، الترمذي ١٧٦٠، النسائي١٩٣٩.
(المياثر):جمع ميثرة وهي فراش صغير من الحرير محشو بالقطن يجعله الراكب تحته. (القسي) نوع من الثياب مصنوع من كتان مخلوط بحرير.

(٣) مدارج السالكين، ج ٢، ٣٥٧.

قال يحيى بن معاذ: "من تأدّب بأدب الله صار من أهل محبّة الله"[١].

أنواع الأدب:

للأدب أنواعٌ ثلاثة، نذكرها فيما يلي:

النوع الأول: الأدب مع الله تعالى:

إذا كان التأدب مع أهل الفضل واجبًا، فالتأدب مع الله سبحانه من أوجب الواجبات في هذا الدين، فهو سلوك الأنبياء والصالحين، ولا يستقيم الأدب مع الله سبحانه وتظهر آثاره على العبد إلاّ من خلال ثلاثة أمور أساسية:

١ - معرفة الله سبحانه بأسمائه وصفاته.

٢- معرفة الله سبحانه بدينه وشرعه وأحكامه وما يحبُّه وما يكرهه.

٣- النّفس القابلة للحقّ علمًا وعملًا.

وللأدب مع الله تعالى صورٌ متعددة، ينبغي على العبد تمثلُها ليكون مؤدبًا مع الله تعالى، نذكر منها[٢]:

١ - استحضار العبد لجلال الله تعالى وهيبته في نفسه، وتعظيم الله تعالى وتوقيره، وعدم الاستدراك على أحكامه وتشريعاته والتقدم عليه سبحانه. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١].

---

(١) المصدر السابق، ج٢، ٣٥٧.

(٢) لمزيد فائدة انظر تكرّمًا: قوت القلوب في معاملة المحبوب، ج ١، ص ١٤٤، ج ٢، ص ١٨١، مدارج السالكين، ج ٢، ص ٣٥٦.

يقول الأستاذ سيد قطب مبينًا حقيقة هذا الأدب مع الله تعالى: "فهو أدب نفسي مع اللّه ورسوله، وهو منهج في التلقي والتنفيذ، وهو أصل من أصول التشريع والعمل في الوقت ذاته، وهو منبثق من تقوى اللّه، وراجع إليها. وكل ذلك في آية واحدة قصيرة، تلمس وتصور كل هذه الحقائق الأصيلة الكبيرة"[١].

٢- استحضار العبد لنعم الله تعالى ومِنَنه التي تغمره، تجعل العبد شاكرًا معترفًا بهذه النعم، إذ ليس من الأدب أن يُنكر العبد فضل صاحب النعم ويجحد نعمه.

٣- نظرُ العبد إلى لطف الله تعالى مصحابًا له في شؤون حياته، ومشاهدة آثار رحمته يجعله متضرعًا متوسلًا إليه سبحانه، فيتجنب عصيانه ومعصيته، وهذا من الأدب معه تعالى.

٤- أن يحبّ العبد ربه سبحانه، وأن يكون ولاؤه له ولدينه وأوليائه، وأن يُعادي أعداءه واعداء أوليائه. قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [آل عمران: ٣١]. وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾ [المائدة: ٥٤].

٥- حُسن الظن به سبحانه، والصدق معه، والقيام بأوامره، واللهج بذكره والثناء عليه، من الأدب معه سبحانه.

٦- الأدب مع كلام الله تعالى، تلاوةً وتدبرًا، وعملًا بأحكامه وتشريعاته

---

(١) في ظلال القرآن ج١٣، ص ٢٧١.

فهذا من الأدب مع الله كذلك. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

٧- تحكيمُ شرعه وأوامره وأحكامه في سائر شؤون الحياة، فهذا من أعظم الأدب مع الله تعالى، قال تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠].

والمتأمل في أحوال رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم مع الله تعالى، ومخاطبتهم وسؤالهم له؛ يجدها كلّها قائمة على الأدب معه سبحانه، ومن الأمثلة على ذلك: أدبُ آدم عليه السلام: فبعد أكله من الشجرة، وعصيانه لأمر الله تعالى، قال تعالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣] فنسب الظلم لنفسه ولم ينسبه إلى قدر الله تعالى عليه[1].

أدب إبراهيم عليه السلام: فقد قال لقومه يصفُ الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء: ٧٨ – ٨٠].

قال البغويّ: " أضاف المرض إلى نفسه وإن كان المرض والشفاء كلّه من الله، استعمالًا لحسن الأدب" [2].

أدب خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، فهو أكمل الأنبياء أدبًا، زكّاه الله وأدّبه: قال تعالى: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم: ١٧]. قال القرطبيّ: "وهذا وصف أدب للنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام، إذ لم يلتفت يمينًا ولا شمالا"[3].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير ج ٨، ص ٦٧ .

(٢) تفسير البغوي، ج ٦، ص ١١٨ .

(٣) تفسير القرطبي، ج١٧، ص ٩٨ .

النوع الثاني: الأدب مع النبي ﷺ:(١)

والأدب مع النبي ﷺ من الأمور العظيمة، فإنّه الرحمة المهداة، الهادي البشير، والسراج المنير، وهو القدوة والأسوة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر. وحتى يستقيم أدب العبد مع النبي ﷺ فلا بدّ له من كمال التسليم له ﷺ، والانقياد لأمره ﷺ، وتلقي سنّته بالقبول والتصديق.

ومن صور التأدب معه ﷺ نذكر ما يلي:

١- الانقياد التام والطاعة المطلقة له ﷺ، وعدم التقدم بين يديه بأمر ولا نهي ولا إذن ولا تصرف، وهذا باقٍ إلى يوم القيامة، فالتقدم بين يدي سُنّته بعد وفاته كالتقدم بين يديه في حياته. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١].

٢- عدم رفع الصوت عنده حيًّا وميتًا. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات: ٢].

قال صاحب أضواء البيان: "ومعلوم أنّ حرمة النبي ﷺ بعد وفاته كحرمته في أيام حياته، وبه تعلم أنّ ما جرت به العادة اليوم من اجتماع الناس قرب قبره ﷺ وهم في صخب ولغط وأصواتهم مرتفعة ارتفاعًا مزعجًا كلّه لا يجوز، ولا يليق، وإقرارهم عليه من المنكر"(٢).

٣- التصديقُ الجازم بكل ما أخبر به ﷺ، والاعتقاد بصحة كلِّ ما أخبر به عن الأمم السابقة، وما أخبر عن أمور الغيب في المستقبل؛ فهو وحيٌ مِن الله تعالى.

---

(١) لمزيد فائدة انظر تكرّمًا: مدارج السالكين، ج ٢، ص ٣٦٥.
(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي، ج ٧، ص ٤٠٣ .

٤- اجتناب كلّ ما نهى عنه ﷺ من الأقوال والأفعال. قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، وقال تعالى: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

٥- ومن الأدب معه ﷺ: محبته وتوقيره وتعظيمه، وعدم تقديم محبة أحدٍ من الخلق على محبته ﷺ: قال تعالى: ﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُۚ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٩].

وقد ضرب الصحابة رضوان الله عليهم أروع الأمثلة في تأدبهم مع النبي ﷺ، والأمثلة في ذلك لا حصر لها، لكننا نذكر منها ما يأتي:

فهذا أبو بكرٍ الصّدِّيق رضي الله عنه يتأخر في الصلاة لئلاّ يتقدم بين يدي النبي ﷺ، ويقول: "ما كان ينبغي لابن أبي قحافة أن يتقدم بين يدي رسول الله ﷺ"[(١)].

وعن أبي أيّوب رضي الله عنه، أنّ النّبيّ ﷺ نَزَلَ عليه، فنزل النّبيّ ﷺ في السُّفْلِ، وأبو أيّوبَ في العِلْوِ، قال: فانتَبَهَ أبو أيّوبَ ليلةً، فقال: نمشي فوق رأس رسول الله ﷺ، فتَنَحَّوْا فباتوا في جانب، ثمّ قال للنّبيّ ﷺ فقال النّبيّ ﷺ: «السُّفْلُ أَرْفَقُ»، فقال: لا أعلو سَقيفةً أنتَ تحتها، فتحوّل النّبيّ ﷺ في العُلُوِّ، وأبو أيّوب في السُّفْلِ، فكان يصنعُ للنّبيّ ﷺ طعامًا فإذا جِيءَ بِهِ إليه سأل عن موضع أصابعه فيتتبَّع موضعَ أصابعِهِ، فصنعَ له طعامًا فيه ثُومٌ، فلمّا رُدَّ إليه سأل عن موضع أصابع النّبيّ ﷺ، فقيلَ لهُ: لَمْ يأكُل، ففزعَ وصعدَ إليه، فقال: أحرامٌ هو؟ فقال النّبيّ ﷺ: «لا ولكنّي أكرهُهُ»، قال: فإنّي أكرَهُ ما تكرهُ أو ما كَرِهْتَ"[(٢)].

---

(١) رواه البخاري ٦٨٤ واللفظ له، مسلم ٤٢١، وأبي داود٩٤٠، والنسائي ٧٨٤.
(٢) رواه مسلم، 2053 .

النوع الثالث: الأدب مع الخلق[١]:

ذكرنا أنّ أدب المرء هو عنوان سعادته وفلاحه، كما أنّ سوء أدبه هي عنوان شقاوته وخسارته، فما استُجلب خير الدّنيا والآخرة بمثل الأدب.

وعليه؛ فالأدب مع الخلق أمرٌ مهمٌّ في حياة المسلم، وهو متفاوتٌ باختلاف مراتب الخَلق، فلكلٍّ مرتبة أدبٍ يليق بها، فالأدب مع الوالدين ومع العلماء ومع الأصدقاء والأقارب والجيران والضيوف، لكلّ فئةٍ من هذه الفئات أدبها.

قال ابن عقيل: "وثمرة العقل طاعة الله فيما أمرك به ونهاك، وعدلُك في معاملة الناس في التأدب لهم والإنصاف، فعقلٌ لا يثمر طاعة الحقّ ولا إنصاف الخلق، كعينٍ لا تُبصر وأذنٍ لا تسمع"[٢].

وإنّ أحقّ النّاس بالتحلي بالأدب هم الدعاة إلى الله تعالى، فيكون الداعية أديبًا مع أهله وجيرانه وإخوانه، يبذل المعروف والنُّصح والتوجيه لهم، ويكون أديبًا مع المدعويين بتعليمهم حقيقة دعوته، وأهميتها والعمل لأجلها، فيصبر على ما يلقاه في سبيل ذلك التوجيه من عنتٍ ومشقة.

فوائد الأدب وآثاره:

للأدب فوائد وآثار تعود على الفرد والمجتمع نذكر منها ما يأتي:

١- الأدب مع اللّه تعالى يحقّق التّقوى في قلب الإنسان، ويورث التزكية في نفسه.

٢- الأدب يُزكّي النفوس، وبه تطييب القلوب. قال بعض العلماء:

---

(١) انظر: مدارج السالكين، ج ٢، ص ٣٦٨.

(٢) كتاب الفنون لابن عقيل، ج ٢، ص ٦٥٢.

"الأدبُ وسيلةٌ إلى كلّ فضيلةٍ، وذريعةٌ إلى كلّ شريعةٍ"(١).

٣- الأدب وسيلة مهمة من وسائل الدعوة، يساعد على نشر الإسلام. قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٤- الالتزام بالأدب يجعل المجتمع مجتمعًا متسامحًا نظيفا من الآفات.

الوسائل المُعينة على الأدب:

هناك وسائل تُعين العبد على اكتساب الأدب نذكر منها ما يأتي:

١- المحافظة على أداء الفرائض والعبادات كالصلاة والصيام وغيرها: فهي تُقوِّم النّفس الإنسانيّة، وتحفظ عليها صالح أخلاقها وتُنمِّي فيها الأدب.

٢- التفكّر في الآثار المترتبة على الالتزام بالأدب، والنظر في عواقب سوء الأدب: فكما أنّ المرء يستحضر دومًا جزاء حُسن الأدب، وما يجلبه من مكارم، فكذلك يتأمل دومًا فيما يجلبه سوء الأدب من أسفٍ دائم، وهمٍّ ملازمٌ لصاحبه، وحسرة وندامة، وبُغض في قلوب الخلق.

٣- مصاحبة أهل الأدب والخلق الحسن: فالمرء شديد التأثر بمن يصاحبه، ومجالسة أهل الأدب تُكسبه الصلاح والفضيلة.

٤- النظر في سير أهل الأدب من الصحابة وسلف الأمة: فالنظر في سيرهم، والاطلاع على آدابهم يبعث على التأسي بهم، والاقتداء بهديهم.

٥- مجاهدة النّفس بتعويدها، وتوطينها، وتدريبها على الآداب الحسنة، حتّى تعتاده ويكون ديدنها في تصرُّفاتها وسلوكياتها.

---

(١) أدب الدنيا والدين (ص: ٢٣٢).

٦- القراءة في كتب الأخلاق والآداب الشرعيّة التى تُكسب قارئها الأدب، ومن هذه الكتب التى نوصى بها: (الآداب الشرعيّة لابن مفلح، وأدب الدنيا والدين للماوردي، وإحياء علوم الدين للغزالى، ومدارج السالكين لابن القيّم).

الخاتمة:

أخي الداعية، أختي الداعية:

الأدب منحة ربانية عظيمة، من وهبه الله إيّاها فقد آتاه خيرًا عظيمًا. لذا كان لا بد لنا من التزام الأدب في كلّ شؤون حياتنا، فهو الطريق الذي يجعل الداعية محبوبًا عند الناس، مؤثِّرًا فيهم. جعلنا الله وإياكم من أهل الأدب.

الحِلْم

يواجه المسلم في حياته كثيرًا من المنغصات والمصاعب والمشكلات، ويصطدم في يومه وليلته بأصنافٍ من البشر يحتاجُ في التعامل معهم إلى ما يُجنّبهُ مزالق الحياة، وما يتجاوز به هذه العقبات، ويُخفّف عنه الشدائد والأزمات؛ فيجد أمامه إرشادَ الإسلام إلى التزام الحِلْم والأناة وعدم الطيش في الأفعال والأقوال وسائر التصرفات.

فلله درُّ هذه الخصلة ما أعزّها! وما أحوجنا إليها! وسنتعرف في هذه الصفحات على معنى الحِلْم، وأهميته، وآثاره.

معنى الحِلْم وحقيقته:

الحِلْم لغةً:

يعود أصل كلمة الحِلْم (بكسر الحاء) في معاجم اللغة إلى الأصل: (حَلُمَ) وهو بمعنى ترك العجلة، وهو خِلافُ الطَّيْشِ. ويأتي كذلك بمعنى: الأناة. وأمّا (بضم الحاء) حُلُم فهو: ما يراه النائم في نومه [1].

الحِلْم اصطلاحًا:

جاء في تعريفه اصطلاحا تعريفاتٌ كثيرة نذكر أجمعها:

الحِلْم: "ضبطُ النّفس والطّبع عن هيجان الغضب، والطمأنينة عند سَوْرتِهِ، وفيه احتمال الأذى وترك المؤاخذة"[2].

---

(١) انظر الصحاح، ج٥، ص ١٩٠٣، مقاييس اللغة،ج٢، ص٩٣، لسان العرب، ج٢، ص ٤٤٥ .

(٢) انظر: روضة العقلاء، ص٢٠٨، أدب الدنيا والدين ص٢٥٢، التعريفات ص٩٢، التوقيف على مهمات التعاريف ص١٤٦.

حقيقة الحِلم[1]:

حقيقة الحِلْم أنّه حالة متوسطة بين الغضب، والبلادة، فإذا استجاب المرء لغضبه بلا تعقّلٍ ولا تبصّر فقد أساء. وإن تبلّد، وضيّع حقه ورضي بالظلم كان على سيئةٍ أشدّ، وإن تحلّى بالحِلْم مع القدرة وكان حلمه مع من يستحقه كان من أهل الحِلْم.

ومنه ما يكون سجيّةً وطبعًا، ومنه ما يكون تعلّمًا واكتسابًا.

وقد جاء اسم الحليم في القرآن الكريم في مواضع عديدة، ولكمال حلمه سبحانه فقد كان يقرنه سبحانه باسمه العليم، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥١]، وكقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٢].

وليس من شرط الحِلْم ألّا يغضب الحليم، وإنّما إذا ثار به الغضب عند حصول دواعيه، كفّ غضبه بحزمه، وأطفأ ثائرته بحلمه.

أهميّته وفضله:

تظهر أهميّة الحِلْم من خلال ما يأتي:

١- الحِلْم صفة من صفات الله تعالى: (الحليم)، وهو الذي لا يضره شيء من عصيان العباد. قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥][2]

---

(١) انظر لمزيد فائدة: أدب الدنيا والدين، ص ٢٥٢، الذريعة الى مكارم الشريعة ص ٢٤١، إحياء علوم الدين ج٣، ص١٧٦، المفردات في غريب القرآن، ص ٢٥٣، عدّة الصابرين لابن القيم، ص: ٢٧٦، موسوعة القيم في الأحاديث النبوية، د.همّام سعيد ورفاقه، ج٢، ص ٩١.

(٢) انظر: تفسير الطبري، ج٥، ص ١١٧.

وعن أبي موسى رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "لا أحدَ أصبرُ على أذًى يَسمَعُهُ من الله عز وجل، إنّه يُشرَكُ به، ويُجعلُ له الولد، ثُمّ هو يُعافيهم ويرزُقُهُم"[١].

ومعناه أنّ الله تعالى واسع الحِلْم حتى على الكافر الذي ينسب إليه الولد والندّ، والحليم هو الصفوح مع القدرة على الانتقام"[٢].

٢- الحِلْم خُلُق عظيم من أخلاق الأنبياء والرُسل: فالأنبياء عليهم السلام هم عظماء البشر، وقدوة في أخلاقهم للدعاة إلى الله والمصلحين. قال تعالى يصف حلم إبراهيم عليه السلام: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٤]. فوَصَفَهُ بأنّه حليم، لأنّ أحد مظاهر الحِلْم رِقّةُ القلب، وشدّة العطف، والمرء إذا كان حالُهُ هكذا اشتدّ حلمه عند الغضب[٣].

وكان نبينا محمد ﷺ أحلم النّاس، فلم يكن يضيق صدره بما يصدر عن بعض المسلمين من أخطاء، ولا بعداوة أعدائه والمواقف في ذلك كثيرة جدًا.

٣- الحِلْم صفة يحبها الله تعالى: قال ﷺ لِأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: "إنّ فيك لَخَصْلَتَيْنِ يُحبّهما الله: الحِلْم والأناة"[٤].

٤- الحِلْم من أهم مقومات نجاح الداعية في دعوته، فهو يجعل الداعية رحيمًا بالناس على اختلاف أصنافهم وأخلاقهم، فلا ينتقم منهم لسوء سلوكهم أو حمقهم معه.

---

(١) رواه مسلم ٢٨٠٤. وانظر: المعلم بفوائد مسلم، ج٣، ص ٣٤٨.
(٢) شرح النووي على مسلم، ج١٧، ص ١٤٦.
(٣) انظر: تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز)، ج ٣، ص ٩٢، تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)،ج ١٦،ص ١٦٠.
(٤) رواه مسلم ١٨.

٥- الحِلْم يقطع أسباب الخصام بضبط النفس عن ردود الأفعال التي تؤدي للغضب والعداوة.

فضل الحِلْم:

يظهر فضل الحِلْم من الآيات القرآنية والأحاديث النبويّة وأقوال العلماء التي تحثّ عليه نذكر منها:

من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[الأعراف: ١٩٩].

قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾[الصافات: ١٠١].

يقول ابن تيمية: "لم ينعت الله الأنبياء بأقلّ من الحِلْم وذلك لعزّة وجوده"(١).

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾[الأحزاب: ٥١].

من الأحاديث النبوية:

عن أنسِ بنِ مالكٍ ﵁ قال: كنتُ أمشي مع النبيِّ ﷺ وعليه بُرْدٌ نَجْرانيٌّ، غليظ الحاشية، فأدركه أعرابيٌّ فجذبه جذْبةً شديدة، حتّى نظرتُ إلى صَفحةِ عاتق النبيّ ﷺ قد أثّرت به حاشيةُ الرّداء من شدّة جَذْبَتِه، ثمّ قال: مُرْ لي من مال الله الّذي عندك. فالتفتَ إليه فضحكَ، ثمّ أمر له بعطاء(٢).

وعن جُبَير بن مُطعِم ﵁: أنّه بينما هو يسير مع رسول الله ﷺ ومعه

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ج ٤، ص ٣٣٢ .

(٢) رواه البخاري ٣١٤٩، واللفظ له، مسلم ١٠٥٧ .نجرانيّ: نسبةً إلى نجران المدينة.

النّاس، مَقْفلَهُ من حُنَين، فعَلِقَه النّاسُ يسألونَه حتّى اضطَرُّوه إلى سَمُرةٍ فخطِفَتْ رِداءَه، فوقف النبيّ ﷺ فقال: «أعطوني ردائي، لو كان لي عددُ هذه العِضَاهِ نَعَمًا لقسَمْتُه بينكُم، ثمّ لا تَجِدُوني بخيلًا ولا كذُوبًا ولا جبانًا»(١).

من أقوال العلماء وآثارهم في الحِلْم(٢):

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "تعلّموا العلم وتعلّموا للعلم السّكينة والحِلْم".

وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: "إنّ أوّل ما عوّض الحليم من حلمه أنّ النّاس كلّهم أعوانه على الجاهل".

وقال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه:"لا يبلغ العبدُ مبلغ الرّأي حتّى يغلب حلمه جهله، وصبره شهوته، ولا يبلغ ذلك إلّا بقوّة الحِلْم".

آثار الحِلْم وفوائده:

للحلم آثار تعود على الفرد والمجتمع نذكر منها ما يلي:

١- الحِلْم سبيلٌ للفوز برضا الله وجنّته.

٢- الحِلْم وسيلة لكسب محبة الناس واحترامهم.

٣- الحِلْم وسيلة لكسب الخصوم والأعداء، وتحويلهم إلى أصدقاء.

٤- الحِلْم دليل على قوة إرادة صاحبه، وتحكمه في انفعالاته.

---

(١) رواه البخاريّ ٢٨٢١. ومعنى اضطروه إلى سمرة: أي: ألجؤوه إلى شجرة من شجر البادية ذات شوك. العِضاه: هو شجر ذو شَوك. النَعَم: الإبل الكثيرة.

(٢) انظر هذه الأقوال وغيرها في: الزهد للإمام أحمد ص ٩٩، الحِلْم لابن أبي الدنيا ص ٢٥ – ٢٦، إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٧٨ .

٥- الحِلْم يساهم في تآلف القلوب، ونشر المحبّة بين أفراد المجتمع، ويُزيل البغضاء والأمراض الاجتماعية بين الناس.

الوسائل المُعينة على الحِلْم:

هناك وسائل تُعين العبد على التخلق بهذا الخلق الفاضل، نذكر منها ما يلي:

١- استشعار عظيم حلم الله على عباده. قال أبو حاتم ابن حبّان: "الواجب على العاقل، إذا غضب واحتدَّ أن يذكر كثرة حلم الله عنه مع تواتر انتهاكه محارمه وتعديه حرماته، ثم يحلم الله عنه، ولا يخرج العبد غيظه إلى الدخول في أسباب المعاصي"[١].

٢- استشعار الأجر والثواب العظيم للحلم على الناس والتجاوز عنهم.

قال عُمير الخَطمي موصيًا بنيه: "يا بني إياكم ومجالسة السفهاء فإنّ مجالستهم دناءة. مَن يَحلُم على السفيه يُسرّ بحلمه، ومن يُجبْهُ يندم، ومن يصبر على ما يكره يدرك ما يُحبّ"[٢].

٣- الإعراض عن المسيء وعدم الاهتمام بإساءته، ليس تكبرًا أو إعجابًا بالنفس، وإنّما لتبتعد عن جاهل لا يساويك قدرًا.

جاء عن الأحنف بن قيس أنّ رجلًا أكثر من شتمه، فسكت عنه، فقال الرجل: والهفاه! ما يمنعُه من أن يردّ عليَّ إلا هواني عنده"[٣].

يقول الشاعر:

---

(١) روضة العقلاء، ص ٢١٢.

(٢) الحِلْم لابن أبي الدنيا، ص: ٣٠

(٣) أدب الدنيا والدين، ص ٢٥٣

إِذَا نَطَقَ السَّفِيهُ فَلَا تُجِبْهُ ... فَخَيْرٌ مِنْ إِجَابَتِهِ السُّكُوتُ

سَكَتُّ عَنْ السَّفِيهِ فَظَنَّ أَنِّي ... عَيِيتُ عَنْ الْجَوَابِ وَمَا عَيِيتُ

٤- التأمل في سيَر أهل الحِلْم، والاقتداء بهم.

٥- الصحبة الصالحة، من خلال مصاحبة الحُلْماء والاكتساب من خُلُقِهم.

٦- مجاهدة النفس، والتكلّف في التحلّم وحمل النفس عليه.

الخاتمة:

أخي الداعية أختي الداعية:

يتعرّض الداعية في طريق الدعوة إلى الله للأذى من المدعوين ومن غيرهم، فبمقدار ما يكون حليمًا يبادل جهل المدعوين حلمًا وصفحًا، يكون ذلك سببًا في كسب قلوبهم، وإيتاء الدعوة ثمرتها معهم؛ فاحرص أخي على أن تتخلق بهذا الخلق العظيم وأن تجعل منه منهاجًا في حياتك كلّها، فتكون حليمًا مع أهل بيتك، وفي عملك ومع إخوانك وجيرانك. جعلنا الله وإياك من أهل الحلم والعلم.

المُروءة

حرص الإسلام على تميّز شخصيّة المسلم عن غيره بالعقيدة والأخلاق والآداب، وحرص كذلك على تهذيب سلوكه وفضائله المكمّلة لشخصيّته، حتى تكون له سمة يتميز بها عن غيره في رجولته وأخلاقه وهيبته. ومن الأخلاق الجليلة التى تُزيّن هذا السلوك وتلك الفضائل، وتَصْرفُ المرء عن التصرفات الدنيئة، والرذائل المشينة خُلُق المُروءة. وسنتعرف في هذه الصفحات على معنى المُروءة وأهميّتها وأقسامها ودرجاتها.

معنى المُروءة وحقيقتها:

المُروءة لغةً: هي مصدر مَرُؤَ يَمْرُؤُ مُرُوءَةً فَهُوَ مَرِيءٌ، وهو مأخوذ من مادّة (م ر أ) التي ذكر ابن فارس أنّها لا تنقاس" أي ليس لها معنى واحد ترجع إليه مشتقّاتها"، وقيل: المُروءة: كمال الرّجوليّة. وتمرّأ الرجل إذا تكلّف المُروءة [١].

المُروءة اصطلاحًا: اختلف تعريف العلماء للمروءة تبعًا لاختلاف أحوال الناس وعاداتهم وأزمنتهم وأمكنتهم، اخترنا منها ما قاله الفيومي في «المصباح المنير»[٢]: المُروءة آداب نفسانيّة، تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات.

وهذا التعريف فيه بيانٌ واضح لسموّ منـزلتها، وعظيم شأنها؛ لا سيما

---

(١) انظر: الصحاح، ج١، ص ٧٢، مقاييس اللغة ج ٥، ص ٣١٥، لسان العرب، ج١، ص ١٥٤.

(٢) المصباح المنير، ج ٢، ص ٥٦٩، وانظر: أدب الدنيا والدين،٣١٧.

وأنها خُلقٌ كريم، وسلوكٌ قويم. ولذلك استعملها الفقهاء والمحدثون في بيان صفة الراوي المقبول في روايته والشاهد المقبول في شهادته، واستخدمها الأدباء في المدح، وعلماء الأخلاق والتزكية في مكارم الأخلاق وسموِّ النفس.

حقيقة المُروءة[1]:

قال ابن القيّم: وحقيقتُها: اتّصافَ النّفس بصفاتِ الإنسان الّتي فارقَ بها الحيوانَ البهيمَ، والشّيطان الرّجيم. فإنَّ في النّفسِ ثلاثةَ دواعٍ مُتجاذبةٍ:

داعٍ يدْعوها إلى الاتّصاف بأَخلاقِ الشّيطان: منَ الكِبْرِ، والحَسدِ، والعُلُوِّ، والبَغي، والشّرّ، والأذى، والفساد، والغِشّ.

وداعٍ يدْعوها إلى أخلاق الحيوان. وهو داعي الشَّهوةِ.

وداعٍ يدعُوها إلى أخلاقِ الملَكِ: مِنَ الإحسان، والنّصح، والبِرِّ، والعِلم، والطّاعة.

فحقيقةُ المُرُوءة: بُغْضُ ذَيْنِكَ الدَّاعيين، وإجابةُ الدّاعي الثّالث.

وقلّةُ المُرُوءة وعدمُهَا: هو الاسترسالُ مع ذيْنِكَ الدّاعيينِ، والتّوجُّهُ لدعوَتِهِمَا أينَ كانتْ.

فالإنسانيّةُ، والمُرُوءةُ، والْفُتُوَّةُ: كلُّها في عصيانِ الدّاعيين، وإجابَةُ الدّاعي الثّالثِ.

كما قال بعضُ السّلَفِ: خلَقَ اللهُ الملائكةَ عُقولا بلا شهوةٍ. وخَلَقَ البهائمَ شهوةً بلا عُقُول. وخلقَ ابن آدم، وركّب فيه العقل والشّهْوةَ. فمن

(١) انظر: أدب الدنيا والدين،٣١٨، مدارج السالكين، ج ٢، ٣٣٤ - بتصرف-.

غلبَ عقلُهُ شهوَتَهُ: التحقَ بالملائكة. ومن غلبَتْ شهوَتُهُ عقلَهُ: التحقَ بالبهائمِ".

ولا ينقاد للمروءة إلاّ من عظُمت نفسه فاستسهل المشقات، وهانت عليه اللذات والشهوات رغبةً فيما عند الله من الأجر، وحذرًا ممّا عند الناس من الذمّ.

وَإِذَا كَانَــتْ النُّفُــوسُ كِبَــارًا   تَعِبَــتْ فِــي مُرَادِهَــا الْأَجْسَــامُ

أهميّتها وفضلها:

تظهر أهمية المُروءة من خلال ما يلي:

١ - أنّ الله تعالى ارتضى في الشهادة الشرعيّة من عُرف بمروءته دون من يفتقدها. قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. فاشترط للشهادة من عُرف بالمروءة في حياته، وكان مرضيًّا في دينه وصلاحه [١].

٢- من أهميّة المُروءة أنّ المحدثين جعلوها شرطًا في قبول حديث الراوي، ومتى انخرمت مروءته تركوا حديثه. قال الإمام العراقي [٢]:

أَجْمَــعَ جُمْهُــورُ أَئِمَّــةِ الأَثَــرْ   وَالْفِقْـهِ فِـي قَبُـوْلِ نَاقِـلِ الْخَبَـرْ

بِــأَنْ يَكُــوْنَ مُسْــلِمًا ذَا عَقْــلِ   قَـدْ بَلَـغَ الْحُلْـمَ سَـلِيْمَ الفِعْـلِ

مِنْ فِسْـقٍ اوْ خَـرْمِ مُـرُوْءةٍ وَمَـنْ   زَكَّـاهُ عَـدلاَنِ، فَعَـدْلٌ مُـؤْتَمَنْ

(١) انظر: تفسير الطبري ج ٦، ص ٦٢، تفسير الرازي ج ٧، ص ٩٥.

(٢) شرح التبصرة والتذكرة ألفية العراقي، ج ١، ص ٣٢٦.

٣- المُروءة تجعل المرء مُتحلّيًا بمكارم الأخلاق في جميع شؤونه.

٤- المُروءة تصل بين البشر، وتُصلح العلاقات الإنسانيّة مع الآخرين، وتحفظ القيم في المجتمعات.

٥- المُروءة تُكسب النفس البشريّة التوازن والانضباط، وتجعل المرء وسطًا بين الإفراط والتفريط.

فضل المُروءة:

وأمّا فضل المُروءة فتظهر من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبويّة، ونذكر منها ما يأتي:

من القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. قيل لسفيان بن عيينة: قد استنبطتَ من القرآن كلّ شيءٍ، فهل وجدت المُروءة فيه؟ فقال: نعم، في قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾، يقول: ففيه المُروءة وحسن الأدب ومكارم الأخلاق.

وقال تعالى في صفات عباده الذين اتصفوا بأعلى صفات المُروءة: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

والمتأملُ في قصص الأنبياء في القرآن الكريم يجد فيها أصول المروءة وأخلاقها، ككرم إبراهيم عليه السلام، ونجدة موسى عليه السلام، وإحسان عيسى عليه السلام، ومسامحة أيوب وصبره عليه السلام، وبرّ إسماعيل عليه السلام بأبيه.

من السنّة النبويّة:

كلّ حديثٍ دلّ أو حثّ على محاسن الأخلاق وحُسن العِشرة، والبُعد

عمّا يدنس العرض ويقبح النفس؛ فهي أدلة على التحلي بالمُروءة والتخلق بها[١]. ومن هذه الأحاديث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه: "قيل: يا رسول الله من أكرمُ الناس؟ قال: أتقاهم. فقالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: يوسف نبي الله، ابن نبي الله، ابن خليل الله. قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: فعن معادن العرب تسألونِ؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقُهُوا"[٢].

قال الإمام النووي: "ومعناه إن أصحاب المروءات ومكارم الأخلاق في الجاهلية إذا أسلموا وفقهوا فهم خيار الناس"[٣].

وعن أبي ذرّ رضي الله عنه، قال: "سألت النّبيّ ﷺ: أيّ العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله، وجهاد في سبيله. قلت: فأيّ الرّقاب أفضل؟ قال: أعلاها ثمنا، وأنفسها عند أهلها: قلت: فإن لم أفعل؟ قال: تعين صانعا، أو تصنع لأخرق. قال: فإن لم أفعل؟ قال: تدع النّاس من الشّرّ، فإنّها صدقة تصدّق بها على نفسك"[٤].

أقسامها وشمولها:

يَلحظُ المتتبع لكلام أهل التزكية والتربية عن المُروءة وبيان أقسامها أنّهم لم يُخرجوها عن أحد نوعين: إمّا مروءة أفعال، وإمّا مروءة تروك، وهذا ما بيَّنه الإمام أبو حاتمٍ البُستيّ وتبعه في ذلك الماورديّ وابن القيم

---

(١) انظر لمزيد الفائدة: موسوعة القيم في الأحاديث النبوية، د. همام سعيد ورفاقه، ج٢، ص٢١٠.

(٢) رواه البخاري (٣٣٧٤،٣٣٥٣) واللفظ له، ومسلم، ٢٣٧٨.

(٣) شرح النووي على مسلم، ج ١٥، ص ١٣٥ .

(٤) رواه البخاري، ٢٥١٨ واللفظ له، ومسلم ٨٤ .

وغيرهم كثير، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: "والمُروءة عندي خصلتان: اجتناب ما يكره الله والمسلمون من الفعال، واستعمال ما يحبُّ الله والمسلمون من الخصال"[١].

وعليه، فالواجب أن يلتزم المسلم بمروءات الفعل، ويتجنب مروءات الترك وذلك بحسب ما يلي:

أولًا: مروءات الفعل:

١- مروءة اللسان من حيث طيبُ الكلام، ولينُه، وصيانته عن الكذب والغيبة والحديث في أعراض الناس.

٢- مروءة الخُلُق: وتكون ببذل الخير للحبيب والبغيظ، والقريب والبعيد.

٣- مروءة المال: وذلك ببذله لمن سأله، والمسارعةُ في نجدة صاحب الحاجة وإن لم يسأل. قيلَ لبعض العرب: ما المُروءة فيكُم قال: طعامٌ مأكولٌ، ونائلٌ مبذولٌ، وبِشْرٌ مقبُولٌ.

٤- مروءة الجاه: ببذل الشفاعة للمحتاج إليها، وإغاثة الملهوف وصاحب الحاجة.

وأمّا مروءات الترك، فنوصى باجتنابها، والتنزه عنها، وهى كثيرة نوجزها فيما يلي:

١- ترك الخصام: والبعد عن التدابر والقطيعة بينك وبين أحدٍ من إخوانك، أو أحدٍ من الناس.

٢- ترك المعاتبة: فإن كان لا بدّ منها فاختر الكلمات اللطيفة في العتاب

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص٢٣٢.وانظر: ادب الدنيا والدين، ص ٣٢١، ومدارج السالكين، ج٢، ص٣٣٤، والآداب الشرعية، ج١، ص٣٥٦.

والمعاتبة، وأن تكون مُنصفًا في عتابك.

هبنـي أسـأتُ كمـا زعمـتَ فـأين عاطفـة الأخـــوّة

أو إن أســأتَ كمــا أســأتُ فـأين فضـلك في المـروءة؟!

٣- ترك المُماراة: فعن أبى أُمامةَ ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ "أنا زعيمٌ ببيتٍ في ربض الجنّة لمَن تركَ المِراءَ وإن كان مُحقًّا وببيتٍ في وسطِ الجنّة لِمَن تركَ الكذبَ وإن كان مازحًا وببيتٍ في أعلى الجنّة لمن حسَّنَ خُلُقه"(١). وقد أوصانا إمامنا البنّا ﵀ في وصاياه العشرة قائلًا: "لا تُكثر الجدل في أيّ شأنٍ من الشؤون فإنّ المراء لا يأتي بخير".

٤- ترك تتبع عثرات الناس وعدم إهمال جوانب الخير فيهم، ونسيان المتتبع أنّ الكمال لله وحده سبحانه.

خوارم المُروءة:

يُقصد بالخوارم: جمع خُرم، وهو طرف الشيء المنقطع، وأَصل الخَرْمِ الثَّقْبُ(٢).

وعليه يكون معنى خوارم المُروءة: تلك الأفعال والنقائص التي تتنافى مع كمال الأدب والخُلق.

وهذه الخوارم منها ما هو محرّمٌ، ومنها ما هو مكروهٌ، ومنها ما هو منافٍ للآداب العامّة والحشمة والوقار، وإن لم يكن مخالفًا للشرع.

وضابط هذه الخوارم هو أنّها كل ما يدعو إلى ذمّ الفاعل في نظر مجتمعه،

---

(١) رواه أبو داود ٤٨٠٠.

(٢) انظر: مقاييس اللغة، ج٢، ص١٧٤، لسان العرب، ج ١٢، ص ١٧٠.

أو نظر الشرع من الأفعال، وهذا يختلف باختلاف المجتمعات، فكم من فعلٍ يُذمُّ في مجتمعٍ ويُمدح في مجتمعٍ آخر.

وكثيرٌ من النّاس اليوم قد اختل عندهم ميزان المُروءة، ولم يعد محافظًا على كثيرٍ من آدابها الفاضلة وأخلاقها وصفاتها الحميدة. وقد انتشرت بينهم هذه الخوارم والقوادح، حتى بات البعضُ مستهينًا بفعلها وعدم إنكارها.

ونذكر لك أخي المسلم بعضًا من هذه الخوارم المُنتشرة في مجتمعاتنا، لتجنبها والابتعاد عنها:

١- كثرة المزاح باللسان واليدّ: وبخاصةٍ مع من لا يعرفهم المرء؛ ففيه إسقاط للهيبة، وذهاب للمكانة، وإيغارٌ للصدور. قال الإمام البنّا موصيًا إخوانه: "لا تمزح فإنّ الأمّة المجاهدة لا تعرف إلاّ الجَدّ". ومعلومٌ أنّ المزاح في ذاته مُباح، لكنّ المنهيَّ عنه ما كان فيه كثرةٌ وكذب وترويع للآمنين.

٢- عدم توقير الكبار وأصحاب السابقة، في المجالس والمناسبات: كمسابقتهم عند الدخول والخروج، أو مُقاطعة كلامهم، أو عدم الإفساح لهم في المجالس. قال رسول الله ﷺ:"إنّ من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المُسلم"[1].

٣- كثرة الضحك والقهقهة بصوتٍ عالٍ، خاصّةً في الأماكن العامة: وقد جاء في وصايا الإمام البنّا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لا تُكثر الضحك، فإنّ القلب الموصول بالله ساكنٌ وقور". تأمل كيف أنّه لم يقل بوصيته: لا تضحك، بل قال: لا تكثر الضحك.

---

(١) رواه أبو داود،٤٨٤٣ .

٤- الرقص والتمايل، وهزّ أعضاء الجسم أو تحريكها: كالتي يؤديها البعض في الاحتفالات، والأعراس ونحو ذلك، ممّا لا يليق بالرجل المسلم.

٥- الجشع في الطعام والشراب، والاستشراف في المسألة.

٦- كثرة التشكي والتباكي، وإذلال النفس.

٧- عدم الاستئذان والإثقال في الزيارة.

٨- تتبع ما يُعرف (بالموضة) في اللباس والزينة وتصفيف الشعر، وبخاصّة عند النساء، فإنّ ذلك من الهزيمة الفكرية أمام الحضارة الغربية وقيمها، والذي ينبغي على المسلمة الاستعلاء عليها ورفضها.

٩- كشف العورات أمام الناس، وهو أمرٌ محرَّمٌ وخارمٌ للمروءة، سواءً أكان ذلك الكشف صادرًا عن الرجال أم النساء، وخاصّة عند ممارسة الألعاب الرياضية في الملاعب والمسابح والصالات وغيرها.

فوائد التحلي بالمُروءة وثمراتها:

للتحلي بالمُروءة آثار تعود على الفرد والمجتمع، نذكر منها ما يلي:

١- الظفر برضى الله تعالى من خلال الالتزام بفضائل الأعمال والأخلاق، وترك ما نهى عنه سبحانه.

٢- صيانة إيمان العبد وحفظه، ذلك أنّ الإيمان عند أهل السنة والجماعة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

٣- المُروءة من خصال الرجولة وكمالاتها، فقد كان العرب يقيسون بها الرجال ويزنون بها العقول. قال بعضهم: "من كانت مروءته حاضرة، كانت رجولته كاملة".

٤- صيانة النفس وحفظها عمّا يُزري بها ويعيبها.

٥- المُروءة سبيل العبد إلى نيل المراتب العليا، والسبق إليها، لأنّها تحجز المرء عن اللذائذ التي يتبعها الألم، والشهوات التي يتبعها الندم.

قال أحد السلف: "إذا طلب رجلان أمرًا، ظفِر به أعظمهما مروءة"[(١)].

٦- التحلي بها ممّا يورث المرء الهيبة والإجلال من الآخرين. قال صاحب كليلة ودمنة:"الرجلُ ذو المُروءة يُكرمُ على غير مال، كالأسد يُهاب وإن كان رابضًا، والرجل الذي لا مروءة له يُهان وإن كان غنيًّا"[(٢)].

الخاتمة:

أخي الداعية أختي الداعية:

لا يليق بالداعية الذي يسعى لإقامة حكم الله تعالى في الأرض، أن يَضَع نفسه في مواضع الذّلة والهوان، ومواطن الريبة والشبهة. لذا كان عليك أن تتجنب سفاسف الأمور، وأن تنظر إلى معاليها. واحذر من كلّ ما يثلِمُ مروءتك وينتقص منها.

واعلم أنّ "دعوتنا هى دعوة المروءة ونُبل الأخلاق والذوق الرفيع قبل أن تكون دعوة سياسيّة، أو مدرسة علميّة، ولن ينزل الطُّغاة عن عروشهم إلى نهاياتهم ما لم تسمو أخلاقنا صُعُدًا ونعود إلى بداياتنا"[(٣)].

---

(١) أدب الدنيا والدين، ص ٣٢٧.

(٢) كليلة ودمنة ص ١٩٣.

(٣) مقتبس من رسالة: دعوة للسموّ، محمد أحمد الراشد، ص٢٥ .

الإيثار

جاء الإسلام بالأخلاق الفاضلة، والسجايا الحميدة، وحثّ على الالتزام بها ونشرها بين الناس، ومن هذه الأخلاق والفضائل خُلُق الإيثار، وهو خُلُق يولّدُ أخلاقًا أخرى كالسخاء والجود والبذل وغيرها، وهو أبرز أخلاق الأنبياء وصفاتهم، وبخاصّةٍ نبينا ﷺ حيثُ كان أجود الناس، وما سُئل عن شيء قطّ فقال لا، وما ادّخر شيئًا لغده.

وعلى هذا الخلق العظيم أقام الإمام المؤسس حسن البنا بنيان الأخوة بين أفراد هذه الجماعة الطيبة المباركة، فجعل الإيثار أعلى درجاتها، فقال: "وأقل الحبّ: سلامة الصدر، وأعلاه: مرتبة الإيثار". فمضى هذا الركب المبارك يُعطى البشرية دروسًا في الإيثار تذكرهم بالرهط الكرام من صحابة رسول الله ﷺ.

معنى الإيثار وحقيقته:

الإيثار لغة: يعود أصل كلمة الإيثار في معاجم اللغة إلى مادة (أَثَرَ) التي تدل على تقديم الشيء وتفضيله، ومن ذلك قولهم: الأثير، وهو الكريم عليك الّذي تؤثره بفضلك وصلتك، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا﴾ [يوسف: ٩١] أي: فضّلك وقدّمك.

وضدّه الأثرة: من قولهم استأثر بالشّيء أي: انفرد به أو اختصّ به نفسَهُ، ومنه حديثه ﷺ للأنصار: "إنّكم ستلقون بعدي أَثَرَةً فاصبروا"[١].

---

(١) انظر: الصحاح، ج ٢، ص ٥٧٥، مقاييس اللغة ج١، ص ٥٣، لسان العرب، ج ٤، ص ٧.

الإيثار اصطلاحًا:

عرّفه الجرجاني بقوله: أن يقدِّم غيره على نفسه في النفع له والدفع عنه وهو النهاية في الأخوّة [(١)].

حقيقة الإيثار:

الإيثار في أصله فطرة داخلية، ونزعة موجودة في كلّ انسان، لكنّها بحاجة إلى من يُثيرها ويستخرجها لتصبح واقعًا عمليًا.

وحقيقةُ ذلك أن يؤثر المرءُ الخلْقَ على نفسه، بما لا يُقدّم النّاس على نفسه في ضروراته المعيشيّة، كأن يُطعمهُم ويَجوع، أو يسقيهُم ويظمأ؛ فحدُّ ذلك وضابطُه أن لا يؤدّي ذلك الإيثار إلى ارتكاب ضررٍ أو إتلافٍ غير جائزٍ في الدين، كأن يؤثر المرءُ أخاه بماله ويقعدُ كَلًّا مُستشرفا لِما في أيدي الناس أعطَوْه أم منعوه. وكذلك الإيثار في الطاعات كمن يؤثر أحدًا بالصفّ الأول في الصلاة، أو يؤثر أحدًا بعلمٍ أو أجرٍ دينيّ؛ فكلُّ سببٍ يعود على المرء بصلاح قلبه ووقته وحاله مع الله فلا إيثار فيه لأحد.

قال ابن القيم: "الإيثار بالدنيا لا بالوقت والدين، وما يعود بصلاح القلب"[(٢)].

ثمّ إنّ حقيقة الإيثار ليست شعارًا أو ادّعاء فارغًا؛ يعلنه الإنسان في السراء وأوقات الفراغ، أو يكون في المواقف والأشياء الصغيرة فقط، كلاّ،

---

(١) التعريفات، ص ٤٠، وانظر: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص ٣١، تفسير القرطبي (ت ٦٧١)، ج ١٨، ٢٦ص .

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ج ١، ص ٤٤٦ .وانظر: موسوعة القيم، د همام سعيد ورفاقه، ج ١، ص ٤١٧ .

إنّما تظهر هذه الحقيقة في وقت الشدّة وفي الأمور الكبيرة، كما هي في الرخاء وفي الأمور الصغيرة.

بين الإيثار والأثرة:

الأثرة خلاف الإيثار، فالإيثار أن يقدم المرء لغيره الشيء مع حاجته إليه، وعكسه الأثرة التي هي: استئثاره عن أخيه بما هو محتاجٌ إليه.

فحقيقة الأثرة هي أن يستأثر المرء بالشّيء عن غيره، ويخصُّ به نفسه ويستبدّ به(١).

والأثرة نوع من الأنانية البغيضة، التي تجلب الأحقاد والضغائن بين الأفراد، وتمنع من وصول الحقوق لأصحابها.

والايثارُ ضدّ الشّحّ، فإنّ المُؤْثِرَ على نفسه تاركٌ لما هو مُحتاجٌ إليه، والشّحيح حريصٌ على ما ليس بيده، فإذا حصل بيده شيءٌ شحَّ عليه. فالبخيلُ: من أجاب داعي الشّحِّ. والمُؤثِرُ: من أجاب داعي الجود(٢).

أهميّته وفضله:

تظهر أهميّة الإيثار من خلال ما يلي:

١- ثناء الله تعالى على أهل الإيثار، وجعل عاقبتهم الفلاح في الدار الآخرة. قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

ومعلومٌ أنّ هذه الآية قد نزلت في الأنصار حينما آووْا المهاجرين واحتضنوهم، وآثروهم على أنفسهم.

---

(١) انظر: الصحاح تاج اللغة، ٥٧٤، مقاييس اللغة، ج ١، ص ٥٣، لسان العرب ج ٤، ص ٨.
(٢) مدارج السالكين، ج ٢، ص ٢٧٧ .

٢- الإيثار دليل على كمال الإيمان، وحُسن الإسلام، وسموّ الأخلاق.

٣- الإيثار يُعزز في النفس روح الجماعة والعمل الجماعيّ، فيشعر الفرد المُعطي بأنه ليس منعزلًا عن الجماعة محصورًا في أموره الخاصّة.

٤- الإيثار وسيلة لجلب البركة والعِوَض من الله تعالى.

٥- الإيثار عنوان تماسك المجتمعات واستقرارها، وفقده من المجتمعات دليلُ خلوِّها من ركائز بنائها، فهو سببٌ لنشر التكافل والتعاون، والمحبّة فيها.

فضل الإيثار:

جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بالحثّ على الإيثار والندب إليه، ونذكر من ذلك ما يلي:

القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ۝٧ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ۝١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ۝١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا﴾ [الإنسان: ٧ - ١٢].

قال الرازي:" والمعنى وجزاهم بصبرهم على الإيثار وما يؤدي إليه من الجوع والعري بستانًا فيه مأكل هنيء، وحريرًا فيه ملبس بهي"[١].

من السنّة النبوية[٢]:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إنّ الأشعريّين

---

(١) تفسير الرازي، ج ٣٠، ص ٢١٨ .

(٢) انظر صورًا من إيثار النبي ﷺ في موسوعة الشمائل النبويّة، د. همام سعيد، ود. محمد همام ملحم، ج ٢، ص ٢٠٧ .

إذا أرملوا في الغزو أو قلّ طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثمّ اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسّويّة، فهم منّي، وأنا منهم"(١).

قال القرطبيّ صاحب المُفهم: "هذا الحديث يدل على أنّ الغالب على الأشعريين الإيثار، والمواساة عند الحاجة"(٢).

عن سَهلِ بن سَعدٍ ﷺ قال: جاءت امرأةٌ ببُردَةٍ - قال سهل: هل تَدرِي ما البُردة؟ قال: نعم هي الشَّملة، منسوجٌ في حاشيتها - قالت: يا رسول الله، إنِّي نسجتُ هذه بيديَّ أَكسُوكَها، فأَخَذَها رسولُ الله ﷺ مُحتاجًا إليها، فخَرَج إلينا، وإنَّها لَإزارُه، فجسَّها رجلٌ مِن القوم، فقال: يا رسول الله، اكسُنِيها، قال: نعم، فجلس ما شاء الله في المَجلِس، ثم رَجَعَ فطَوَاها، ثم أَرسلَ بها إلَيه، فقال له القوم: ما أَحسنتَ، سألتَها إياه، وقد عرفتَ أنَّه لا يردُّ سائلًا، فقال الرجلُ: والله ما سألتُها إلَّا لتكونَ كَفَنِي يومَ أَمُوت، قال سهل: فكانت كفنه(٣).

أقوال العلماء في فضل الإيثار: (٤)

قال أحد السلف: "لا تُواكلَنَّ جائعًا إلّا بالإيثار، ولا تُواكلنّ غنيًّا إلّا

---

(١) رواه البخاري ٢٤٨٦ واللفظ له، ومسلم ٢٥٠٠. ومعنى: (أرملوا) من الإرمال وهو فناء الزاد وقلة الطعام أصله من الرمل كأنهم لصقوا بالرمل من القلة. (فهم مني وأنا منهم) طريقتي وطريقتهم واحدة في التعاون على البر والتقوى وطاعة الله عز وجل، ولذلك لا أتخلى عنهم.

(٢) المُفْهِم لِما أُشكلَ من تلخيص مسلم، لأبي العباس القرطبي(ت٦٥٦)، ج ٦، ص ٤٥٢.

(٣) رواه البخاريّ، ٥٨١٠.

(٤) انظر هذه الأقوال وغيرها في: إحياء علوم الدين، ج ٢، ص ١٧٤، الآداب الشرعية، ج٣، ص ٥٥٧.

بالأدب، ولا تُواكلنَّ ضيفًا إلّا بالانبساط".

وقال آخر: "إنّي لأُلقِمُ اللّقمةَ أخًا من إخواني، فأجدُ طعمَها في حلقي".

درجات الإيثار:

قسّم العلماء الإيثار إلى ثلاث درجات هي[١]:

الدرجة الأولى: أن تُؤْثِرَ الخلقَ على نفسك فيما لا يخْرِمُ عليك دِينًا، ولا يقطع عليك طريقًا، يعني أن تُقدمهم على نفسك في مصالحهم.

الدرجة الثانية: إيثارُ رضا الله على رضا غيره وإن عظمت فيه المحن وثقلت فيه المؤن. وإيثار رضا الله على غيره، هو أن تفعل ما في مرضاته، ولو أغضب الخلق، وهذه درجة الأنبياء، وأعلاها للنبي ﷺ

الدرجة الثالثة: أن تنسب إيثارك إلى الله دون نفسك، وأنّه هو الذي تفرد بالإيثار لا أنت، فكأنك سلّمت الإيثار إليه، فهو المؤثر على الحقيقة، إذ هو المعطي حقيقة.

وسائل تنمية الإيثار:

هناك وسائل تُعينُ العبد على التخلق بهذا الخلق الكريم، منها ما يلي:

١- استشعار الأجر العظيم من الله تعالى للمؤثرين، وأنّه يُخلفُ على العبد خيرًا ممّا أنفق.

٢- استعداد المرء لنيل مكارم الأخلاق ومعاليها، وأشرفها الإيثار.

٣- النظر في قصص أهل الإيثار والتأمل في جميل سيرهم.

٤- مصاحبة أهل الإيثار والاقتداء بهم.

٥- التخلص من الشّح والبخل ومقتهما.

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين، ج ٢، ص ١٧٣، مدارج السالكين، ج ٢، ص ٢٨٣.

ثمرات الإيثار وآثاره:

للتخلق بالإيثار آثار عظيمة تعود على الفرد والمجتمع، نذكر منها ما يلي:

١- نيل رضا الله تعالى، وتحقيق كمال الإيمان، لأنّ الإيثار دليلٌ على إيمان العبد، وثمرة من ثمراته.

٢- يحرر المرء من الخوف على الرزق، ومن البخل والشح، فيجعل المرء مستعليًا على شهواته ورغباته.

٣- يُنمّي في المجتمع أخلاقًا حميدة متعددة، كالحبّ للغير والبذل ونفع الخَلْق.

٤- يُساهم في تحقيق الكفاية الاقتصادية والماديّة في المجتمعات. فعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: "طعام الاثنين كافي الثّلاثة، وطعام الثّلاثة كافي الأربع"[١].

وفي لفظ لمسلم: "طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الثّمانية"[٢].

٥- يورث انشراح الصدر، ويحقق للمرء الرضا النفسى والسلام الداخلي اللذين ينتجان عن العطاء والبذل، وعدم شعوره بالأنانية.

الخاتمة:

أخي الداعية أختي الداعية:

صاحب الإيمان الصادق لا يَبخل بعزيز لَدَيه في سبيل عقيدته وحماية

---

(١) رواه البخاري ٥٣٩٢، والترمذي ١٨٢٠ .

(٢) رواه مسلم ٢٠٥٩ .

شريعته؛ ونهوض دعوته ومساعدة إخوانه، لذلك كُنْ مؤثرًا ولو كانت بك حاجة أو قلة؛ فإنّ ما عند الله أعظم ممّا في يديك.

وإيّاك والأثرةَ وحبَّ الذات؛ فإنّها هادمة للشرف، داعية للتَّلف، مفسدة للمجتمع، تُورث الوحشة في الصدر، والبغضة بين الخلق. وانهج منهج العاملين المخلصين، لتكون مع الفائزين الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: "لا يؤمن أحدكم؛ حتى يحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه"[1].

جعلنا الله وإيّاك من أهل الإيثار.



(١) رواه البخاري١٣، ومسلم ٤٥.

قائمة المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم

٢- ابن أبي الدنيا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد (ت: ٢٨١هـ)، الشكر، تحقيق بدر البدر، المكتب الإسلامي - الكويت، ط٣ (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).

٣- ابن أبي الدنيا، الورع، تحقيق محمد حمد الحمود، الدار السلفية - الكويت (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

٤- ابن أبي الدنيا، اليقين، تحقيق ياسين محمد السورس، دار البشائر الإسلامية.

٥- ابن أبي الدنيا، مكارم الأخلاق، تحقيق مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن - القاهرة.

٦- ابن أبي الدنيا، الحِلْم، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت (١٤١٣هـ).

٧- ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (٢٣٥هـ)، المصنَّف، تحقيق محمد عوامة، دار القبلة، ومؤسسة علوم القرآن، (١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م).

٨- ابن الأثير الجزري ، أبو السعادات المبارك بن محمد (٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٩- ابن الجزري شمس الدين أبو الخير، محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣ هـ)، التمهيد في علم التجويد، تحقيق د على حسين البواب، مكتبة المعارف - الرياض (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).

١٠- ابن العربي المالكي، أبو بكر محمد بن عبد الله الإشبيلي (٥٤٣هـ)، عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، دار الكتب العلمية – بيروت.

١١- ابن القطان الفاسي علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري (ت: ٦٢٨ هـ)، إحكام النظر في أحكام النظر بحاسة البصر، تحقيق إدريس الصمدي، دار القلم – دمشق (١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م).

١٢- ابن المقفع، عبد الله (ت: ١٤٢ هـ)، كليلة ودمنة، المطبعة الأميرية ببولاق – القاهرة، ط ١٧ (١٣٥٥ هـ – ١٩٣٦ م).

١٣- ابن بطّال، أبو الحسين علي بن خلف بن عبد الملك (٤٤٩هـ)، شرح صحيح البخاري، ضبط وتعليق ياسر بن إبرهيم، مكتبة الرشد – الرياض، ط٢ (١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م).

١٤- ابن تيمية الحراني، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ت: ٧٢٨هـ)، قاعدة في الصبر، تحقيق محمد خليفة التميمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١١٦ – السنة ٣٤، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

١٥- ابن تيمية الحراني، قاعدة في المحبة، تحقيق محمد رشاد سالم، مكتبة التراث الإسلامي – القاهرة.

١٦- ابن تيمية الحراني، العبودية، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت (١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م).

١٧- ابن تيمية الحراني، الفتاوى الكبرى، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م).

١٨- ابن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ.

١٩- ابن حبان البستي ، أبو حاتم، محمد بن حبان بن أحمد (٣٥٤هـ)، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢ (١٤١٤هـ، ١٩٩٣م).

٢٠- ابن حبان البستي ، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية – بيروت، بدون تاريخ الطبع.

٢١- ابن حزم الظاهري، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي (ت: ٤٥٦هـ)، الأخلاق والسير في مداواة النفوس، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط٢ (١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م).

٢٢- ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري (٣١١هـ)، صحيح ابن خزيمة، تحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي – بيروت، (١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م).

٢٣- ابن رجب الحنبلي زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب (ت: ٧٩٥هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق محمود شعبان عبد المقصود وآخرين، مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية (١٤١٧هـ – ١٩٩٦م).

٢٤- ابن رجب الحنبلي، التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، تحقيق بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد – الطائف، دار البيان – دمشق، ط٢ (١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م).

٢٥- ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، تحقيق شعيب الارناؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ.

٢٦- ابن رجب الحنبلي، مجموع رسائل ابن رجب، تحقيق طلعت فؤاد الحلواني، الفاروق الحديثة (١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م).

٢٧- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير، الدار التونسية - تونس، ١٩٨٤م.

٢٨- ابن عبد البر، أبو يوسف عمر بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (٤٦٣هـ)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق د. بشار عواد معروف وآخرين، مؤسسة الفرقان - لندن (٢٠١٧م).

٢٩- ابن عبد البر، الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذٰلك كله بالإيجاز والاختصار، تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي، دار قتيبة - دمشق وبيروت، ودار الوعي - حلب والقاهرة، (١٤١٤هـ، ١٩٩٣م).

٣٠- ابن عبد الحكم أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم بن أعين (ت: ٢١٤هـ)، سيرة عمر بن عبد العزيز، تحقيق أحمد عبيد، عالم الكتب - بيروت، ط٦ (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).

٣١- ابن عبد ربه الأندلسي المالكي شهاب الدين أحمد، العقد الفريد ، مطبعة العامرة الشرفية بمصر سنة ١٣١٦هـ.

٣٢- ابن عطية، عبد الحق بن غالب (ت ٥٤٢هـ) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: مجموعة من الباحثين، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م.

٣٣- ابن عقيل، أبو الوفاء، علي بن عقيل بن محمد البغدادي الحنبلي، كتاب الفنون، دار المشرق - بيروت (١٩٧٠ م).

٣٤- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس الرازي (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر: بيروت - لبنان، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٣٥- ابن قدامة المقدسي، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي، (٦٢٠هـ)، المغني، دار الفكر: بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٣٦- ابن قدامة المقدسي، نجم الدين، أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن (ت: ٦٨٩هـ)، مختصر منهاج القاصدين، مكتبة دار البيان - دمشق (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م).

٣٧- ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب (٧٥١هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط٢٧ (١٤١٥هـ، ١٩٩٤م).

٣٨- ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف - الرياض.

٣٩- ابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة - بيروت.

٤٠- ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، دار المعرفة - المغرب (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

٤١- ابن قيم الجوزية، الرسالة التبوكية (زاد المهاجر إلى ربه)، تحقيق د. محمد جميل غازي، مكتبة المدني - جدة.

٤٢- ابن قيم الجوزية، الفروسية، تحقيق مشهور حسن سلمان، دار الأندلس - السعودية (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).

٤٣- ابن قيم الجوزية، الوابل الصيب من الكلم الطيب، تحقيق الشيخ عبد القدر الأناؤوط، دار البيان.

٤٤- ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، ط١، ٤م، دار الكتاب العربي: بيروت - لبنان، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

٤٥- ابن قيم الجوزية، تفسير القرآن الكريم (التفسير القيم)، تحقيق مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال - بيروت (١٤١٠هـ).

٤٦- ابن قيم الجوزية، طريق الهجرتين وباب السعادتين، دار السلفية - القاهرة، ط٢ (١٣٩٤هـ).

٤٧- ابن قيم الجوزية، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، دار ابن كثير - دمشق، بيروت/ مكتبة دار التراث - المدينة المنورة، ط٣ (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م).

٤٨- ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الفكر: بيروت - لبنان، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

٤٩- ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، تحقيق عبد الرحمن حسن قائد، دار عالم الفوائد - مكة المكرمة (١٤٣٢هـ).

٥٠- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، دار إحياء التراث العربي: بيروت - لبنان، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٥١- ابن مفلح، محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج (٧٦٣هـ)، الآداب الشرعية، دار عالم الكتب.

٥٢- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الإفريقي (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، نشر دار صادر بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٥٣- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت ٩٨٢هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود)، تحقيق عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٥٤- أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث (٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية - دمشق، (١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م).

٥٥- أبو نعيم الأصبهاني ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، السعادة - بجوار محافظة مصر (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م).

٥٦- أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، أبو عبد الله (ت: ٢٤١هـ)، الزهد، تعليق محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

٥٧- أحمد بن محمد بن حنبل، المسند، تحقيق شعيب الأرنؤوط وزملائه، مؤسسة الرسالة - بيروت، (١٤٢١هـ، ٢٠٠١م).

٥٨- أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب: بيروت - لبنان، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٥٩- الإستانبولي أبو الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوتي (ت: ١١٢٧هـ)، روح البيان، دار الفكر - بيروت.

٦٠- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري (٢٥٦هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور سول الله ﷺ وسننه وأيامه، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٦١- البخاري، الأدب المفرد، تحقيق سمير الزهيري، مكتبة المعارف - الرياض، (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م).

٦٢- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء (ت ٥١٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي: بيروت - لبنان: ١٤٢٠هـ.

٦٣- البيضاوي، أبو الخير عبد الله بن عمر (ت ٦٩١هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي: بيروت - لبنان، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٦٤- البيهقي، السنن الكبرى، نشر مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند - حيدر آباد، الطبعة : الأولى (١٣٤٤هـ).

٦٥- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (٢٧٩هـ)، الجامع الكبير، المسمى بسنن الترمذي، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط٢ (١٩٩٨م).

٦٦- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (ت: ٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال - بيروت (١٤٢٣هـ).

٦٧- الجرجاني الزين الشريف علي بن محمد بن علي، التعريفات، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤٠٣هـ.

٦٨- الجزري، محمد بن محمد (ت ٨٣٣هـ) النشر في القراءات العشر، تحقيق: أيمن رشدي سويد، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط الأولى، ١٤٣٩هـ، ٢٠١٨م.

٦٩- الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط٤ (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م).

٧٠- الحارثي محمد بن علي بن عطية، أبو طالب المكي (ت: ٣٨٦هـ)، قوت القلوب في معاملة المحبوب، تحقيق د. عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط٢ (١٤٢٦ هـ -٢٠٠٥ م).

٧١- الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن البيِّع (ت: ٤٠٥ هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق عادل مرشد، د. أحمد برهوم، د. محمد كامل، د. سعيد اللحام، دار الرسالة العالمية – دمشق (١٤٣٩هـ، ٢٠١٨م).

٧٢- حسن البنا (ت: ١٩٤٩م) مجموعة رسائل حسن البنا دار التوزيع والنشر الإسلامية، (٢٠٠٦م).

٧٣- الخازن، علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي (ت: ٧٤١هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)، تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت (١٤١٥هـ).

٧٤- الخرائطي، أبو بكر محمد بن جعفر الخرائطي السامري (٣٢٧هـ)، مساوئ الأخلاق ومذمومها، علق عليه: مصطفى الشلبي، مكتبة السوادي – جدة (١٤١٣هـ، ١٩٩٣م).

٧٥- الخطابي أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم البستي (ت: ٣٨٨هـ)، شأن الدعاء، تحقيق أحمد يوسف الدّقاق، دار الثقافة العربية، ط٣ (١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م).

٧٦- الخطابي، معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، مطبعة محمد الطباخ العلمية – حلب، (١٣٥٢هـ، ١٩٣٤م).

٧٧- الخفاجي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المصري الحنفي (ت: ١٠٦٩هـ)، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، دار صادر – بيروت.

٧٨- د صلاح عبد الفتاح الخالدي، سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، دار القلم (١٩٩١م).

٧٩- د عبد الكريم زيدان، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، ط١١ (١٩٨٩م).

٨٠- د محمد عبد القادر أبو فارس (ت: ٢٠١٥م)، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دار الفرقان، ط ٤ (١٩٨٧م).

٨١- د همام سعيد، التمهيد في علوم الحديث، دار الفرقان - عمّان (٢٠١٩م).

٨٢- د همام سعيد، موسوعة أحاديث الشمائل النبوية الشريفة، مجلة البيان - الرياض (١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م).

٨٣- الدارمي، عبد الله بن عبد الرَّحمٰن الدارمي السمرقندي (٢٥٥هـ)، سنن الدارمي، تحقيق حسين سليم أسد، دار المغني - السعودية (١٤١٢هـ، ٢٠٠٠م).

٨٤- الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد (ت: ٢٧٦هـ)، غريب الحديث، تحقيق د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني - بغداد، ط١ (١٣٩٧م).

٨٥- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر (ت ٦٠٤هـ)، التفسير الكبير ومفاتح الغيب (تفسير الرازي)، تحقيق خليل محيي الدين الميس، دار الفكر: بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٨٦- الراغب الأصفهانى أبو القاسم الحسين بن محمد (ت: ٥٠٢هـ)، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق د. أبي زيد العجمي، دار السلام - القاهرة (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م).

٨٧- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق وائل أحمد عبد الرحمن، المكتبة الوقفية: القاهرة، ٢٠٠٣م.

٨٨- رسالة المؤتمر الإسلاميّ الأول، الموسوعة التاريخية للجماعة (موقع إلكتروني).

٨٩- الزَّبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني (١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، إصدار وزارة الإعلام الكويتية، والمجلس الوطني للثقافة والفنون - الكويت، (١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م).

٩٠- الزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل (ت: ٣١١هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م).

٩١- الزّركشي بدر الدِّين محمَّد بن بهادر بن عبدالله (٧٩٤ هـ)، البحر المحيط في أصول الفقه، تحقيق د. محمَّد محمَّد تامر - دار الكتب العلمية - لبنان - بيروت (١٤٢١هـ) -(٢٠٠٠م).

٩٢- السباعي، مصطفى بن حسني السباعي ، السنة ومكانتها في التشريع، ، نشر المكتب الإسلامي - دمشق، ط٣، ١٤٠٢هـ.

٩٣- السبكي، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي (٧٧١هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق الدكتور محمود الطناحي، والدكتور عبد الفتاح الحلو، دار هجر - مصر، ط٢ (١٤١٣هـ).

٩٤- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ،٢٠٠٠ م).

٩٥- السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد المروزي (ت ٤٨٩هـ)، تفسير السمعاني، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن: الرياض-السعودية، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٩٦- السندي نور الدين أبو الحسن محمد بن عبد الهادي التتوي (ت: ١١٣٨هـ)، حاشية السندي على سنن ابن ماجه، مطبوع في هامش سنن ابن ماجه، دار الجيل - بيروت، بدون طبعة.

٩٧- سيد قطب إبراهيم (ت ١٩٦٦م)، في ظلال القرآن، ط٧، دار إحياء التراث العربي: بيروت - لبنان، ١٣٩١هـ-١٩٧١م.

٩٨- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر: بيروت - لبنان.

٩٩- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني (ت ١٣٩٣هـ)، أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

١٠٠- الشوكاني، محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

١٠١- الشوكاني، نيل الأوطار، تحقيق عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، الطبعة الأولى (١٤١٣هـ، ١٩٩٣م).

١٠٢- الشيباني محمد بن الحسن بن فرقد (ت: ١٨٩هـ)، الكسب، تحقيق د. سهيل زكار، نشر عبد الهادي حرصوني - دمشق (١٤٠٠ هـ).

١٠٣- الصنعاني، المعروف بالأمير محمد بن إسماعيل الكحلاني، سبل السلام، شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام: ط ٤، سنة ١٣٧٩هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - بمصر.

١٠٤- الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (ت: ٣٦٠هـ)، الدعاء، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت (١٤١٣هـ).

١٠٥- الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (ت: ٣٦٠هـ)، المعجم الأوسط، تحقيق طارق عوض الله وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين - القاهرة (١٤١٥هـ، ١٩٩٥م).

١٠٦- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، دار هجر للطباعة والنشر - مصر (١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م).

١٠٧- الطرابلسي، إبراهيم بن موسى بن أبي بكر الحنفي (ت: ٩٢٢هـ)، الإسعاف في أحكام الأوقاف، طبع بمطبعة هندية بشارع المهدى بالأزبكية بمصر المحمية، ط٢ (١٣٢٠ هـ - ١٩٠٢ م).

١٠٨- عبد الفتّاح أبو غدة الحلبي (ت: ١٤١٧هـ)، قيمة الزمن عند العلماء، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط١٠.

١٠٩- عبد بن حميد بن نصر، أبو محمد الكِسِّي (٢٤٩هـ)، المنتخب من مسند عبد ابن حميد، تحقيق السيد صبحي السامرائي ومحمود محمد الصعيدي، مكتبة السنة - القاهرة، (١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م).

١١٠- العثيمين محمد بن صالح بن محمد (ت: ١٤٢١هـ)شرح رياض الصالحين، دار الوطن - الرياض (١٤٢٦هـ).

١١١- العراقي، زين الدين، أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن (٨٠٦هـ)، شرح التبصرة والتذكرة (ألفية العراقي)، تحقيق عبد اللطيف الهميم - ماهر ياسين فحل، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان (١٤٢٣هـ).

١١٢- العسقلاني، ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر (٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، أ- تحقيق مجموعة من الباحثين بإشراف شعيب الأرنوؤط، مؤسسة الرسالة العالمية - بيروت (٢٠١٣هـ). ب- طبعة ثانية معادة بالأوفست دار المعرفة بيروت عن الطبعة الأولى سنة ١٣٠٠هـ مطبعة بولاق بمصر.

١١٣- العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت: نحو ٣٩٥هـ)، ديوان المعاني، دار الجيل - بيروت.

١١٤- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت نحو ٣٩٥هـ)، معجم الفروق اللغوية، تحقيق بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي: إيران، ١٤١٢هـ.

١١٥- العظيم آبادي، أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، تحقيق عبد الرَّحمٰن محمد عثمان، المكتبة السلفية – المدينة المنورة، ط٢ (١٣٨٨هـ، ١٩٦٩م).

١١٦- الغرناطي أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف (ت ٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي جميل، دار الفكر العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.

١١٧- الغزالي، محمَّد بن محمَّد أبو حامد (ت ٥٠٥هـ) إحياء علوم الدِّين، دار المعرفة – بيروت.

١١٨- الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار، نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة (من ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م إلى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).

١١٩- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٨١٧هـ)، القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢ (١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م).

١٢٠- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (عـ٧٧٠)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، طبع وزارة المعارف العمومية، المطبعة الأميرية – القاهرة، ط٥ (١٩٢٢م).

١٢١- القاسمي محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (ت: ١٣٣٢هـ)، موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، تحقيق مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية - بيروت (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م).

١٢٢- القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى السبتي (ت: ٥٤٤هـ)، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق الدكتور يحيى إسماعيل، دار الوفاء - مصر، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ، ١٩٩٨م).

١٢٣- القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى السبتي (ت ٥٤٤هـ)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ط٢، دار الفيحاء: عمان - الأردن، ١٤٠٧هـ.

١٢٤- القرافي، أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي (ت ٦٨٤هـ)، أنوار البروق في أنواء الفروق، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

١٢٥- القرطبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت: ٦٧١هـ)، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، تحقيق د. الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج - الرياض (١٤٢٥هـ).

١٢٦- القرطبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت: ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: دولة قطر، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

١٢٧- القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم، المفهِم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق محيي الدين مستو، ويوسف بديوي، وأحمد السيد، ومحمود بزال، دار ابن كثير - دمشق وبيروت، ودار الكلم الطيب - دمشق وبيروت، (١٤١٧هـ، ١٩٩٦م).

١٢٨- القزويني، ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه (٢٧٣هـ)، السنن، تحقيق شعيب الأرنؤوط وزملائه، دار الرسالة العالمية - دمشق، (١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م).

١٢٩- الكفوي، أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني (١٠٩٤هـ)، كتاب الكليات، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت (١٤١٩هـ، ١٩٩٨م).

١٣٠- الكلاباذي، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم البخاري الحنفي (ت: ٣٨٠هـ) ، التعرف لمذهب أهل التصوف، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٣١- الكلبي، محمد بن أحمد بن جزي (ت ٧٤١هـ) التسهيل لعلوم التنزيل (تفسير ابن جزي)، تحقيق: على الصالحي، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، ط الأولى، ١٤٣٩هـ، ٢٠١٨م.

١٣٢- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت: ٤٥٠هـ)، أدب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة (١٩٨٦م).

١٣٣- مجلة الدعوة، عدد ٨، سنة ١٩٥١.

١٣٤- مجمع اللغة العربية (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، المعجم الوسيط، دار الدعوة، بدون تاريخ طبع.

١٣٥- محمد أحمد الراشد (عبد المنعم صالح العزّي)، تهذيب مدارج السالكين، مؤسسة الرسالة، ط٤ (١٩٩١م).

١٣٦- محمد أحمد الراشد (عبد المنعم صالح العزّي) وآخرون، مجموعة رسائل العين، كتاب مصوّر.

١٣٧- محمد رشيد بن علي (ت ١٣٥٤هـ)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة - مصر، ١٩٩٠م.

١٣٨- المروزي، أبو عبد الله، محمد بن نصر (٢٩٤ هـ)، تعظيم قدر الصلاة، تحقيق د. عبد الرحمن الفريوائي، مكتبة الدار - المدينة المنورة (١٤٠٦ هـ).

١٣٩- مسكويه أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت: ٤٢١هـ)، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تحقيق ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية.

١٤٠- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري أبو الحسين (٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية - إستانبول، (١٣٧٤هـ، ١٩٥٥م).

١٤١- المناوي، زين الدين محمد بن علي الشهير بعبد الرؤوف (ت ١٠٣١هـ)، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق عبد الخالق ثروت، عالم الكتب: القاهرة - مصر، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١٤٢- النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت: ٣٠٣هـ)، عمل اليوم والليلة، تحقيق د. فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٢ (١٤٠٦هـ).

١٤٣- النسائي أبو عبد الرحمن، المجتبى من السنن، تحقيق عبد الفتاح أبي غدة، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط٢ (١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م).

١٤٤- النسائي أبو عبد الرحمن، السنن الكبرى، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، (١٤٢١هـ، ٢٠٠١م).

١٤٥- النَّووي أبو زكريا محي الدِّين يحيى بن شرف (ت: ٦٧٦ هـ)، المجموع شرح المهذَّب، تحقيق محمَّد نجيب المطبعي - دار النفائس - الرياض (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).

١٤٦- النووي أبو زكريا، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٢ (١٣٩٢هـ).

١٤٧- النووي أبو زكريا، رياض الصالحين، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٣ (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).

١٤٨- النووي أبو زكريا، الأذكار، دار مكتبة الحياة (١٩٨٦م).

١٤٩- الهروي أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي (ت: ٤٨١هـ)، ذم الكلام وأهله، تحقيق عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة (١٤١٨هـ-١٩٩٨م).

١٥٠- وكيع بن الجراح، أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي (١٩٧هـ)، الزهد، عبد الرحمن الفريوائي، مكتبة الدار - المدينة المنورة (١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م).

فهرس المحتويات

المقدمة ٥
الإخلاص ١١
التوبة ١٩
الدعاء ٢٥
ذكر الله تعالى ٣١
العلم وفضله ٣٧
برّ الوالدين ٤٦
تزكية النفس ٥١
فضائل القرآن ٥٨
محبة الله تعالى ٦٦
محبة النبي ﷺ ٧٣
الاستقامة ٨٠
التقوى ٨٧
التمسك بالسنّة ٩٥
الصدق ١٠٢
معنى الصدق وحقيقته: ١٠٣
حفظ اللسان ١٠٨
الغيبة والنميمة ١١٦
حفظ البصر ١٢٤
صلاة الجماعة ١٣٠

صلة الرحم ١٣٨
تعظيم حُرُمات الله ١٤٦
الخوف من الله تعالى ١٥٤
الرجاء ١٦١
المراقبة ١٦٧
الخشوع في الصلاة ١٧٣
قيام الليل ١٨٠
صوم التطوع ١٨٨
الأُخوّة ١٩٤
فضل الصدقة ٢٠٢
حفظ الفرج ٢١٠
الكسب الحلال ٢١٧
الإحسان ٢٢٦
أحوال القلوب ٢٣٤
محاسبة النّفس ٢٤٣
الزهد ٢٤٨
الورع ٢٥٥
حفظ الوقت ٢٦٤
المسارعة في الخيرات ٢٧١
الصبر ٢٧٧
الشكر ٢٨٥
الشجاعة ٢٩١
النّجدة ونُصرة الضعيف ٣٠١

الجود والكرم ٣٠٧
الحياء ٣١٥
الرّضا ٣٢٦
التّوَكُّل ٣٣٥
اليقين ٣٤٤
التّفكُّر ٣٥٤
الأدب ٣٦٦
الحِلْم ٣٧٩
المُروءة ٣٨٦
الإيثار ٣٩٦
قائمة المصادر والمراجع ٤٠٥
فهرس المحتويات ٤٢٣